كرم ملحم كرم

Twitter: @alqareah
2.5.2016

المجنون

قصة

دار صادر

كرم ملحم كرم

المجنون

قصّة

دار صادر
بيروت

Twitter: @alqareah

المجنون

Twitter: @alqareah

جميع الحقوق محفوظة

1435هـ - 2014 م

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو تخزينه في نطاق إستعادة المعلومات أو نقله بأي شكل كان أو بواسطة وسائل إلكترونية أو كهروستاتية، أو أشرطة ممغنطة، أو وسائل ميكانيكية، أو الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل وغيره دون إذن خطي من الناشر.

دار صادر
تأسست سنة 1863
ص . ب ١٠ بيروت ، لبنان

© DAR SADER Publishers

P. O. B. 10 Beirut, Lebanon
Fax: (961) 4. 910270 Tel: 910340
e-mail: darsader@darsader.com
http:www.darsader.com

Al-Majnūn
(Karam Melḥim Karam)

p. 320 - s. 22.5 x 15 cm

ISBN 978-9953-13-799-5

9 789953 137995

Twitter: @alqareah

طريد القدر

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

١

كل ما يعلم ، من امره ، انه موجود ، وأنه يستظل الفلك ، كسائر الدارجين في وسعة الفضاء . فيتنفس مثلهم . ويعيش مثلهم . يأكل ، ويشرب ، وينام ، كما يأكلون ، ويشربون ، وينامون . وليس ما يختلف به عنهم غير هذا الاسم ، المخلوع عليه دون ان يكون له فيه رأي . فقد طبع ، منذ مولده ، باسم خليل حنون ، وبات من الصعب عليه ان يحيا باسم آخر . فهو ، حتى الابد ، خليل حنون

ولا بد ان يتنكر على عارفيه، لو اتفق له ان يختار اسماً يروقه . واي اسم يختار ؟... منذ عشرين سنة وهو يفني الايام بهذا الاسم . كلهم يناديه به. فلماذا التعب في التبديل؟... ان تكن الاسماء تنطوي على سعود ، ونحوس ، وان يكن مصير حامليها موقوفاً عليها ، فقد اضحى طالعه معروفاً ، لا تمحى حروفه

Twitter: @alqareah

وادرك أنه عبد. فالعبودية رافقته منذ نشأته. اقبل الى العالم على كره منه . وبدا في ملامح ُفرِضت عليه . وارتمى في احضان اهـل ليس له في الامتزاج بهم ، والانتماء اليهم، يد . ومشى ، في الحياة ، كما تشاء الحياة ، لا كما تنزع اليه ميوله . إن هو الا اسير في كل خطوة ، وكل حركة ، وكل كلمة . اسير القدر ، واسير بيئته . فالقدر لفظه كما اراد ، في صورته ، وفي مقامه . وبيئته حكمت عليه حكماً مبرماً بالخضوع لنظامها في الطبـع ، واللغة ، والدين ، والعادة . وايقن ان مداه محـدود ، مع كل ما يبدي من جهـــد ، وكدح . فقد يرفعه كده الى مقام النابهين ،وقد يبقيه في حظـــيرة الخاملين . على ان مصيره الى هدف معروف ، الى الانطفاء في لحد ، او في غير لحد . فلا نجاة له من الموت ، حتى على اعتصامه بالخلود

وبدت له المساواة في الولادة ، وفي الموت. فالناس يتعادلون في المبتدإ ، وفي الختـام . بل هو لم يجد مساواة حتى في الولادة ، وفي الموت . فالفقير يلقاه الوجود في كوخ ، ويطرحه على فراش من الخيش، او القش . ويلفّه بثياب غليظة ، مضطربة الخياطة والنسيج. ولا يكاد يجد من يحفل به . فلا يدري بامره غير القابلة ، وبعض ذوي قرباه . كأن الافق لم يختلج بومضة . قطرة ماء ضـاعت في غدير . على حين يطلّ الغني على الدنيا ببوق ومزمار . وثمة قوم ، على بكرة ابيهم ، يرقبون انبثاقه . هذا عظيمٌ شقّ عنه الحجاب ، ليتهادى في موكب من جلال ، كأنه هبة السماء . فتمتلىء الافواه بصيحـــات

Twitter: @alqareah

البشري ، وتنفرج الثنايا عن أهازيج . وتقرع الكؤوس . وتشرب الانخاب . وتجري الارزاق بفيض ، واحياناً بشحّ كاسف. ولكن لهذا المنتفض في الاقمطة وجيه العذر . وعذره المفحم انه ينغش على نضار . والنضار قاهر السلطان . ولا يبقى في الحي من لا يسرع الى أداء التهنئة ، كأن التهنئة ضريبة لزام . فاين المساواة ؟

لا ، لم يجد خليل حنون مساواة في الولادة ، والغني ينعم ، فور اشراقه ، بمباهج يقيم منها الفقير ، على مدى طويل ، في حرمان. وربما ظل ، على الامد، يكابد فيها الخيبة . فاين شرعة الانصاف ، وهي اشبه بالسراب الخادع ؟... فالفقير يموت في كوخ ، وربما في كوخ مولده . فالطلقة الاولى ، المرتعشة من انفاسه ، ما تفتأ ترصد الطلقة الاخيرة . ويكفّن باقمطته ، على حصير كان له مفرشاً وهو طفل يدبّ على اربع

ومنعى البائس المسكين لا يعدو جدران مبيته ، او دارة زريبته . واذا وقع هذ النعي الخافت ، في آذان تفصلها عن ذلك النطاق الضيق ، بعض خطوة ، نزل بالمسامع السداد. واي دموع تذرف على الميت؟... دموع اهله. ومن يعزي به ويسير في جنازته ؟... نفرٌ من اخوانه ، قادتهم المروءة الى ايوائه ضريحه ، ولا بد من ايداعه التراب

وقد يكون للخجل ، من الاهل ، نصيب وافر من المؤاساة . اما اللوعة فناضبة ، او كذوب . وتسلك الجنازة الهزيلة الاحياء العامرة ، وليس من يشعر بها ، كحصاة في غور . فلا زخرف . ولا زمر ، واليد

Twitter: @alqareah

قاصرة عن شراء الفخفخة والدمع . ولا جمهرة من رجال الدين ، بل رجل فرد يتمتم صلاة الموت ، متململاً من امتداد الطريق ، وطول الوقت . وليست ترضيه المشقة ، ولن يتقاضى ، في مقابلها ، ما تبتهج به كفه اللهوم

ويبلغ النعش ، في لحظة ، الحفرة المنبوشة في زاوية حيية . كأن التراب نفسه لا يفخر بمن يضمّ من ابنائه المجهودين . وتودع زفرة بتراء الدفين البخس . ويتبارى الرفش والمعول في حجب الجثـــة المتلاشية. فاي بصيص اغبش ضاع في فاحم الدجنة. ويثب رجل الدين الى تعزية عجلى ، متوقحاً في الفرار ، كأن تحت أبطيه اجنحة. ويتبدد الموكب على ضؤولته . فلا يبقى منه غير الاهل ، وقد عادوا يحملون وحدهم مضض الكربة

وتطوى ليلة ، ويغيب بعض نهار ، واذا بمن مات مجهولاً حتى من حفرة يثوي بها . ذرّة من ملح جاد بها الخضم ، فانكفأت اليه تذوب في مراشف العباب

اما الغنيّ ، ذلك النائم الحالم ، المتهدهد على سرير وثير ، الغائص في النعمة حتى يكاد من نشوتها لا يفيق ، المنتشي بفوح الورد ، الناهل الخير من رويّ الينابيع ، فتتصاعد روحه من كل صدر ، كـــأنه مركب من كل مهجة . يغور في العدم لتغور في الولولة حناجر واشداق لا يوثقها به حتى طرف من معرفة . وتطير المناعي ، الى كل فجّ وصقع ، ان عمود السماء هوى . وتضيق داره بالوجـــوه

Twitter: @alqareah

المكتئبة ، السكرى بدمعها . و تنشر المناديل للتلويح بفدح الخطب ، ولمسح حبات العيون الهوامي . فالفاجعة توشك ان تقتلع الاطواد باوتادها

وتضاء حول الجثمان ، المزدان بالثوب القشيب ، طائفة من الشموع الكناز ، يجللها السواد الحزين . وتتخم المرتبة بالاكاليل البواكي في ازهارها الضواحك . وتندفع عصائب رجال الدين لابداء الشجو المرير . وتردد الشفاه ، بالتياع ، كلمات واحدة ، بنغمة واحدة ، فيعجز ، حتى النافذ البصيرة ، عن معرفة الباكي من المتباكي

ويتفاقم الاعوال فيما يستأثر النعش بالعمود الهاوي . فتزلزل الارض زلزالها . ويمسي المأتم سبقاً في اللهفة والنواح . ويقرع الطبل متصدعاً . ويعلو انين المزمار . وتغص السبل بموكب الجنازة المتمهل ، كأنه يعاند في ادراك القبر . وترتفع ترانيم رجال الدين مثقلة بالوقار الاسيان . وتتوالى التآبين دراكاً ، ناعية الى الزرقاء انتثار الدراري . ويحوم على الرمس بلد باسره مرزوء بالمصانعة ، وبعبادة الدينار ، من ناسكه حتى خليعه . ويا له من رمس ينطوي فيه الراحل الجليل . انه لصرح تشيع فيه الابهة ، فيسطع كشعلة من نور في الظلماء . فاين المساواة ؟

لم يقع خليل حنون ، في دنياه ، على انصاف . وكل ما بدا له ان ثمة حظوظاً تقهر الكفايات . فيعيش ذو المقدرة عبداً لذي المال ، كأن الادراك نقاية . وربما قضى صاحب الدراية عمره في انكد حالة .

Twitter: @alqareah

يتشهى اللقمة ، فتفوته . على حين يربع الجاهل بذروة الثراء . فمن لاحظ له ، لا أنس له ، وان يكن من العرفان في منبسط لا حد له، ومن الصلابة في عزم الجبار

وخليل حنون ، الحامل بجرأة ميعة العشرين ، ودّ ان يعلم أيكون من ارباب الحظوظ الناعمين بالجاه واليمن ، الناظرين الى الكون نظرة التيه والطمأنينة، كأن الزمن يجري في طاعتهم عبداً ذلولاً، ام يظل راسخاً في شقائه ، كابياً في وعورة التنكيد ؟

انه للغز لا ينجلي عن رفيف من إبانة . غير ان الفتى اعتزم المجاهدة لئلا يغلقه الجمود ، فينتن كالبيضة المذرة . ربما كان الحظ في العون . وعرض مستهل ايامه . فاذا به في بلدته ، المتصدرة كبد الشوف ، في لبنان ، بين قوم يعرفهم ويعرفونه ، وله فيهم الاصدقاء والانسباء . وانه ليسمّيهم واحداً واحداً ، وكأنه منهم في أسرة منتظمة الشمل ، إن لم تجمع فروعها شبكة القربى، فقد وطدت بينها الالفة والمروءة

ولكن الالفة والمروءة ، على جليل شأوهما ، تقفان عند حد لا تجاوزانه ، كما لاح منهما لخليل حنون . فليستا مكلفتين اعالة البليد، وارشاده الى عمل لن يتوفر عليه ، ولا قادرتين على تبديل المكتوب. فاذا فجرت عصا موسى الماء من الصخرة الصماء ، فما يحمل الجميع عصا موسى ، ولم تهبها الاقدار لسواه من ابناء الطين

ولم يغب عن خليل انه ذاق مرارة اليتم ، وهو في العاشرة . فمات ابوه سقيم البدن . وفي الخامسة عشرة فقد أمه في وباء خاطف فشّ

Twitter: @alqareah

الارواح ، كحاطب ليل . واقامت على الاعتناء بالغلام عمته . وله اثنتان ، سلوى وزهوة . سلوى بجانبه . اما زهوة ففي بيروت . والثاوية بقربه ارحم له من النائية عنه . فذابت رّيق العمر في خدمة اخيها ، ابيه . ووقفت ما بقي من ايامها على خليل نفسه ، ولم ترزق العيلة سواه من الاولاد

غير ان الزمن جرّد الفتى من آخر دعامة يستند اليها في طراوة عوده . فماتت عمته سلوى ، وبات اقطع ، مهيض الضلع . وهالته الفجيعة ، فالتوى على نفسه ، يجرع الاسى . وبرح معهد العلم مكتفياً بما اقتبس . فتجاذبته ساحات بلدته ينشرها ويطويها ، ويختلط بمن يلقى فيها من اخوان يهشون له ، ويبشون . ويعبسون حيناً ، وينافرون . فخبر الناس ، ولمس المكر ، والظلم ، والحسد ، والحقد . وايقن ، وقد باع آخر ما عنده ، ان عليه الاتكال على ساعده . فان لم يلتفت المرء الى نفسه ، فليس له من يحفل به . ووعى ذهنه ان الاحياء مسيرون ، لا مخيرون ، وان ليس من نسمة ريح تنطلق عفواً ، ولها من القدر حافز الى هبوبها . فالحي والجماد من عبيد المقدور

وامتثالاً لمشيئة القدر سيغالب خليل حنون دلال الزمن . ولكن ليس في بلدته ، ولا عمل له فيها ، وما يألف في مسارحها غير الانتقال من البيت الى المقهى ، والعودة من المقهى الى البيت . وفكر في ناحيتين لا يذهب فيهما جهده ضياعاً ، في بيروت ، وفي العالم الجديد وآثر العالم الجديد . فالميدان ارحب . الا ان النزر العالق باليد ،

Twitter: @alqareah

بعدما انفق الفتى كل ما ورث عن ابيه، لا يمهد له الى ما وراء البحار. فعليه اذاً ان يكتفي بالميسور. فينحدر الى بيروت، وفيها الى النشاط مجال. وهو ما كتب عليه حظه، وليس يملك الوسع في معاندة المكتوب

وفي بيروت وجهان يرصد غوثهما. وجه عمته زهوة، الحدباء المقتعدة الذهب. ووجه وسيم جابر، المقيم بخدمة احد تجار النسيج، في السوق الطويلة. ووسيم وعد بالنجدة، وهو ممن يقضون الصيف في بلدة خليل حنون. وآمن به خليل، واعتزم المسير اليه قبل ان يشخص الى عمته، وما يزال يخاف شبح هذه الممسكة، على نقودها، إمساكها على انفاسها. فاذا افلت قرش منهـــا، لزمت الفراش اسبوعاً، تحت وطأة الجزع المحموم.

وتحرك الى المدينة الممراع، المعانقة ابداً بحر الروم، وليس يملّ احدهما صاحبه. وتلفت الى آفاق بلدته فيما ينزح عنهـــا، وودّ لو يطبع، بين حوانيه، هذه الشواهق المعمّمة بالتيجان الخضر، وقد خلع عليها الشربين والصنوبر منعة الاخضلال. وساءل نفسه أيعود الى هذه الربى، ويدوس هذا التراب، ويستمتع بطلعة من تحدوه الضرورة على النأي عنهم، مع استئناسه بهم؟

ولاحت له البلدة بقرميدها الاحمر، وبالشوامخ العاكفة عليها، كومة جمر في موقـــد، لا يتنفس من سوى مطلّ البحر. والتقطت باصرتاه الشربين الاشعث الناصية، المفلول الجذع، وقد تعب من

Twitter: @alqareah

مناهضة الاحقاب ، كأنه يحمل رسالة الازل الى الابد . وانطبعت في خاطره مئذنة المعنيين المديدة الوثبة، الهنيئة المستقر ، وقبة صرح الامير يوسف الشهابي ، الصلعاء كرأس الحكيم الممتلىء بعظـــات الليالي ، وقباب اجراس الكنائس الناطقة ابداً بالتسابيح والتآبين ، كخطيب يشق عليه ان يهجر المنبر، وقد آمن ببلاغته، وبوقع سحره على سامعيه

وتذكر مدارج طفولته ، وملاعب صباه ، وله في اسواق البلدة صولات زهو ، وجولات عرام . وامتد به الخيال الى الكروم في القمة ، وفي الوادي، يوم كان يتغفّل الناطور ، ويقتحم اخدار الدوالي المثقلة بثمارها ، ويغزو اشجار التين في نضج عطاياها ، ويصطاد الطير عابثاً بالزرع ، كأن الدنيا حمى مستباح

وما غابت عنه بلدته حتى رقصت حنجرته بغصة شائكة، متألماً من القطيعة ، وقد حجبت عنه أفقاً من سمين الذكريات . ولم تخفت فيه اشجانه الا وبيروت تنبض في عينيه. فتراءت له ، من بعيد ، تهب صدرها للازرق المّواج ، كالولهى المشتعلة غراماً . فخفق لها فؤاده خفقة الامل الباسم للمجتنى المرصود. وتمثل فيها الخير المو ّار. أتكون ميدان كفاحه ، وموئل نعماه ؟

وراقه ما تزخر به من لوائح الترف والنعيم . فكأنه من دورها الفخام حيال سلسلة من التلال المنحوتة بإزميل حاذق، وقد تألقت بروعة البنيان. واندفعت السيارات ،في الجادات الفساح، كالسيل العرم في بطن

Twitter: @alqareah

الوادي ، لا ينقطع تيارها الهادر ليل نهار . وشاطرتها الوثبة حافلات الكهرباء ، وكأنها قرى طوّافة في كبد المدينة المترامية الجنبات . وشاقته الحسان الحاليات القدود ، المبرقشات الوجوه ، الرشيقـات الخطوات ، وما اسرعهن الى البسمة والمحادثة . وشخص له انهـن باجمعهن في قبضته ، وليس له الا ان يومىء كي ينفرن اليه طائعات ، مؤانسات . أما تكون بيروت ارض الميعاد ؟

وخطر في باله وسيم جابر ، الكتلة المستديرة ، المنتفخة كالطبل ، وقد ضاع فيها الطول في العرض ، وغرز الرأس في الكتفين ، واستعلى البطن ، وضخمت الركبتان ، وقصرت الرجلان ، حتى ليخيل الى الناظر ان ثمة كتلة تتدحرج ، لا رجلاً يمشي على قدمين

على ان هذه الاضحوكة السيّارة تتصنع الظرف ، ولا يكلّ لهـا لسان . فتدعي الالمام بكل مطلب . وتعرض خدماتها على جميع الناس . وتأبى الا ان يعرفها القاصي والداني . هذا وسيم جابر ، ذو المكانة المنيفة ، والمروءة الدفاق ، والنبرة الحادة ، والقهقهة الصارخة ، وتكاد تسمعها الآذان على بعد اميال

ووسيم عاهد ــ ومن لا يرتع هنيئاً في عهود وسيم ، وهي سيول طامية ؟ ــ وحان موعد الوفاء . واقتحم خليل السوق الطويلة الى ذلك المسخ الجبّار . فاذا وفق لديه ، عاد الى عمته زهوة يعالج بخلها بما أُعطي من قدرة على تفتيت الصوّان . وما انكر ان الحظ خادمه ، عند وسيم المهذار ، اكثر منه عند العمة الصلود ، وليس له ان يطمع

Twitter: @alqareah

من غوثها في رقاقة ، وهي تجد في كسرة الخبز كنزاً تهون حياله الارواح

وكلما ارتاد خليل حنون بيروت ، على ندرة انحداره اليهـا ، عرّج على وسيم جابر ينعم لديه بالقهوة المعطار ، او بالمثلوج اللذّ . وكأنه يسمع ، وهو يدنو من مقر وسيم ، صيحة الترحيب الطلقة ، المندلعة من حنجرة هذا المتهالك على الظهور في النـاس ، حتى على مزبلة . ويتلو الصيحة عناقٌ لهبان لا يأذن في انتهاء ، كأن ثمة شقيقين طال عليهما الغياب . فعلى كل من يمرّ بالسوق الطويلة ان يشاهد لقاء الصديق للصديق ، وان يدري ان البلد باجمعه يتوافد على جابر عثرات الكرام

ولكن خليلاً يقبل اليوم الى وسيم جابر لا لاداء التحيـة ، وابداء المودة ، وحسب ، بل لاستعدائه على قضاء لبانة .تفرض جادّ السعي . وبحث عن الالفاظ يعلن بها سؤلته ، فادركه الخجل . أُف للاستعطاء ، ما أذله !... وران على ركبتيه شلل عصيّ كاد يقفه عن المسير . وثارت فيه أنفته ، فاعتكر باله ، وجمـد في مكانه ، كعمود نصبته المشاكسة ، في بورة الجادة ، تسدّ به على المـارّة الطريق

على ان بيروت تيار فلتان يجرف الناس كالحصى المتدحرجة في غرغرة الساقية الصاخبة. فمن تقف به قدمه في طرقها تقاذفته المناكب، وركلته الاقدام. وخليل حنون وكزته الايدي، فيوقفته المرتبكة،

Twitter: @alqareah

ودفعته الصدور ، تكرهه على الحركة . فإما انطلاق ، وإما نكوص . وعزّ عليه ان يلتوي ، نجزم على المغالبة ، يركب لها صادق العزم ، وما يجهل لاي رزيئة يعرّضه الفتور . فالفاقة تشحذ لالتهامه انيابها الحداد

وتهادى يتعثر بغضاضة السؤال . فاحس بكونه غير ذلك المندفع بالامس عفواً الى صديقه ، وثمة عبء فادح يرسو على كتفيه ، وما يدري كيف يزحزحه عنه . ورقب الذبول في بشاشة وسيم ، والسكون في المودة الفائرة ، والازدراء في العينين الخفيتين . ولكنها الحاجة الملحة ، ترهفها غلاظة القدر . والحاجة بدت في الفتى كابي الاحجام ، وعليه ان يأكل خبزه بعرق جبينه

ولم يبقَ بينه وبين مقر وسيم غير خطوات ، فاجتازها بهمة يعروها وفر من كلال . وانتفض لدن ابصر وسيماً ، وشاعت في وجهه بسمة مجهودة . فالكتلة المستديرة منه على مدّة ذراع ، يعلو صوتها كدوي الصنوج . ووثبت الكرة المتدحرجة على خليل حنون تغترفه عناقاً وتقبيلاً ، بات منها كالموثق بحجر الرحى . هذا وسيم . واقام خليل على لجلجة ، لا يطيعه لسانه في بيان ، ولا يفسح له وسيم في تقبيل عارضيه ، وما كانت شفتا ذلك المغالي في الايناس لتركنا الى استقرار ، وهما تتنقلان ، بسرعة الايماضة ، من وجنة الى وجنة

وشعر خليل بكونه ، بين ذراعي وسيم ، عصفوراً في مخلب شاهين . الا ان موجة من الامل غمرته ، يفل من غربها الحياء المهيض . واذا

Twitter: @alqareah

الاسئلة تتهافت عليه غير مهادنة ، كالعاصفة المعربدة . فضاع بين فرحة الملقى ، ومذلة الطلبة. ومال به وسيم، ببليغ الايناس، الى الجلوس . ودعا له ، بصوت مرنان ، بالمثلوج الزكيّ الاريج . مما لفت جميع من ضمتهم السوق . فرأوا وابتسموا . هذا فصل من فصول التمثيل الهازل ، ابطله المتفوّق ... وسيم!

وتبادل الصديقان المجاملات المألوفة . على ان خليلاً لم يكن يتنفس بارتياح ، وقد اماتت فيه الرهبة من الاخفاق كل قوة على الاطمئنان . وكلما رام ايضاحاً امسكت بحنجرته غصة . فايقن ان صفاء المهجة ينبو عنه ، حتى في مساقطة الحديث

الا انه ما جاء ليخرس، ولن يرتدّ خالي اليد عن صديق كيّس، طوع الجناب ، كوسيم . ومضى وسيم يستقصي العافية والحالة . وضحك عالياً وهو يسمع من خليل انه لا يبرح يجوب الازقة مدلدل اليدين . وجاهره بقوله مداعباً : اني من امرك لعلى خشية . فلا يهزك العمل اليه ، وقد استطبت الونى . هل لي ان اغبطك على خفض البال ؟

فسنحت النهزة . وادرك خليل ان عليه اغتنامها . فلماذا لا يحتال على الظفر بالعمل ، وكرامته في مناعة ؟... قال بلهجة يشيع فيها الدَلّ ، ويرين عليها العتب : أتريدني على العمل في بيروت ، يا وسيم ؟

فهتف وسيم بشدة طافحة بالاخلاص : ولكن اذا لم تعمل في

Twitter: @alqareah

بيروت ، فاين ترى ان تقضي ايامك ؟... لست من ارباب الثروات، الهازئة بالفناء ، كي تجود بزمنك على شمّ الورد ، ومناجاة القمر. فلا ندحة عن يوم يدهمك فيه الاضطرار الى السعي ، وانت ذو دريهمات هزيلة . وما احسبك ضعيف الذاكرة ، فتنسى انك طلبت مني ان امهد لك الى ذات عائدة !

ــ واي مهمة أجيد ؟... أأخدم الناس ؟

فاختلج وسيم جابر بقهقهته القاصفة ، وابان متهكماً: لا عليك ان تجاري امثالي في بذل الهمة . أفما ابدو لك في خدمة النـاس ؟... الكون باجمعه يخدم بعضه بعضاً . من حاكمه حتى صعلوكه. ابوك لم يخلف لك من المال ما يكفيك على الامد . فاستنجد بشبـابك لنصرة مشيبك !

وما يرجو خليل غير هذه البغية ، وقد حملته من مشارف بلدته الى شواطىء بيروت . وطفت على ملامحه بسمة عريضة لم يكن له في دفعها حيلة . وسيم يستدرجه الى ما اقبل فيه . قال وهو يذود ابداً عن الانفة : لست ممن ينكرون عليك صحة ما تبدي ، يا وسيم . فالمال ينفد إن لم يقع على روافد تصبّ فيه . وان تكن ترى ، في قعودي عن العمل ، ما يشين أحدوثتي ، فادفع عني المذمة بحسن رأيك ، وجميل تدبيرك !

فاستجلى وسيم متباهياً ، جذلان: أترضى ما أهيب بك اليه ؟

ــ وكيف أعاند ، والخير في الاصغاء الى نصحك ؟

Twitter: @alqareah

ـ إذن عليك بالرسوخ في بيروت !

ـ وأهجر بلدتي ؟

وما انفك الدلّ المصنوع يحجب خليلاً عن كنهه . فاوضح وسيم ، وقد اطربه الاستطلاع الهالع : دعها لايام الصيف الكاوية . عينهـا لن تنضب في غيبتك . وشربينها لن يجفّ عوده !

ـ وماذا افعل في بيروت ؟

ـ سابحث لك عن عمل يصون وجهك ، ويدّر عليك بالجزيل !

فلم تفتأ النفخة المتكلفة ترفع رأسها ، وقد استفهم خليل بلهفة : اما تلحقني فيه غضاضة ؟

فاستهان وسيم بالاستيضاح الخشيان ، وهتف بقولة تفيض عجباً : أيمسّك الضر ، وانا سيفك ودرعك ؟

فلوى خليل رأسه على حيرة . أيفرح ، ام يحزن ؟... ولماذا الحزن ، وما هبط بيروت لسوى البحث عن عمل ؟... خدمة الناس باتت ضرورة قاهرة . ورفع رأسه ليهب نفسه لوسيم جابر هبة خالصة . قال باستسلام المؤمن بالمبرة : وسيم ، وكلت اليك امري ، فارفق بي !

فابانت الكتلة المستديرة بعزة من يدرك التبعة : انك لفي ذمة رفيق مأمون المودة ، يا صديقي . غداً ، او بعد غد ، تتولى في هذا المكان العمل . فالمحل بحاجة الى يد منجدة . فلا تجزع . سأميل

Twitter: @alqareah

برب هذه المتجرة الى ايثارك على الجميع !

وعادا الى العناق في طلق مــن القبل السماح . وغار الوجهان في بسمات رحاب توالت كالسحب في اليوم المطير. بلغ خليل شهوته دون ان يبتذل نفسه . فما استجدى ، ولا كشف عن عورة . وسيم عرض ، ووسيم تكفل بالتحقيق

على ان هذه الرغبة ، وهي الامنية اللباب ، اذا صادفت ريحاً مؤاتية ، فان هناك ملتمساً يهدد بالحران . وهل للعمة زهوة ان تسعف ابن اخيها على الرقاد في مثواها ، ريثما ينبت له ريش ، فيقوى على الاستئثار بمبيت لا ينوء بتكاليفه ؟

واعطى الفتى اعصابه وكده . فالمطلب عصيٌ . غير ان من لقي التوفيق في ناحية ، سيجاهد في ادراكه في ناحيتين . ولا بد للعمــة زهوة ، وخليل وارثها الاوحد ، ان تعطف ، فتلين !

Twitter: @alqareah

٢

سبعون سنة من شحّ ولؤم لوت طرفيها ، فاضحت دميمة كالغدر ، راعبة كالويل . انها لقوس من لحم ودم . غير انها من الاحياء في الخبيث السقط . فلا حمية ، ولا رحمة ، ولا بشاشة ، ولا ركون الى مودة ، ولا جرأة على كسر الرغيف ، كأنها اذا مضغت اللقمة محاها الفقر

هذه زهوة ، عمة خليل حنون . أحدبها الزمن كي تنثني الى دركها، وقد عششت في روحها المخازي ، فتسفّل الرأس الى النفايات يعيش في نتنها . وما من نفس قبحت ، فهانت ، وهوت في أرجاسها، كهذه النفس الغائرة في الدنايا حتى اعماقها

وجه من غضون بارز العظام ، كأنه إطلالة الموت على الحياة. تقلص حتى تكاد تحويه قبضة . وعينان تقدحان بالشرر ، وما تفيضان بسوى المقت ، والرعب ، والحنق . وأنف اقنى ، اغار على الفم الابخر يستأثر بعطره ، ويجود عليه بخيره ، لئلا يدركه الجوع ، فيكلب

وتمردت الهامة على الحدبة المطبقة ، وقد وقع في الاذن صدى خطو يقترب بوهلة من العتبة . واستطاعت ، هذه المنادية بعصيانها ،

Twitter: @alqareah

ان تنسلخ بماضي الجهـد من التوائها . وما كان لهـا ان ترتفع الى النور ، وفي النور انكفافها . فآثرت عليه حقارة الارض، تتبين في الدرن انعكاس ملامحها

واجالت ،في المجترى، على الدنو من معقلها، عين افعى قلقة . وما عرفت فيه خليلاً، ابن اخيها، حتى تطاير من باصرتيها اللهب. فالقوس الناقة على البشر تطلق سهامها الفاتكة . فارتجف خليل حنون . وتلعثم تجاه اللقاء البغيض ، فكادت التحية تعاند شفتيه . بل تضعضع كأن الارض تدور به ، وكأن رشده مُغلف بالضباب ، فضمرته الفحمة

وزهوة ارملة مرتين . تزوجت الاول وقبرته ، ثم اتبعته الآخر. وكل ما ابقت ،من ذكراهما، اموالهما . فالاثنان ماتا عن صرر من الذهب ،هجمت عليها زهوة ، المغوار، هجمة الجـائع على الزاد ، ودفنتها حيث لا تهتدي اليها عين بصيرة ، ثم تولت نعي الزوج الميت كي يدفنه الاحياء

وعرفها قومها خنفساء قذرة ، تلبدت فيها الاوساخ طبقات على طبقات . وارزدت الاسمال تأبى الا ان تلتحف بالثوب المجهـول اللون ، لفرط ما كرّت عليه الاحقاب ، المنسول النسيج ، لطول ما اذابت المتسربلة به من مناعته . كأنها تخشى، اذا رفلت بالقشيب، ان يجهلها عارفوها ، وهي من الحراص على الاخدان . وربما ادمى الثوب الجديد ، بخشونة زئبره ، لين بشرتها ، وعاق حركتها ، فلا

Twitter: @alqareah

تأمن به العثرة . وقد يحول دون فوح شذاها، فيسد على النسيم دربه اليها ، ويحرم الانوف اريج زهوة المعطار

وهيهات ان تسخو زهوة ، على نفسها ، بجميع رغيفها . فتأكله على مدى يومها ، آسفة على احتجابه سريعاً عنها ، وهي ممن يمضهم الهجران . وكأنها ، حين تكسره ، تحطم ضلعاً من اضلاعها، فترتجف وتحس بانها فقدت بعض روحها

وعلى هذا الرغيف خافت زهوة ، وابن اخيها يمثل مرتعداً بين يديها . فهبت بكل صلابة فيها للذود عن ذخرها . هل جاء خليل ينتهك حرمة المصونات ؟... وسبقت الفتى الى الكلام تبادره بلهجتها الساخرة ، المرّة : انت ؟... خير" ان شاء الله . فما يقودك اليّ ؟

فرمته بالبله . واخجله ان يقف منها مشدوهاً ، فتحرك فيه إباؤه ، وقال ببعض الهمة : رأيت ، وقد هبطت بيروت في البحث عن عمل ، ان احييك ، وما انت سوى عمتي !

فلمست في بيانه الارتباك، وخشيت ان يكون اقبل يسترفدها. وبالغت في قهر حدبتها لتزداد طولاً ، فتزداد صولة ، وتهيب بابن اخيها الى اتقاء شرها بالفرار منها . فان يكن نزل بيروت ، للبحث عن عمل ، فمن الراهن ان جيبه خلا ، وانه في حضرتها لافلاق دنانيرها المطمئنة في حفرتها

وهاج بخلها ، فقالت وابتسامة الهزء تعلو شفتيها المتكمشتين كصفحة المبرد : هل جئت للاهتداء الى مورد يقيك الشدة ؟...

Twitter: @alqareah

اذن انت مهلهل الكيس ، أخرس اليدين ، يا ابن اخي . واني تعيش ريثما تقع على الشهوة ؟... فهل ندّ عنـك ان بيروت غول يلتهم الثروات على ضخامتها ، فإن لم تطعمها مالك ، نهشت لحمك ؟...واي رتبة ترقبـك في بيروت ، فيعلو بها شأنك ؟... اراك جئت في المؤخرة ، ولم يبقَ ، من قرص الحلوى ، كدسة لانيـابك ، حتى ولا فضلة من شمة يتعطّر بها منخراك !

وما ارادت غير القول : « ندْ من حيث اتيت ، وان تظفر من عمتك بالوقوف في بابها ! » ، وقد تخيلته يغزو كنزها . غير انهـا ذكرت كونه ابن اخيها ، وان مالها له ، وهو وارثها . ورأت ان تكبح من عنف نفرتها ، فلا تجبه الفتى بالطرد ، وان يكن طرده مشتهاها . فعليها ان تكتفي بالقوارص . فتكيلهـا له بما يثنيه عن القرار في بيروت ، وكأنها طردته ، دون ان يفيض لسانها بالكلمة الشادخة

ستوهمه ان بيروت دار شقاء ، ولجة إملاق . وخير لمن يلتمس رغد العيش ألا يرتادها ، واللقمة فيها غير ميسورة لسوى من يتغذى بلحمه ، ويرتوي بدمه . او لمن حشد من الوفر ما يقهر به استذئاب الزمن العضوض . فان يكن خليل يستطيب التلاشي ، وهو المعدم ، فليبقَ في البالوعة الاكول ، ونصيبه منها الانقراض

على ان الفتى ما جاء ليعود . فاذا رصده في بيروت العوز ، فالنعيم لن يؤاتيه في بلدته ، وثمة عسر ووني . والسواد الاعظم لا

Twitter: @alqareah

يرجع دخله كفاف يومه . وآثر خليل مكابدة جفاف بيروت، ولا بد ان يسح" القطر، على الانطفاء في بلدته . وهل يورق اليبيس ؟

وتجلى له ،من عمته زهوة، انها تميل الى تثبيط همته ، مخافة ان يسطو على معجنها . فعليه اذاً ايهامها انه بغنى عنها ، والموقف يفرض المداهنة . فان لم توقن هذه البخيلة ، حتى بهواء مأواهـــا ، ان ابن اخيها لن يكلفها اضاءة ثقاب ، فمن المحال ان يقع لديها على فسحة لرقدته يدفن فيها نفسه ، ريثما تتهادى الى كيسه حثالة من دريهمات تنقذه من تعسه

واعتمد على رباطة الجأش والدهاء ليستمسك من ثقة عمته بطرف . فلن ترضى عنه الحدباء اذا جاءها فقيراً يستعطي ، وهي ترى فيه نذيراً بدنو الاجل . فكأنها ،حين تبصره ،تشعر بانها امست على وشك التلف ، وبان هذا الوجه البهي" ، الطري" ، وجه حاصد الروح ، لا محيا قريب حبيب

ولكن اين خليل من رباطة الجأش واعصابه تكاد تهي ؟... فأحس بانياب عمته تغرز في لحمه ، وترحيبها كان عضاً ؛ وخطابها طعناً . واوشك ان يتقهقر . فالهزيمة مكتوبة عليه . الا ان الحاجة هرعت الى الغوث . فالكذب المنقذ، ولا الصدق المبيد . وتبدل في لمحة ، بل في ما دون اللمحة . وكذب ــ ولم يكن على رسوخ ايمان بوعد وسيم ــ لتوقن عمته ، المتمثلة فيه ابداً شبح الموت ، بانه ما جاء يستل" عمرها ليرثها . فان في حوزته ، من الدنانير المذبة الرنّة ، ما

Twitter: @alqareah

يقي وفرها الانتقاص . قال ببسمة دمثة، حيية : ابن اخيك بألف نعمة ، والحمد لله . فما بار نقده ، ولا أصفت يده . ومـا انـل الى بيروت لكون السعة زاغت عنه ، بل لكونه ملّ الجمود . بدا ليدعم بحاضره غده ، ويرفّه عن نفسه على المدى . وهل تنفر عمتي من ابن اخ لها يهيم بالجهاد ، لئلا ينتن في البلادة والعقم ؟

فاصابها منه ما اصابه منهـا ، والضعضعة جنحت عنه الى العمة . ولو جهر بالواقع لادمى مهجته . وحملقت فيه زهوة ، بعينيهـا المشتعلتين ارتياباً ، تحاول ان تسبر مبلغ صدقه . ولم يهب لها سوء ظنها القدرة على الركون الى ما يسقط اليها . فلاح لها ابن اخيها لغزاً صفيقاً لا تنفذ اليه حدة بصيرتها . وسألت نفسهـا عما يتباهى به من ثروة . فاين الثروة ، وكل ما ابقى ابوه نفد ، كما قيل لها ؟... وماذا ابقى ابوه ؟... اموال خفاف ، اذا اطعمت ، فـلا تتخم . واذا اتخمت ، فالى هنيهات ...

وما انفك القلق يرين على الحدباء ، والخوف على مالها الموؤود لا يعصمها من الاحتراس . غير ان العبسة ، المعقودة في جبينها ، لقيت بعض الانفراج ، وقد عرف خليل كيف يزحزحها عنهـا . وتلاشى فيها الشره الى العض . فلماذا تخـاشن ابن اخيها ما دام يتكارم عن منّتها ؟... واجتهدت في الوقوع على كلمات حلوة تخاطبه بهـا . هذا ليس بالمستجدي، الطامع في التهام مالها.فاستوضحت بصوت رجراج، اذا انبسط فيه بعض الارتياح ، فما يزال للشك فيه بقية : أتكون

Twitter: @alqareah

من ذوي اليسار ، يا ابن اخي ؟

وودت أن تقرأه في اساريره. فلا بد ان تلوح في وجهه جليته. الا ان خليلاً ، وقد طار عنه جبنه ، غبن هذه الموجسة من الاحياء شراً في ما كشف لها من خفاياه ، وقد بات ادهى من ان يفضح امره. قال بابتسامة تترنح زهواً : انا بخير ، والشكر لله ، يا عمتي !

فانجابت عنها لبود" من الهواجس . ودعته الى الجلوس . فمن حقه ان يستقر بمنزلها وهو المتقلب في النعمة . قالت برحابة ما ونيت تتفادى من الظهور فيها : خذ لنفسك قسطاً من الراحة . فانت بحاجة الى الدعة ، وقد كلفت همتك مشقة الانحدار الينا !

واشارت الى مقعد غائر اللون ، كالمصاب بالضنك ، قديم الطراز ، كأن العصور الغابرة تتنفس فيه برميمها . فامتثل خليل ، وقد ادهشه كون المقعد ، مع قدمه ، متين الدعائم ، كأن لم يحضن انيساً . على ان الغبار تراكم عليه اطباقاً بات منها في حجاب ، والحدباء تخشى ان تنسل خيوطه اذا لامست يدها نسيجه . وكل ما في المنزل على دكنة ، الا انه سليم حتى من الخشة ، وما تجاوله يد

وماذا في المنزل ؟... رياش" عتيق ، نبا عنه السخاء والزخرف. فمن حصير خشن اسمر ، الى خزانة كامدة المرآة ، الى سرير يواثبه الصدأ ، الى بسط بخسة ، اشبه بالسلع البالية ، تفرش الحضيض بالوانها الناصلة . ولولا طنفسة شيرازية ، باسمة الطلعة ، مستطيلة الزغب ، لبدا المنزل كأكواخ المعدمين

Twitter: @alqareah

وتدلت ، في الجدران ، رسوم لطائفة من القديسين ، ولفئة من النكرات ، تجهلهم زهوة نفسها ، وقد اختطفت صورهم من دور الجيران لتملأ بها مسكنها . واي خسارة تنتابها ، ولن تؤدي عن هذه الوجوه ، الحائرة المخبر ، ثمناً ؟

وقدر خليل حنون قدر النعمة ، مع يقينه انه في معرض دلالة كاسدة . رضى عمته ، عن جلوسه في منزلها ، خطوة فسيحة الى بلوغ الرجاوة . واثبت في الارض رجله . واحس بفيض من اشراق يتدفق من طلعته ، ويزيد في جرأته على استهواء العجوز الممتنعة ، اليقظى. قال: أراك هنيئة في مثواك، يا عمتي ، وليس ارباب القصور اسعد منك حظاً !

فابتسمت ابنة السبعين ابتسامة عريضة لم تعرفها منذ سنوات ، وهي النافرة من البشر ، وما تفتأ ترى فيهم ذئاباً لقضمها ، ولصوصاً لنهبها . وقالت وسكرة المديح تتغلغل في دمها فتنشيها : اني لسعيدة بك ، يا ابن اخي . يخيل الي ، وانا ابصرك ، اني عدت ادراجي ، فتبوأت دكة الشباب . ويتراءى لي فيك المرحوم اخي ، ابوك ، ليتني كنت فداه . ولمن هي عمتك ، لتقبر عمتك ؟... لك وحدك ، منذ البدء حتى الختام !

فوضح لخليل ان الاطمئنان سادها ، فدفعها الى التدليس بلا حذر. واغار الفتى على المديح ينثله بلا امساك . قال : وجودك بركة ، يا عمتي ، ولمثلك طاب البقاء . ابن اخيك يدعو لك بعمر مديد

Twitter: @alqareah

تطحنين فيه ثروتك باصفرها ، وبابيضها ، وليس يطمع في حثالة منها . فجلّ مناي ان ابصرك بجانبي ، وانت البقية الباقية من أسرتي ، ومعاذ الله ان ارتجي فقدك متعللاً بوفرك !

فانطلقت من فمها صيحة الابتهاج، وقد سنحت فرجة الخلاص ، فهتفت : لتقبر عمتك ، ما كان لاواصر الدم ان تميع . ومن لي سواك يرطب جفاف ايامي بمثل هذه الاوانس الابكار ؟... العناية الراحمة دفعتك اليّ !

وتضاءلت عيناها كمن يهمّ بان يبكي . وامتدت ذراعاها الى ابن اخيها ، وقد وهب لها الامان . فالدهاء سما الى أوجه ، واستوى منه خليل حنون على عرش مكين . عمته الصعبة المراس ، البعيدة عن كل أُلفة ، امست مطواع مبتغاه . وشاقه الظفر ، وكان يبدو له عزيزاً . غير انه ، وقد علا حتى كاد يغيب ، اخذ يفكر في الانحدار . وشخص له انه قضى على نفسه بنفسه . جاء الى عمته يلتمس المبيت ، فهل من سبيل اليه بعد ادعاء الفيض والسعة ؟

وارتبك . كيف النجاة من قيد كبل به ساعديه ؟... أيتظاهر بالمسكنة بعد الشموخ ؟... واجهد خاطره في الاهتداء الى حيلة يدرك بها اللبانة . وفيما يكدّ ابه في الوقوع على مخرج يقيه العثرة ، تاهت عمته في عصر ذهنها ، مسترشدة لفخ تقتنص به مال ابن اخيها . فان يكن خليل على يسر ، فلماذا لا تختلس من وفره ما تتسع له يداها ؟... قالت وقد جلست عند قدميه القرفصاء ، لئلا تأخذ من

Twitter: @alqareah

الحصير بعض ما يبريه ، إن هي تبسطت في قعدتها : واين تنوي الاقامة ، يا ولدي ، ريثما تتوفر على عمل يصفو به زمنك ؟

فاحيت فيه مرضوض التعلة . امّحت لبكته ، ورسخ في دلاله ، ليعلن بصوت يموج فيه البشر : بيروت حافلة بالانزال الهنيئة المضجع ، يا عمتي . فلمن اتعب في الاستقرار منها بنزل انيس !

فصاحت جازعة : لتقبر عمتك ، أتستلذ إطعام الحيتان مالك ؟... الانزال معاصر الجيوب ، يا ابن اخي . فاحذر ان تقع منها في مصيدة تلفظك جوعان عرياناً !

فضحك ضحكة غير المبالي . وقال يلهو بجزع الحدباء الكشود : وما العمل لاتقاء البلية ، يا عمتي ؟

فنبرت بلهفة : العمل ان تصون درهمك عن اللجج المجهولة القرار ، المتحفزة لالتهام ما في يمينك ويسارك !

فلم يكن محيد عن استطلاعها الخطة المثلى ، باستدراجها الى الشرك . وكلاهما قنّاص . قال خليل : وكيف أنقذ مالي ؟

وتماثلا خداعاً وختلاً . افعى وثعلبان . وآمن كل منهما ان الغلبة له . فيقهر خصمه على وفور كرامة . وبدت النواجذ طاحنة ، لاحية . غير ان الطمع المستطيل تقنّع بالخمل النديّ . قالت العمة تنتصر على جشعها بادعاء الرفق ، وتخفي مَيْنها متسترة بالاخلاص : ولدي ، لا تبع ليدك في الانفاق مداها . فدعني اشرف على امرك بتدبيري الحنون . ان مباهج بيروت تخدع ، فتبتزّ الدرهم والعافية . واذا

Twitter: @alqareah

تقلبت في نعمى يومك ، فلا تنس ما يفجأك به غـــدك . فالدهر لا يصفو ، وهو الغدور !

واسرفت في الموعظة ، بيد انها لم تنطق بما ارتجى خليل ان تذيع . فالمنشود حام على شفتيها ، ليفور كنهلة في مراشف الرمل . وخشي الفتى ان يكون وقع على سراب. الا انه ظل متماسك الامل. قال ببسمة الشكران : نصائحك من ذهب ، يا عمتي . غـير اني لا اجد غير النزل مقراً !

فهتفت متحمسة : أتكون عمتك في بيروت ، وتبحث عن مكان تلجأ اليه ، يا ضعيف الايمان ؟... انك لتهين بهذا الكفران مشيبي . ان تكن جفوة الزمن حرمتك عطف ابيك وأمك ، فانا هنا لتعويضك مما فقدت. ستجد في هذه الماثلة حيالك ، بشعرها الابيض ، وبشبحها الهزيل ، كل حنوّ وفداء . وإن لم تفتح بيتها لمثلك ، فلمن تهب حق مقاسمتها سكناها ؟... ستقيم عندي على رحابة . فاني لفي شوق الى تصعيد انفاسي بين يديك . ومن العزاء لي ان ارحل ، عن دنيـاي ، وبجانبي من يسخو عليّ بدمعة اسى ، ويمشي في جنازتي !

فادهشته مباغتة الحفاوة ، وعرته الحيرة . ما هـذا الاستمساك به بعد المصارحة بالنفرة ؟... هـل احسن الاستهواء ؟... ورأى ألا يسترخي فوراً ، والا وضحت الحيلة . فقال يتمدح الاريحية ، ويأبى تكدير هناءة العزلة : شكراً لعمتي لطيف احتفائها بي. غير اني مـــا هبطت بيروت للتضييق على من أحب وأكرم ، وفيها وسعة للجميع!

Twitter: @alqareah

واجاد البيـان يمعن به في استمالة عمته الحدباء . فابانت زهوة بمضا مهزة : لن تحرج احداً ، يا ولدي . بيت عمتك بيتك . فدع عنـك شكري في ما أرى عليّ فرضاً . هذه حجرتي ، وهذا فراشي . فهما ، منذ الساعة، وقف" عليك !

فروّعه كرمها العجاب . واضحى لا يجيد النطق ، كأن به عيّاً . أتصدقه أذناه ؟... وقـاس بعينيه ، طولاً وعرضاً ، الحدباء المضياف . ألا كيف عبثت بعادات جحرها ؟... فهل من مأرب خفيّ تنطوي عليه أضلاعها ؟... ولم يجد ندحـة عن الابتسام حيال المكرمة الدفاق . وغمغم بما يتصنع من ممانعة : ولكن ، يا عمتي ...

فاحست بانه لان ، مع كل ما يشيع فيه من مظاهر الـتردد . وانقضت عليـه كالخطّاف لتستولي منه على الشهوة ، وقد غلا فيها شوقها الى القرش المعبود . فاخذت تعاتب فيما تساوم ، قائلة : أراك لا ترتضي مشاطرتي سكناي بلا بدل تؤديه . أليس هذا سر احجامك عن نزول بيتي ؟... ولكنك توجع روح عمتك زهوة ، يا روح عمتك ، وانت تخاطبها بلغة المال . ومن العار عليّ ، وانا اخت ابيك، وانت لي نعم الابن ، ان اتقاضاك درهماً . أتحدثني نفسي بأن امد يدي الى مالك ، وعليّ ان ازيد فيه ؟... لتعدم عمتك إن يساورها هذا اللؤم . اسمع ، لن تشاطرني السكنى ، وحسب ، بل ستشاركني في رغيفي . فتجلس الى مائدتي ، وتأكل من طعامي . وان يكن ثمة اكلة حبيبة اليك ، فجئني بحاجاتها كي أعدها لك . وليس لاموالنا

Twitter: @alqareah

ان تغور في اجواف الحيتان ، يا ابن اخي !

فومض بصيص النور . زهوة تتناهى في الايناس لتأكل من كيس الاجاويد . فعلى ابن اخيها ان يسخو بطعامها كي تفسح له في مأواها . واحدة بواحدة . هذا ما تراءى لخليل من مقالها ، وما كان على ضلال في التخمين . اذا شاء ان يبيت ، عند عمتـــه ، فليملأ جوفها . وغشيت سحابة من اللبكة ملامح الفتى . أيقيم لدى العمة ، ويرضى بما تبطن ، ام يرحل عنها متطيّراً من خستها ؟

ورقصت في خاطره الارقام ، كأن ذهنه لوح حساب . كم ينفق في النزل ، وكم يصيبه في مساكنة الحدباء المطماع ؟ ... ورجحت كفة العمة . كل ما سيضطر الى بذله ، في مثوى زهوة ، دون بدل استقراره بالنزل . ورضي بالصفقة مع احتفالها بالسعي للابتزاز . وقال يتكلف المرح : ساجلس الى مائدتك ، يا عمتي ، وساحمل اليك مـــا استطيب ، لتحسني إعداده بذوقك الرفيع !

فتلألأ النشاط في باصرتيها . وقعت على من يطعمها ، واضحت بأمن من حل عقدة كيسها . وصوّبت الى ابن اخيهـا نظرة البازي الى العصفور الامعط . واعلنت بجهام البشر : ستأكل مريئاً ، يا ابن اخي !

وانتفشت لفرط جذلها . وانحنى خليل تجاه المصير المكتوب ، ولا قوة تسعف على مغالبة القدر . وازداد يقيناً ان الدنيا مال ، لا عاطفة . وليس للمـــال شعور . فالاهل انفسهم يبادل بعضهم بعضاً المحبة بمقدار الثراء والنفع . وتمثل كيسه المطويّ على نقود ضامرة ،

Twitter: @alqareah

مجنّحة ، فارتاع . ماذا يكفيه ما في جيبه ، ويكفي عمته ، اذا لم يبرّ وسيم جابر في الوعد ؟

وجمع ، وقسم ، وهو ساهم ، ساهٍ . ولكن لم ينفد ايمانه بالغد. فلن تضن عليه بيروت ببلغة يذلل بهـا قسوة الصروف . وابدى البشاشة . وداعب الحدباء العجوز الشاحذة طواحنها لمضغ الطيبات . ستقضم الصفايا ، بملء شدقيها ، بلا امساك ولا رهبة. وهو مما لا تبرح منه على حرمان . والا فلا مجال لخليل حنون اليهـا ، وما تعودت العطاء ، بلا لقاء

على ان خليلاً لم يعللها بالامل الكذوب. فحمل اليهـا ، في النهار نفسه ، كل جنيّ سمين من اللحم ، واللبن ، والحلاوى . فسال لعاب زهوة فيما تغوص عيناها على الخيرات الزواكي ؛ وينتشي بشمهـا منخراها . الا انها ما تجرأت على مد يدها الى هذه اللذاذات الوزان ، مخافة ان تدعى الى اداء الثمن ، والعياذ بالله !

ولكن اتفاقها وابن اخيها واضح الحروف . عليه ان يجيئهـا بالموائع ، ولها ان تزدردها مجاناً . فمنها المأوى ، والنار ، والناب ، ومنه السمن ، والعسل ، وحتى الخل . واجلالاً لاحكام هذا الاتفاق ، مضغت العمة زهوة ، من خير الله ، وخير ابن اخيها ، طعامـاً بكر المذاق في فمها ، غير جازعة على الخبز المكسور ، واللقمة المنقرضة . وتلمظت ملياً. وشكرت للعناية رفقها بها . امسى عبئها على عاتق سواها ليت اقبل ابن اخيها ، منذ زمن بعيد ، للعمل في بيروت !

Twitter: @alqareah

٣

رأى خليل حنون الناس في عمته زهوة ، وتطيّر على كره منه. فالخسة مطبوعة في كل نفس ،وما البشر غير ذئاب يأكل بعضها بعضاً

وايقن الفتى ان الذئب ليس ذلك الحيوان المتبطن الغـابات والادغال ، في البحث عن طريدة ، يداوي بها جوعه ، بل هـذا الانسان الناطق ، المجلبب مصانعة ومكراً بالحضارة ، والمنادي روغاناً وتدجيلاً بالمروءة ، على حين تنبو طباعه عن كل معروف ورفق

انه ليقلّم اظفاره ليخفيها ، امعاناً في المداهنة . غير انـه ما يفتأ يشحذها ، في سره ، لينشبها في من حوله ، بمن يدعي كونهم اخوانه ، وما يبتغي سوى اذلالهم في بلوغ مقاصده . فالسيد هو . ولا يشتهي قومه غير عبيد في خدمته . وما لهامة ان ترتفع فتنافسه في السؤدد ، وفي ما يجرّ السؤدد من مجد وعز

هذا هو الانسان ، في عرف خليل حنون . ذئب تقمص ثعلباً ، ليجيد المخاتلة . الا ان الطبع مـا يلبث ان يكشف ، لدى البادرة العارضة ، عن نفسه ، متحفزاً للاغتيال والطحن

وود خليل لو كان غراً. وليس يخيف القوي غير الاقوى. ولكن هل لفتى في العشرين ، ما يزال واهي الضلع، ان يملك صولة الاغار،

Twitter: @alqareah

ويكاد يسترخي ازاء الحمل الوديع ؟

ومرّت الدنيا ، في خيال خليل حنون ، باحاجيها المطبقة ، في الانبثاق والانطفاء . على ان ما شغله منهـا ذلك المعبر الفاصل بين الرقدتين ، رقدة المهد ، ورقدة اللحد . فان بين القماط والكفن لفسحة غامضة ، أغلقت دروبها وكواها على الفهيم البصير . وما ينجلي واقعها في سوى موعـده. وقد يستعصي على الجلاء . وليس للنظر الثاقب ان يخترق حجـاب الغيب المنيع

واني يدري خليل انه موفق في سعيه ، وانه لن يبرح بيروت ، عائداً الى بلدته ، عاثر الجد ، كليل الوكد ؟ ... فاذا دانت له عمته ، مع عسير ترويضها ، فما هانت عليه سائر تكاليف دهره ، وبالمرصاد عقبات. غير ان الامل ، مؤنس الوحشة ، مـا يفتأ يسخو بالطمأنينة. ولن يوارب وسيم

والآمال ، في صدر ابن عشرين ، على فوران لظى. ما ان يدهمها الذبول ، حتى تنعم بالاشراق. وخليل حنون ركن اليها ، وفي مهجته من متعة الفوز خميل استبشار. فليس للشك ان يعروه ابـــداً ، والا ضاقت به مسالكه ، وحبطت امانيـه

وجال في اسواق بيروت بعينين واسعتين ، حائرتين . أتنبذه المدينة الزاخرة بامواج الخلق ، وما يكاد نزيلها يبصر فيها وجهـــاً واحداً مرتين ، وهو حيال افواج متوالية ، يدفع بعضهـــا بعضاً ، ويحجب لاحقها سابقها ، ام يأنس بجفاوتها ، ويأكل من خيرهـا ،

Twitter: @alqareah

وينقي العسر ؟

ولم يبرح يسأل نفسه عن مصيره. أيفلح ، ام يهون ؟ ... وماذا يحل به وقد هان ، ولن يتقهقر الى بلدته ،وجميع موارد الرزق سُدَّت عليه فيها ، وليس له من الذخر ما يعينه على العيش الواني ، او ما يبيح له ارتياد اميركا للعمل في اكنافها ؟ ... أيقتل نفسه ؟

يكاد آخر قرش في جيبه يتبخّر ، وعليه ان يقوم باعالة عمته ، ذات الجوع الخالد ، وبقضاء حاجاته . فهل يساعد وسيم على الانقاذ ، وينتشل المكروب من أساه ؟ ... وعادت الهواجس الى غليانها . فمحت من خاطر الجازع ، الخشيان ، روعة مشاهد الحاضرة ، المنطلقة على قدم وساق في مدارج العمران . وجهل اي طريق يسلك بين هذه الجموع المتراصة ، الملتفّة عليه ، كأنها تأبى ان تفسح له في ما بينها ، وقد تكاثر الواردون على المنهل العذب

وقاده خطوه ، عفواً ، الى وسيم جابر ، في السوق الطويلة ، ولا غنية له عن استطلاع غده . ومرّ ، في طريقه اليها ، بشارع المعرض . وشارع المعرض ، في سنة ١٩٢٢ ، بؤرة عفاريت ، ومنبسط اقذار . عفاريت في اغرب ازياء ، وانكر انغام . واقذار تعشش فيها الاوبئة ، وتعترض السائرين انى امتدت بهم القدم . هذه محلة الدركة ، رجاسة بيروت القديمة . وما كانت في ماضيها شارعاً رحباً ، بل ازقة وسراديب تغص بسقاطة الخلق ، ونتن الدرن . تلال من الاكواخ الرثة ، على تلال من الاوساخ والمنكرات . واقبل عزمي ، الوالي

Twitter: @alqareah

التركي ، يهدم زرائب الدمامة. فقوّضها وابقاها اطلالا ناعبة ، كصروح عدا عليها الزلزال . الا انه حباها النور . فبات ينفذ الى احشائهـــا وهج الشمس بسخاء

وخطر للفرنسيين ، في مستهل الانتداب ، انشاء معرض فضفاض تتألق به عظمة الاحتلال . فاغاروا على الدركة يحيون رميمهـــا . واضاء فيها العز ، ولكن لبعض الزمن . فالحجر امسى خشباً اخضر اللون . على ان الطلاء ما لبث ان خبا ، وعادت الرثاثة تستعلي . وكم توارت ، ثم ظهرت . فالمكان ضم ّ معهد الحقوق الروماني ، وهيا كل الآلهة ، وملاعب الصراع . ولم تكن بيروت ، في غابرها ، تجاوزه ، وقد نفح الكون بالادمغة الوزان

وبطن الارض ما يزال ينطوي على شواهـــد الحضارة ، وتحت كل حفنة من تراب معجزة من روائع الامس . وحمل الشارع اسم المعرض ، وما تنكر الاسم لمسمّاه . فهو معرض حضارة الماضي ، وحثالة اليوم . فكل بائس ينشر فيه اسماله ، وكل شريد يتغلغل في مدارجه . وما من احبولة للسرقة والقنص الا وتفتل خيوطها هناك

واحس خليل ، فيما يطوي الشارع ، بكونه في شبه مستنقع . ولفته الباعة الجوّالون ، وقد انتظمت صفوفهم كجيش في عراك ، وكلهم يدلل على ما لديه . هذا بائع أم الفلافل ، تحلّق عليه الحالون من كل جانب ، يزاحمون على اقراصه البعوض والزنابير . وذاك بائع مخلل ، ضرب عليه اخلاط القوم حلقة ضيقة ، كادوا يسدون

Twitter: @alqareah

بها عليه مجاري الهواء ، وهو يغمس يديه الدسمتين في الصحاف المكشوفة ، وقد حام عليه الذباب ، وتكاثف العجاج. فيبيع الخضرة المكبوسة بالخل ، ويمسح اصابعه إما بشعره الناضح بالدهن ، وإما بسرواله الغاطس في النتن

وملأ باعة الخبز المباسط والزوايا ، يتبارون في تفجير اصوات كالنباح ، وفي مطّ اشداق كافواه الاغوار . وعكف عليهم ذوو المباذل المهلهلة ، الضائعة الالوان ، يشترون منهم الرغيف . واي رغيف ، وما يكاد لرقته يبين ، وقد حفل بجراثيم جميع الادواء ، كأنه جحر المنية

وادهش خليلاً قيام المطاعم السيّارة في كبد الشارع وجنباته ، اطباقاً بلصق اطباق . وكلها مسرح للهوام ، ومنشر للروائح الحادة المستكرهة . فالجائع ، على اقتحامه مكامن الغذاء ، ينفر عنها تقززاً، بيد انها تجد بطوناً تضيفها . فالمحتشدون في المعرض ، كالنمل على قشرة لزجة ، اصحاب معدٍ صاهرة تذيب الشوك والصوّان، ولا تبالي العفونة والخباثة

واطال الفتى النظر الى هذه المشاهد المستغربة ، القبيحة الوجه والدخلة . وما تمالك ان قال : لن ترسخ الرحمة في الارض الا يوم يخلو الكون من هذه الاوجار !

وما اعلن قولته حتى فوجىء بصدمة سلّ اوجعته ، ولطخت ثوبه بالوحل . فشتم ولعن دون ان يقع على من يكترث له . فمال ،

Twitter: @alqareah

بشديد التأفف، على الحمإ ينفضه من معطفه ، مردداً بينه وبين نفسه : ما تقود الشفقة الى سوى الوبال !

وبلغ السوق الطويلة بعد جاهد الجهد ، وقد ابقى، في طريقه اليها ،نصفه. واوشك ، وهو يدوس ارضها ، ان يتحرر من كل ما يوثقه بالحياة . فخاف ان تلطمه الخيبة في متجرة سيد وسيم

وشخص له ان لا النافية تطرق مسمعه ، وان وسيم جابر يحدق اليه بعين كئيبة ، خجول ، تلتمس عن اخفاقها العذر . وبمن يستنجد وقد بلغ المرحلة الفاصلة من الاستعانة بارباب المروءة على حالته ؟... وتمثل الموت باوصال ترتعش . فليس القدر في نصرة المستغيث به

ولكن التحية الطنانة قصفت في السوق الطويلة ، لدن ظهر خليل حنون . وتدحرجت الكتلة المستديرة ، الى الفتى ، تضمه الى صدرها بنهمة ، وتبثه وافر الشوق ، قائلة بستطيل المرح : لم تفتر لي ، في بلوغ الارب ، همة . فمنذ نأيت عني وانا اتحايل على الوصول الى ما يرضيك. واستطعت ،بعد قاهر السعي، اقناع صاحب المحل بان يفسح لك في جانبي . فنعمل معاً . وتقتبس مني علم التجارة ، وفن مسايرة الزبن . وتمهد لغدك ، فتمسي من اكابر التجار . انت اسعد الناس باهتدائك الى صديقك وسيم!

وتدلل ، وماس تيهاً . ليس لمن يفزع اليه ان يكبو . وانتشرت بسمة الاطمئنان في اسارير خليل حنون تبدد كدة القلق . فالامنية اقبلت بلا عناء . سيشتغل في السوق الطويلة ، ويغنم اللقمة

Twitter: @alqareah

براحة . غير انه ودّ ان يعلم مبلغ ما يتقاضى من جعـالة ، ولم يغب عنه انه بات رب عيلة ، ولا ندحـة له عن ملء جوف عمته المتعدد الثقوب . واستوضح وسيماً بدفق من غبطـــة : أأكون رفيقك في العمل ، يا وسيم ؟

فابانت الكتلة المستديرة بفرط العجب : ستكون رفيقي ، ولست بمن ينام عن اخوانه . وما اكتسبت ، في طول ممارستي التجارة ، من خبرة ، سازفّه اليك خالصاً لوجـه المودة . إبشر . لن يتهاون وسيم ، كرمى عينك ، عن التمهيد لك الى الرغد !

وقبض على ذراع الفتى تحبباً ، وقال : وسيؤدي اليك في الشهر ، رب المحل ، ثمانية دنانير ذهباً . وهو مبلغ يكفيك الآن . والزيادة بالمرصاد . فالتاجر يدخل السوق فقيراً ، ويبرحها على جزيل الثراء . وانت ما تزال في ميعة الفتوّة ، وغدك يدل على صفيّ التباشير !

فنشط خليل الى ما ينزل مسمعه من كريم المقال ، وابان يبدي شكره الحفيل : ما شككت في صادق معروفك ، ووافي اخلاصك ، يا صديقي . فمنذ ابصرتك آمنت بجهام المبرّة . وستلقى مني ما يدلك على مناعة الحفاظ . وليس لي ان انسى ، مدى العمر ، جميلك الحميد !

وتعانقا عناق الاخوّة ، المتكارمة عن ضعة المنّة . وتمايـل وسيم بباب المحل يعرض على الانظار كل ما يرتع فيه من استدارة وجه ، وبطن ، وغلاظة عنق ، اشبه بغانيـــة في معرض الحسن . بات في اوج عليائه

Twitter: @alqareah

ودفع خليلاً الى رب المتجرة الكهل، الاشمط، والناس لديه بمقدار ثروتهم، لا بوفور علمهم وجاههم. فلقد كواه اصحاب العلم والجاه بما ابتزوا منه، دون ان يجنحوا الى وفاء. ورضي عن طلعة خليل حذرٍ. وقال بلسان المجرّب، النصيح: وسيم حدثني عنك بما فيه الكفاية. فكن على قدر شهادته بمزاياك. ان المكان لمكانك ما دمت فيه ذا امانة وجهد!

والتفت الى وسيم يقول: عليك بتدريبه. انت جئت به، فوجّهه كي يستوي على دراية. اذا احسن، فلنا ولنفسه، وان لم يستقم عوده، فالتبعة عليه!

فانحنى خليل يعدُ بطيّب الجنى. وتواثب عالياً في صدره الامل. ونضّ، في خياله، شبح عمته زهوة، فما ارتعد. بات بوسعه سد جشعها. واصغى، باذنيه جميعاً، الى وسيم جابر. ولهذا المنقذ ترهف الاسماع. قال وسيم يطلعه على ما سيتولى من مهمة: اتفقت ورب العمل على ان اعهد اليك في الوقوف بباب المحل، لدعوة طلاب الشراء الى الدخول. وعندنا ما يستأنس به الجميع، من رجال ونساء. وما تخفى عليك كلمات الترحيب. غير ان المرأة تحتاج، مع الترحيب بها، الى بعض ابتسامة، كي تركن الينا. فالابتسامة لها مصيدة، فلا تضنّ بها عليها. وكن ابداً جميل الشكل. فالاناقة تغري. ولا بأس بتسديد النظرة الفاتنة، وما نحن في السوق الطويلة كي نصلي، وننعم بالغفران. فالعيال، في البيت، لا تشبع اللقمة اذا لم نجد ضحايا

Twitter: @alqareah

نستصفيها ، فيما نتبادل واياهـا البسمات والمجاملات ، كأننا من الاصدقاء القدامى . وغداً ، يوم تبرع في الحرفة ، يتولى سواك دعوة الطرائد اليك ، وتتوفر انت على امتصاص دمهـا . فالامر موقوف على براعتك في ولوج هذا الباب !

فروّعت قولة وسيم خليلاً . أتكون المتاجر مسالخ ? ... وما غفل وسيم عن نبضات خاطر الفتى ، فقال : ليس كل ما لدينـا من البضاعة نافق السوق . فقد يجمد منه ما يرمينا بالخسارة. واذا لم تكن ثمة معادلة ، بين النافق والكاسد ، انتهينا وشيكاً الى العدم . فنسلخ ، يا صديقي ، لنتقي أنيار الزمن بنا !

وضحكا معاً . وتابع وسيم : لا تخجل بما نعهد فيه اليك . فالمصلحة حاكمة . ولا محيد لك عن صعود السلم درجة درجة . والوثوب الى القمة محال . وستشعر ، في ما تعتكف عليه ، بلذة وارفة . فالشرق العربي باسره يلوح، في هذه السوق ، لعينيك. فتبصر السيد ،والمسود. مالك الثروة، وخالي الكيس. القسيم، والشنيع . وعليك ان تبش للجميع . مع ان التجارة لا تطيق المملقين !

وحدثه عن الغواني ، وما يلتمسن غير الطريف ، حتى اذا قادهن الى الضيق . قال : ليس للصباحة مذهب عن السوق الطويلة ، وهي محجتها . فمـا تنهد ذوات السنى الى سوى التول فيهن انهن يشترين النسيج،والعطر ، من هذه السوق الحافلة بالغلاء . فالرخص مزدرى في عرفهن . مما يحملنا على الغلو في الاسعار . فالغلاء ان يكن مفقوداً،

Twitter: @alqareah

فعلينا ان نخلقــه ، والا اعرض طلاب البدل الفاحش عنا . فالهيام بالثمن الباهظ زيّ لا ينقضي . فلنكن من المروّجين له ، وضمائرنا براحـة . وستلوح لك القدود الهيف ، والوجوه الغرّ ، والصدور المنتبرة ، والارداف الملس ، والخطوات الرشيقـــة ، والنظرات الطافحة بالاستدراج . فاملك المناعة ، فيما تتكاف الصبابـة . والا جننت بليلى ، وقد تكون مجنونـــة بسواك . أما تزال بعيداً عن النساء ، يا خليل ؟

والحديث عن النساء لحمة كل حديث . وببيروت موكب ولوع ووجد ، تتراءى فيها المرأة حاجـة ملحّة . واذا تنكبت عن مجلس رمته بالسأم . فلا معدى عن لألائهـا كي يضي الانس. وخليل يكاد يقيم من المرأة على نضوب . فقضى ، في بلدته الجافة المعين ، عنفوان عمره . والمرأة اذا تحركت ، هناك ، ابصرها الجميع ، وتغامزوا عليها والويل لهـــا اذا ابتسمت . اما اذا قهقهت فالاستهتار بعض ما تنعت به من قباحة . وللنجاة من الزراية ، تتكاره على امتلاك نفسها. وخليل حنون ، وقد عاش في هـذه البيئة الصلود، ما يبرح حريصاً على عذرته . وتورّدت وجنتاه خجلاً ووسيم جابر يميل به الى مبحث النساء . غير انه ابتسم ولم يجب ، كأنه يشتاق الثمرة المحرّمــة ، ويحترس من مذاقها . فادرك وسيم انه حيال فتى بكر ، لم يتلطخ بالرجس . وضحك وقال : هذه النصاعـــة ، المقدورة عليك في مثوى الشربين والصنوبر ، ستبددها بيروت تفاريق . فلست اجهل وعورة

Twitter: @alqareah

المتعة في الطود الاثم". اما هنا، في بيروت الباحثة عن اللذة، فسوف تتطاير نصاعتك في مهب كل ريح!

فاعتصم خليل بسكوته، وما يزال على خفر. الا ان فيه للهوى المرعى الخصيب. فان يكن عفيف الثوب، فلم يسلم قلبه من فورة جوى لا يخمد سعيرها. وهل له ان ينسى تلك السمراء الطويلة القوام، المنسجمة الهيكل على براءة من البدانة، السوداء العينين، وقد شغف بها في مستقر فتوّته، ولم يدرك منهـــا غير نظرات تختلج افتتاناً، ولكنها لا تطفىء جمراً، بل تزيد اشتعالا؟

أحب خليل حنون دون ان يهنأ بلذاذة هواه. وكان ذلك الجدار العالي، في ساحة بلدته، حائلاً بينه وبين من تنزع اليها مهجته. فلا يجرؤ على الانسلال الى منزلها ليخاطبها باشواقه، ولا تسنح له النهزة في لقاء يسعف على الافاضة بلواعج الوصال. وجلّ ما اعانه عليه القدر، المانع تمام البهجة، ان يلمح من تهيّمها فؤاده كلما مرّ بمنزلها في انحداره الى الساحـــة، او في ارتياده السوق، وعاد منهما الى منزله. وله في الشخوص اليها، في نهـــاره، متعدد الخطرات. فتلوح له قانصته ابداً، هناك، ناظرة اليه بعينيها الفاحمتين، وكأنه واياها على ميعاد

ويستلّ من ناظريها بيان تحديقها اليه. وهي بنفسها لفتته اليها، وقد تعمدت ان تطلق فيه لحاظها الصائدة. الا ان الفمين تنزّها عن كل نأمة. وطال هـــذا الحب الاخرس ثلاث سنوات دون ان

Twitter: @alqareah

يكشف عن طويته . وما نسيه خليل حنون في هبوطه بيروت ، ولم يزل على دين فاتنته السمراء . قال يحتشم ، وبسمته الحيية تزين على ملامحه : ما شاقني العمل ، في بيروت ، للبحث عن المرأة ، يا وسيم ، بل للقاء اصدقائي !

فاعلن وسيم متخابثاً : وما يمنع من احراز الشهوتين ؟

ولكن مقعدة الجدار العالي ، في البلدة الخضراء ، ما فتئت تسد بغفواتها ، على خليل حنون ، مجاله الى يانع الثمار . ومضى وسيم يقول : بيروت مهد الغرام . فان لم تعشق فيها ، فعليك ان تتظاهر بانك صب ولهان ، على غرار من يتحامق مع الحمقى . والا رذلتك البيئة ، فتحس فيها بانك غريب . ومن بواعث نجحك ، في التجارة ، ان تميل بكل امرأة الى الايمان بكونك تهواها . فترضي غرورها ، وتلقى لديها الرحابة . أترى هذه الشقراء ؟ ... انها لتكاد تكون في الخمسين . بيد انها سكبت على جسمها من العطور ، ورشت على وجهها من المساحيق ، وارتدت من الثياب الزهر ، ما تجنح به الى اقناعنا بانها ما تزال في العشرين . وعلينا ان نوقن ، في حضرتها ، بكونها تفاحة نضرة ، في ريعان الفتوة . والا قاطعتنا ، وحبت الى محل آخر يمتدح فيها الروعة والشباب . فمن الضرورة ان نكذب لنعيش . والتاجر يحيا في خضم من الاكاذيب !

ودنا وسيم من ابنة الخمسين ، المتصابية ، ينحني بين يديها ، ويبتسم مرحباً ، داعياً اياها الى دخول المحل ، وقائلا بوافر الاكرام : جئتنا

Twitter: @alqareah

بكل جديد . فليس لسيدتي الا ان تختار . فالذوق والاناقة على طفاح . ولن تكون الا راضية عنا !

فلم تكترث ابنة الخمسين للكتلة المستديرة ، مع ابتسامتها هـا ، بل رنت الى خليل حنون بعينين شرهتين . وراقها انه ما يزال جنيناً . فلم يساوره المكر ، ولا اعتصره الاثم . ففي خد حمرة تشفّ عن نضارة . وفي نظراته طهر . ودخلت ولحاظها في الفتى . ونمّ مظهرها على فاحش الثراء ، وعلى انغماس في الملذة . فما يبرح الكلف بالنشوة الحرام يتضرّم فيها ، كأنها ما تزال من كأس الشوق على مستكلب العطش

وبدا خليل ، ازاءها ، كالعصفور في مخلب الصقر . ودهمه الخجل كالعذراء الحيية . فما تعوّد ، في بلدته ، رؤيـة هؤلاء القانصات الوقحات ، وما يتماسكن ، على رؤوس الملأ ، عن جرّ اليفعان الى المحرّمـات . وتجلت له بيروت ، تتسابق الى المعاصي ، في تهتك ابنة الخمسين . ولقد سمع مراراً ، في مجالس بلدته ، بانتحار الفضيلة في المدينة المتلبدة بالنزلاء . فكانت تنعقد في البيوت ، وفي الساحات ، والمقاهي ، حلقات التفكه بفحيح الشهوات في العاصمة . وهذا هو الدليل يذيع الحكاية بفم ملآن

ودرجت ابنة الخمسين ، الى رب المكان ، تسأله عن نسيج من الاطلس . وما انفكت ترنو ، الى خليل ، بباصرتين تسيلان ولعاً باقتطاف الوسامة عن أماليدها . كالواقف تجاه كرمة مثقلة بالعناقيد

Twitter: @alqareah

الضواحك ، وفي حلقه ظمأ، وفي معدته جوع

وظهر فيها ،امن ضمهم المحل ، مستعر الرغبة في الاستيلاء على الفتي . وكيفما تحركت بحثت عيناها عن عينيه . ودعا صاحب المحل ،السيدة الخضراء المهجة ، بما تبتغي من كريم النسيج . غير ان خليلاً، وحده ، كان مبتغاها . فتخاطب رب العمل ومقلتها في خليل ، وبسمتها له. كأنها لا ترى سواه في المتجرة

وانصرفت لتحيي الفتى بملء شفتيها وحدقتيها .ولتحدجه، قبل ان تتوارى ، بنظرة افتتان صارخة . فاغار العاملون في المحل على خليل يهنئونه ، هاتفين باعجاب : نبارك لك في بعيد سلطانك عليها . فلقد اسرتها . وستقبل ابداً الى المحل في شراء حاجاتها . وما تلتمس سوى مرآك. فاحسن اعتصارها،وهي من ذوات اليسار !

وعانقه وسيم جابر بفرحة ، قائلاً له بوفور رضى: هكذا اريدك. فان لم تكن ذا سيطرة عليهن ، وخصوصاً على هذه الفئة المتصابية ، فانك لتضيع الايام سدى !

فاعتز خليل باقتداره على التأثير في قلب المرأة ، وبكونه صالحاً للاشتغال بالتجارة في بيروت ، ولاسيما في السوق الطويلة . وتمثل له غده على اشراق . لن يعبث به القدر في مستقبله ، كما عبث به في ماضيه . فالآتي سيعوضه من كوارث الامس الغاشم

واعلن انه سيبدأ منذ غد العمل . فلينتظره وسيم . وانتقل الى عمته لمجاهرتها بالبشرى . ولكن قبل الاندفاع ، الى العمة زهوة ،

Twitter: @alqareah

لا ندحة عن القيام بالعهد . واقتلع من كيسه آخر قرش . فلا عليه اذا انفق كل ما يحوي جيبه ، وقد اضحى بمأمن من العوز. واشترى افخر المأكول ، غير آسف على البقية الباقية من دريهماته. سيستدين من وسيم ريثما يتقاضى مرتبه . او يبيع ساعته ، او خاتمه ، او بعض ثيابه . فالفرج بات ملء الراحتين .

وهفا الى العمة آمناً نظرات المقت والخسة . وكان النهار قد تعب من نشر جناحيه ، فطواهما . وبسطت العشية كمدتها الساجية ، الرفيقة ، تهب للمتعبين، من كدح يومهم، علالات من راحة وسكون

والعمة زهوة تقيم بحي" التينة ، الحافل بالرثاثة ، كأنه شهد طوفان نوح . واذا ارتفع فيه مأوى ، على بعض إناقة ، فالاكواخ البالية تكتنفه من جوانبه جميعاً . هذه بيروت الغابرة تنبض في العين ، وقد عطلت من كل حسن وهندام . وتبطنت زهوة ،من تلك الخلايا الخائرة الوجه والدعامة ، حجرة سوداء السقف ، عاطلة من الانسجام في جدرانها ، وبعض حجرة اشبه بفوهة الدهليز ، تعد" فيها طعامها ، يوم تسخو على نفسها بأكلة تضرم تحتها النار ، وتغسل فيها ثيابها يوم تضيق بنتنها، فتتكاره على وداع الاوساخ .

ولم تكن زهوة تجلس في صدر حجرتها ، ولا على مقعد بجانب الباب،لئلا تذهب بمتانته ، بل تجثم بالعتبة ، كأن فرجة خليتها مسكنها . ولا تتكىء على وسادة ، ولا تقتعد ثوبها ، بل تنشر حولها اذياله ، وتلصق لحمها بالحجر لئلا ينسل المهلهل ، ويحتاج الى رقاع على

Twitter: @alqareah

رقاع .

ومن العتبة ، ترصد العمة زهوة ، تلوح للعينين ، المستقرتين ابداً على حذر، اشباح المارة. ويقع،في المسمع الرهيف ، صراخ الباعة . فتدعو زهوة اليها حامل طبق الكعك،وتجادله في ثمن كعكة لقاء قرش ، او قرشين . وتلح في الحصول على قبضة ملأى بالصعتر اليبيس المسحون ، وهو لديها سيد الطعام ، لكونه رخيصاً ، ويتهادى اليها ، احياناً ، بلا بدل .

وتطمع ، فيما تشتري كيلة من الترمس ، في بضع حبات علاوة على الكيلة ، لتستلذ بكونها اخذت فوق ما اعطت . وانها لتجد نفسها ابتاعت خروفاً معلوفاً عندما تؤدي ثمن ضمة من الفجل .

ولا يكل لسانها عن لعن الغلاء ؛ والنيل من رب الامر المتهاون في انصاف الناس من فحش الاسعار . فيكاد بيتها يخرب، هي الارملة المستورة .وترقب المستجدين لتحصل منهم على كسرات الخبز بالبدل البخس . وليست مضطرة ، الى ثقب جيبها ، في شراء رغيفها .

وابصرت ، من بعيد ، خليلا ابن أخيها يداف اليها.فاختلجت بعاطفتين متنافرتين ، بالوهلة وبالطمأنينة . أيكون خالي اليد مما ينقع النهمة ؟ ... وحامت مسحة من ابتسامة على شفتي الحدباء المزمومتين . لمحت ، في يد خليل ، رزمة ليست تدري ما فيها . لا ريب انه يحمل الى عمته عشاءها .

وسال لعابها تشهياً، مع نضوب حلقها . وبلعت هذا اللعاب

Twitter: @alqareah

امعانا في التشهّي . بمَ ينفحها ابن اخيها ؟ ... وأيقنت انه جاءها بما تستطيب . فنهضت ، على حدبتها ، ترحب به ، وهي تجاهد ، لدن وقفت ، في رفع عينيها اليه . الا ان هاتين العينين ، النافذتين الى الاعماق ، جاوزتا الرزمة اكثر منها خاليلا . وشعر الفتى بالجشع الصيّاح في عمته ، فابتسم ، ودفع اليها الرزمة يشفي بها فضولها ، معلناً بحلو البيان : اليك بما رأيت ان نستعين به في هذه الليلة ، يا عمتي !

فعانقت الرزمة قبل ان تعانقه . ان خليلا لذو فطانة وكرم . وهتفت بفيض من أنس : لتقبر عمتك ، لماذا كلفت نفسك هذا التعب ؟ ... لست بحاجة الى التبذير ، ولديّ من خيرك ، وخير الله ، ما يكفينا !

فما استطاع الا ان يضحك مما يسقط اليه . فكم من شاسع الفراسخ تقصي قولة عمته عن شعورها . وتكلم بمستطيل الفرحة يبثّ العجوز ، الخشيا على رغيفها ، الامان . قال : يشوقني ابلاغ عمتي ان وسيم جابر ، صديقي الامين ، مهد لي الى العمل في السوق الطويلة . ومن حقها ان تطرب وساتوفر على اسعادها !

فصاحت بمتألق الغبطة ، وهي تضم الى صدرها رزمة المآكل كما تعانق ولداً حبيباً : قادر ربي ان يهب لك ، من دنياك ، حظاً تبيت به السوق الطويلة باجمعها ملكاً لك خالصاً ، يا ابن اخي . أحييتني وانت تسوق اليّ البشرى . فالحمد لله ، ولم يمسك مراحمه عنا !

Twitter: @alqareah

وطاب لها ان تناهض حدبتها، وان ترفع عينيها الى السماء شاكرة. فتقاصرت الهمة عن المطلب. فاكتفت بان تتنفس الصعداء ابتهاجاً، كأنها من الضيق في مهلكة. وأسرعت الى فتح الرزمة، فتضوّعت في انفها رائحة معنبرة لم يسبق لها ان نعمت باستروائها، مع غالب سعيها للطواف بمطابخ الجيران، في استنشاق اعراف المآكل الطيبة. وكاد يغمى عليها لفرط النشوة. وتمنت لو ازدردت وحدها الطعام اللذّ، فلا يشاركها منه ابن اخيها في قضمة.

وقهرت ما يرين على حركتها من عسرة. فمالت بجهد فتيّ، على طبق كامد اللون، غائر في القدم، تبسط عليه مفلول الصحاف لالتهام الاكلة السمينة. ودعت ابن اخيها الى المأدبة السخية، معتكفة على الاكل بنهمة المقيم اياماً على الطوى. وأكلت ولم تشبع، وأكرهت بقايا اضراسها على طحن اللقمة بعجلة، لئلا يسبقها في الازدراد ابن اخيها. وما خيبتها فيه الانياب، لجأت في نهشه الى البلع، لئلا تفوتها نواضر الوليمة.

وعدّت على ابن اخيها لقماته وهي تغصّ. ما به يلحف في قضم ما جاءها به، غير حاسب حساباً لهذه المعدمة المهجورة، الجائعة بقربه، ولا للمفروض عليه في مقابل السكنى؟

وأكلت حتى كادت تتفزّر. وما برحت تحس بكونها جائعة. وآلمها ان يمضي خليل في البلع، وأن تتقهقر ابداً عنه في الشوط. وحشدت ما بقي من فتات في خزانة سوداء الاديم، لفرط كرور

الايام عليها . وأقفلت الباب بالمفتاح . وأخفت المفتاح في جيبها .

اهتدت الى كنزها . وسلم مالها . فما يبرح لها ، في ذمة الايام ، بقيا من نعيم

Twitter: @alqareah

٤

بدا خليل حنون ،في السوق الطويلة، اشبه بزهرة تفتحت ، في الفجر العابر ، عن اكمامها . فتصبو العيون الى رؤيتها ، والقلوب الى الاغارة على متعة اريجها ، وما تبرح معتصمة بنقاوتها ، وبريعانها .

ورأت فيه المترددات الى السوق الطويلة ، تمثالا من تماثيل النضارة . فاستطبن الحومان عليه في بسمة يقتنصنها منه ، او كلمة يخاطبهن بها . وازدحمن ،في مقر عمله ، يشترين النسيج والعطر بالبدل الوزين . وجلّ مشتهاهن رؤية خليل ، الانيق ، اللطيف .

وبرع الفتى في المسايرة ، فزاد في استهواء عاشقات الصباحة . وتداعت بينه وبينهن الكلفة ، فاخذت تعلو في المحل القهقهات المداعبة، يفيض بها خليل ، فتأنس بها صائدات الوسامة .

واغتبط صاحب المتجرة بما بلغ الفتى من مهارة في الحرفة، وبما درّ به مجهوده المبرور على المحل، فبالغ في التودد اليه . وأسمعه انه سيزيد في مرتبه ، ويرفع من مكانته ، وليس له ان يتجاهل الموهبة .

على ان التودد والوعد لقيا،في نفوس رفاق الفتى في العمل ، أليم الصدى . فالحسد شمّر عن ساعديه . والحسد نافث الحقد . والحقد معدن الكيد . فبات الرفاق يلتفتون الى خليل شزراً، او يتظاهرون

Twitter: @alqareah

بانهم لا يرونه احتقاراً له . فاذا خاطبهم ابدوا الصمم . واذا اجابوا شاع في مقالهم الضغن . ولم يبرأ منهم ، من علة النفرة ، غير وسيم . فدافع عن خليل بحرص الامين على المخالصة ، قائلا للموتورين : تشبهوا به في حسن سعيه واقتعدوا مكانه . فالسعد يمشي في خدمة اللبيب !

فابانوا بحنق : انت تصون احدوثته لكونه غرستك في هذا المحل . على انه سيعقرك . وربما كنت ضحيته الاولى . وهل يخفى عليك ان عائدة الكلب العضّ ؟

فضحكت الكتلة المستديرة طفاح شدقيها . فالحقد يستمرىء الاغتياب ، ويعيش في كنفه ، وهذه بيئته . والتفت وسيم الى اخوانه يقول ، بعد ما ادى للقهقهة حقها من الانطلاق المديد : خليل ليس بمن يجحد المعروف ، وقد عرفته يذكر الفضل والحسنى . واذا رأيتموه يبشر بالغد المستطاب ، فانهجوا نهجه ، وانتم الراجحون . ما ظهر فينا الا ليدل ، بصادق وكده ، على سواء السبيل !

فما انفكت البرطمة ترتسم في الاسارير . وسيم جابر يؤثر عليهم جميعاً خليل حنون . ومضوا في الطعن على الفتى بلا تؤدة ، مما زاد في سخر وسيم بهم . فنبروا يحرضونه على خليل : انك لتضحك اليوم ، بيد انك ستبكي غداً . فمن ازجيت الينا اشبه بالذئب في القطيع !

فهاله ما يسمع . وودّ ان ينقطعوا عن التهشيم . الا ان سوء الظن انتابه . فهو في دنيا تهيم بالاحسن والاكمل ، وتعرض بهما عن

Twitter: @alqareah

الحسن والكيل. فما يدريه ان رب المحل لا يضحي به ، ازدلافاً الى خليل حنون ، وقد لقي فيه مورداً روّياً جديراً بالتفضيل ؟

وتولته الكمدة والريبة . وكاد يمشي في الناقين . على انه تريث. فليس للشكوك ان ترعى في خاطره . وصارح الحردين بقوله :جاوزتم في سوء ظنكم الامد . انا وخليل صاحبان . ولن يفرق بيننا الزمن !

وأكره نفسه على الهزء بهواجسهم . مع ان ضميره اعتكر ، وكاد يصاب بدائهم . فالقوة تخيف ، وتبعث على الحذر . وما يقف بخليل، وهو على فطانة ، وبهاء ، وجميل منطق، ان يبلغ في المحل القمة،فيبيت وسيم ، بعينه ، دونه ؟

واضطرب ايمان وسيم بالمودة. هل جاء بمن ينافسه،ويحطّ من شأنه في متجرة السوق الطويلة ؟ ... وامتدت عيناه الى الغد برعب ، وخصوصاً وهو يرى ازدحام الغواني حول خليل حنون ، ويلمس ارتياح صاحب العمل الى ما ينعم به محله من اقبال دفاق،مهد له خليل بطلعته ، وبطالعه

وابنة الحسين ما كانت تطيق التنائي عن المكان الباسط ظله على الفتوّة البكر . فما ان تغيب ، حتى تطلّ ، بدعوى شراء النسيج الجديد . وتقضي في محادثة خليل ما استطاعت . مما اضحى به الفتى مطلعاً على خفايا ضميرها ، كأنه رفيق العمر

وزفرت وارشدت الفتى الى قلبها . فهي مظلومة في خفقة الوجد.

Twitter: @alqareah

فبهت خليل . هل لابنة خمسين ان تطمع في غرام ذي لهب، وقد ولى الشباب ، ودنا الهرم ؟ ... على انه اصغى ، بادبه الجمّ ، الى ما تذيع في مسمعه ذات التصابي . قالت لا تكرم وقار سنها: تزوجني من لا يكترث لي ، وقد فصله ماله عني . فهو من ارباب المصارف الاثرياء. يغدو في الصباح الى ذخره ، ويعود في المساء ليخلو بنفسه في عرض اعمال نهاره . كم بلغت ارباحه ؟ ... وهل تولاه الغبن في ما عقد من صفقات ؟ ... وما نبرح ، منذ ثلاثين سنة ، على هذه الوتيرة. فأضعت اجمل ايام حياتي على جفاف من لذة الالفة ، كأني والوحشة نجيّان . ورفعت الصوت اطالب بحقي على المستأثر بزمني . فكنت اشبه بمن يضيء شمعته في وهج الشمس . فتصامّ زوجي عني ، وما يفتأ ماله معبوده . فبكيت نداوة سني ، وقد تلاشيت في العزلة . ولكن حب الحياة ما يفتأ يهيجني اليه . وأبصرتك ، فطاب لي ان استعيد سالفات الليالي !

ورانت على شفتيها ابتسامة تحفل بلجاجة النداء . اما يرقّ خليل ويرحم ، فينعش القلب العاني ؟ ... ولو شاءت لذرفت دمعة ،والبسمة والعبرة طوع يديها ، وليس لهما ان تحرنا في الاذعان

ونظرت الى خليل تقرأ في باصرتيه وقع سؤلها. فراعت الصراحة الوقحة خليلا . وحدق الى ابنة الخمسين بدهش . اي سورة ترتل في مسمعه؟ ... لم يتعوّد ان يلقي اذنه الى هذا الافشاء المحموم . فهل للزوجة ، وقد اختارت بعلها ، ان تغدر به لكونه يغلو في الالتفات

Twitter: @alqareah

الى شؤونه ؟ ... الا اين الامانة ، وقد صارت الى هـذا الدرك الدون ؟

غير انه فطن الى كونه في مدينة ، وفي المدن اباحة تتماسك عن الغرق،في قاعها ، الضياع المعتصمة ببقية من حشمة . ولكنه ، مع يقينه انه في بيروت ، تعجب من هذه الاستطالة عليه . فتحدثه امرأة ، في سن الكمال ، بكونها تشتهيه،وتريده لها عشيقاً . قال يبدي النفرة مما يطرق سمعه : لا افهم كيف يطيب لسيدتي ، لدن ابصرتني، ان تستعيد سالف لياليها !

قالت وما انفكت تستعطف : اعرفك على سعة من ادراك . فما بك تتجاهل ؟

فأجاب ببادي الامتعاض : يؤلمني ان تكون سيدتي ضاعت عن هدفها !

فاحست بدامغ المضض . أيفلت من قبضتها ويزدريها ، بعدما تراءى لها انها ملكت امره ؟ ... ولجأت الى سلاحها الآخر ، الى الدمعة. فاطلقتها لساناً شاكياً،مستجيراً،تتهالك بها على غزو القلب المتمرد، قائلة بلوعة : أتنبذني ، يا خليل ؟

وامتدت يدها على عجل الى منديلها تمسح به عينيها المغرورقتين. فخجل عنها خليل حنون . ونظر عفواً الى من حوله . فاذا بجميع من في المحل يشخصون اليه ، وإلى المتصابية الشمطاء ، بابصارهم الساخرة ، متغامزين على الجهالة المتمادية في العبث ، حتى بعد فوات

Twitter: @alqareah

اوانها

وودّ الفتى النجاة من الورطة بكل ما أُوتي من لياقة، ولباقة. فهمس في اذن ذات الاشتياق المتحدي الامد : سيدتي ، ارفقي بنفسك . كلهم ينظر الينا . فاتقي الفضيحة !

فما التفتت الى سوى شهوة حسها . فالكهولة الذابلة تطمع في مواهة الشباب . قالت لا تكترث للنظرات المسددة اليها : ارأف بي، ولا عليك عواذلي !

واستغاثت منه به ، مفتتنة بيعة الشباب اللدن . فلا تغضّن في الجبين ، ولا تقلص في البشرة ، ولا تضخم في الانف ، ولا بياض في الشعر. ما ثمة غير نقاوة ولين ، اشبه بالرغيف الساخن ، الاحمر الوجنتين ، ومايبرح ينفض منه قبلات النار . فارتبك خليل حنون، وامتدت يده الى ساعته ، وهو في شبه دوار. وغلى دمه في جبينه ، وفي وجنتيه ، كمن اوشك ان يختنق ، وقد سدت عليه مسالك الانفاس

وما خفي على ابنة الخمسين اضطرابه . فلاحظت عليه ان يده ترتجف ، وانه ما ألقى النظر الى الساعة لسوى الاعلان ان الوقت طال ، وان عليها بالانصراف . فلن تبلغ منه حاجتها ، وهي تضرب في الصلب الصلد . الا ان بضاضة اليد ، ولدونة الانامل ، البريئة من العقد والفلول ، زادت في شغفها بالصباحة الماثلة لها، فلجّت في الاستقرار بجانب هذا السليم العصب ، النافخ فيها الدفء . وآلها جموده حيالها ،

Twitter: @alqareah

وما رقبت فيه الممانعة العجراء . فرشقته بنظرة عاتبة ، بيد انها مـــا تفتأ تسترحم ، وقد سال فيها الرقّ . فما ظفرت من المبتغى بطائل ، والفتور ظل مضروب الستار

وأدركت الشمطاء ، الملتهبة الصبابة ، ان عليها ان تبتعد عـــلى اخفاق ، ولن تحوز الملتمس النديّ . فجمعت نفسها ،متأهبة للرحيـل بلذعـــة الكابي . وغمغمت ، وفي عينيها جفاء وشكوى : شكراً ، يا خليل !

وخضبت المرارة القولة اليائسة. وتناءت ذات الخمسين وفي خطورها متأجج الحيرة . افلتت منها النهزة . ورمت خليـلا ، فيما تتوارى ، بنظرة قاتمة تحترق بها حسرة وغيظاً . وتجلى لرب المحل الموقـــف الشائك . فدنا من خليل يقول له بابتسامة خضلة : هـــل احرجتك فتبرمت بها ؟ ... عفواً عنها . ان بعض من يبلغن هذه السن ليرجعن باشواقهن الى لهبة الصبا . فلا تبالغ في جرح عـواطفهن . نحن هنـا لنتاجر بكل ما عندنا ، حتى برجولتنا . فما الزمن غير مورد عابر . فلنجتهد في الكسب ، من معينه ، بجميع وسعنا !

فالامثولة تعاد وتستعاد . لقنها وسيم جابر خليلا ، وها هوذا رب المحل يجهر بها. فالناس ، في دنياهم ، لحشد المال من كل سبيل . فانى تقع عليه ايديهم ، فهو مباح . ولا يبالون بما يعروه من لطخة. فالمنشود ان يستقر براحتهم ، حتى اذا وصمه الشين . فهال خليلا موت الضمير في الناس . وأيقن ان المال افسد الارواح ، وان عليـــه ، اذا شاء

Twitter: @alqareah

مشاطرة القوم عيشهم ، وثراءهم ، ان يجاري التيار. فينافق ،و يحتال ، ويداجي ، ويغش . فيخدع كل من يقبل اليه في حاجة، ليسرق ماله . والا فاتته اللقمة ، وقضى ايامه خميصاً

ولم يألف هذا الرثاء كله . انه لمدعو الى ما ليس يطيق . ومال الى التراجع . لن يبقى في متجرة اشبه بجحر الاخنـــاش . ولكن يتراجع الى اين ؟ ... فالطريق مسدود عليه من جهاته كلها. فان عمته نفسها لا ترتضيه ضيفاً عليها،وهو صفر اليدين . أيموت جوعاً،فتعرض عنه الابصار ، وتركله الاقدام؟

وتأفف .وأيقن، بعد طول روية،ان من الخير له ان يكون من الناس . فما دام معجوناً من هذا الدقيق ، فلماذا يختلف عنه لونـــاً ومذهباً ؟ ... فالمكر قوام الحياة . المكر ببعض الدهاء . فيلاطف ليقضم ، ولكن بانياب تكتسي اللبد . ويجامل ليذبـــح ، ولكن بسكين يعلوها المخمل . وهكذا يصبح من طغمة البشر ، حتى ومـن الاخيار !

والا ... والا ... وجالت في خاطره حدبة عمته زهوة ، ونهمتها المتطايرة ، فاستعاذ بربه من شر ما خلق .غير ان عمته ، اذا ما عرضها في سمط الخليقة ، شبيهة الروح بكل من تختلج فيه جرثومة الحياة . وما لنفس ، اذا خلت الى سويدائها ، ان تعلو اخواتها . وهو،خليل حنون ، لولا انفته ، لكان من الزمرة الدنسة . اذن فلتمت الحميـة لاجل اللقمة المضمونة ، والعيش الرغد !

Twitter: @alqareah

ولم يحتمل هذا الانهيار في الطبع . ولكن اما خدع عمته ، متظاهراً تجاهها بالغنى ، كي يفوز باقتعاد مأواها ؟ ... ووراءه الانحطاط في اخلاق ذوي اللحم والدم. اما وهذه سجيتهم، فسيكون مثلهم، ما دام منهم. الا انه ما زال يحترس . فلن يغوص في الحمإ حتى يغيب فيه . بل سيستبقي من شممه بعضاً من ظل. والشبع افضل من الطوى

وسلك، مضطراً، الطريق العريض، ممعناً في التودد الى زبن المحل، مبالغة في اجادة القنص . فالرغيف هذا صعيده، ولن يبتلّ بعرق الجبين، الا وفيه رشح" من إسفاف. وتهالك خليل على الاتجار بلسانه، وبضميره، وبشبابه، يعدو ما سلف منه . كسلعة صارخة الالوان، تغالي في الاستهواء بزخارفها، لتباع وشيكاً في عالم يعبد الدينار، كأن القرش إله!

ولقي اكرام صاحب المتجرة في مقابل مجهوده المستطيل. فما اضاع رب المكان درهمه، وهو ينفح هذا العامل الامين بالجعالة الموقوفة عليه. وتتابعت، الى المحل، اسراب ذوات الرشاقة والبضاضة . وأنعمت العذارى النظر في بنصر خليل اليسرى . أيكون هذا الناشئ اللبق مقيداً بالزواج ؟ ... على ان البنصرين الاثنتين خلتا من الاصفاد . فالشاب مطلق الرسن . وللعذارى ان يساومنه على نضارته . وللمتزوجات ان يسعين لاصطياده ما اتسع لهن اليه، ولن يجدن ذات اعتراض

Twitter: @alqareah

وعادت ابنة الخمسين ، مع يأسها من العائدة .فلم تطق البعاد عن الفتوّة البكر ، الشهية القطاف . وتذوق المحل حلاوة الجنى . والتفت صاحبه الى خليل التفاتة الايثار، يرفع مرتبه ، ويعلي مرتبته ، كما وعد، وقد عهد اليه في خزانة المال . فهاج لظى الاحقاد . فالكره والحسد استنسرا في رفاق العمل ، يتعاونان على المجتهد المقدام ، كأن لم يكفه ما اعطى من نفسه ، ومن سلامة طبعه ، كي يبلغ هذه الحظوة بامان

على ان كمدة المستخدمين، اخوانه ، باتت لديه اشبه باللغو ازاء رضى صاحب المتجرة . فالمحل تنفس بنشاط . وهناك ، في حي التينة ، في الحجرة القاتمة ، المكسوة بغبارها، شاعت الطمأنينة في خاطر العمة زهوة . فاخذت تأكل خبزها صحيحاً ، مغموساً في المرق . ليقبرها خليل، ابن اخيها. احيا فيها العمر عمرين . أما كان عليه ان يبدو منذ بعيد الزمن ، ويدفع الخوف من ذوبان القرش المصرور ، ويحيي العديم المزوات ؟

Twitter: @alqareah

٥

جميع رفاق خليل حنون ، في محل السوق الطويلة ، يضربون على وسيم جابر سوراً منيعاً . فهم في مؤتمر جادّ المبحث ، كما دلت عليه جهامة الاسارير . وشزروا وسيماً بعيون تطفح بالمقت . وسددوا اليه المقال الخادش ، وقد اتهموه بالحد من وثبتهم . قالوا مدمدمين عليه: انت جئت به الى المحل ، ومهدت له الى التفوق . واستأنس به رب المكان ، فآثره علينا جميعاً ، يزيد له في العطاء ، وفي المقام . وما قعد عن تقديمه عليك ، وقد خصه باعمال الصندوق، وسلمه مفاتيح الخزانة. وماذا بقي لنا ولك من شأن في المحل ، وابن البارحة رجحنا ؟... وهل لمثلك ، المفاخر بمعرفة الناس ، ان يجهل ان الكفران جزاء الاحسان ؟ ... اصبحت وراءه . وانى تدركه بعدما بزّك اشواطاً ؟

وما كانوا في المحل ، بل في مبيت احدهم ، وقد تواعدوا على اللقاء في العشية . وفار الحقد في نظراتهم ، وكلماتهم. وطغى على اعصابهم . لهم في خدمة المتجرة السنوات المتعددة ، فهل يسبقهم ، في الترقية ،ابن بضعة عشر شهراً ؟

وألقوا التبعة على وسيم ، وقد شقّ بيديه ، لخليل حنون ، السبيل

Twitter: @alqareah

الى العمل بجانبهم . فماذا وقع ؟... تقهقروا دون الغرسة الحديثة العهد بالنماء . وبلع وسيم ريقه بشدة ، وكأن حنجرته من يابس الحطب . وشعر بالجو المحموم السائد . وما انكر ان التبعة تلصق به ، وتثقل عاتقه ، ولولاه لم يكن لخليل حنون الى المحل قدم . غير ان وسيماً بدا في حنق يجاوز النقمة الشاملة. فاقسم على ان يودي بخليل، وسيجرّه الى مهلكة لن تكتب له فيها السلامة

قال وهو في برطمة تهدج بها صوته ، وغلظت اوداجه : انا الجاني، يا اخواني ، فاعفوا عن زلتي ، وقد أسأت بها الى نفسي ، واليكم . فما كنت احسب ان الصدقة تؤذي من يتوفر على بذلها . ولكن العابث بالمعروف تخطى الامد . فأصابني من رشاش جحوده ما لا ازال منه في صداع . على انه لن يسلم من أذاي . فقد اعتزمت محوه . واريدكم على النجدة . فنتعاون معاً على ابادة الدخيل . وسأضربه من حيث ينعم بالصولة . فيقع اختلاس في الصندوق يذهب باثر صاحبنا . إن لم اطرحه في السجن ثلاث سنوات ، عقاباً له على اقتحام صفوفنا ، والاستقرار بطليعتنا ، فلست وسيما . اخلعوا عني هذا الاسم ، ولن كون جديراً به !

وارتجف ارتماضاً . وجزم على النسف . فلا حياة للمنافس في المقام والكرامة . فاستوضح الرفاق مؤيدين : أنتهمه بسرقة اموال المحل ؟

فصاح وسيم بقوة تتطاير موجدة : نعم . نعم . والا فلا خلاص

Twitter: @alqareah

من اللئيم . سنهاجم الصندوق . وما ان يدري رب المحل بما اتابه من ملمة ، حتى نشهد بملء عيوننا مصرع الكنود ، وتنقضي حاجتنا !

واجمعوا على الضربة القاضية . وسيم سينظم المكيدة ، وعلى الرفاق ان يعضدوه . وما كانت الملامح غير صفائح من الحديد الصدىء . ما تنجلي عن فرجة من سماح . فالحقد عقد عليها ستاره الادكن . وللضغن ، من وسمة الشراسة ، ما يستأسد فيه الترويع . فالنقمة تحتشد بجميع اهوالها في النظرة الاكول ، والشفة القاذفة بالحمم ، والكلمة المدمرة . قال الرفاق يخاطبون وسيماً : عهدنا اليك في امرنا ، ونحن بين يديك . فاجتهد في التدبير بما تملي عليك المصلحة والحكمة !

ولم ينم وسيم ، في تلك الليلة . فانتابه من الاضطراب ما اباحه لسام الارق . أيقضي على نفسه بنفسه ، وهو من نصب في متجرة السوق الطويلة خليل حنون ؟... ولكنه نصبه بدافع المروءة والشحّ بالاخوان ، لا ليبصر من أزجى اليه المنّة يتفوّق عليه في الاجر والمنزلة .

وتململت بعنف الكتلة المستديرة ، في سريرها ، كأنها تشوى على النار . صنيعتها بات سيدها ، وما طوى في المحل بضعة عشر شهراً . فماذا يكون منه بعد قليل من السنوات ؟... أما يمسي شريك صاحب المحل ، بل رب المحل كله ؟... ويا لحقارة وسيم حين يبيت خادم خادمه !

Twitter: @alqareah

والليل يوحي. ولقد هدى وسيماً ألا يقدم على دسيسته، الا بعد مباحثة سيد المتجرة في الترقية الصاخبة الحيف. فإذا لقي عنده انصافاً، فعادله بخليل حنون ، سكت عن الشغب . والا هيّج على خليل حتى تراب الطريق . فلا تبقى ذرة من غبار الا وترفع رأسها في التنكيد والتشنيع .

وندم على خفته في الاحسان الى الناس ، قائلًا لضميره : المروءة تقتل بنيها . فمن يبذل من نفسه في نجدة اخيه ، يخسر نفسه واخاه . انا الملوم على استقرار خليل بالمحل. وعليّ ان اكابد تبعة الجميل المؤذي!

وأطلقها زفرة ، من فم ملآن ، تكاد تلتهم مبيته . وفي البكور درج الى المحل يرسف في خطوه ، وقد تعاظم في وجهه الورم ، ولا سيما حول عينيه الحراوين لفرط الغيظ والسهر . وجفت ضحكته . وشاعت في جبينه، وتحت ناظريه ، الغضون . وحياه اخوانه .فعالتهم قوله ، وكأنه ينعى اليهم نفسه : اصبحت انفر من العمل في هـــذا المحل ، يا أصدقائي . غذّيته بشبابي ، وحسن سعيي ، فعوّضني منهما الجحود . فان يكن ابن اليوم يعلو فيه من اراق ، في انعاشه ، نضارته ، فاي فضل للمجتهد الامين ؟

وران على الجميع التذمر . ولم يكن خليل قد ظهر . ولفتهم تأخره عنهم . فقالوا بما يتفجر في صدورهم من غلّ : لم يطلّ حتى الساعة ، كأنه اصبح في المتجرة وليّها . وكم تبدل منهاج عيشه . ما يبدو الا واكابر القوم انحركوا الى شؤونهم . وهجر كوخ عمته زهوة الى

Twitter: @alqareah

حجرة فسيحة ، زاخرة بفاخر الرياش . واخـذ يرتدي اجمل ثوب . ويأكل في مطعم يرتاده ذوو التأنق . اما مشيته فكالديك الازهر . ويخاطبنا من اعلى سماء ، كأنه الله . فان يكن صاحب المحل يجـد فيه اصلحنا ، فليكتفِ به. ولنا من هذه الشدة فرج !

وطلع عليهم خليل يحييهم بمرحه المألوف . فمشت في اوصالهم رعشة المباغتة. ولملموا انفسهم بوجل، يردون له تحيته بابتسامة مغتصبة، يجري فيها الجبن والخنوع . على ان وسيماً لم يردّ التحية ، بل حدق الى خليل بعبوس . فدنا منه خليل متودداً . فمـا تزحزحت الكتلة المستديرة عن حردهـا . فهال الفتى هذا الامتعاض المفاجىء . وقال يتكاره على المداعبة : ما بك لا تستأنس حتى بزقزقة العصفور ، يا وسيم؟... أتكون مغبوناً في حظك من الدنيا ؟... اضحك، زادتك الايام من مباهجها . فالكون بالف خير ، يا صاحبي !

فابان وسيم بجفاف الموتور ، وما زال يحدج خليل حنون بعين ناقمة : اعتقد ان بي من الوقار ما يصونني من ميعة الشعوذة . فابحث عن متعة اللهو عند امثالك . وما هم على قلة !

فشعر خليل بالكلمات تلطم خديه ، ودبّ الى خاطره الروع . ما هي اساءته الى صديقه الامثل ، كي يلقاه وسيم جابر بهذه المخاشنة الخادشة ؟... ومال الى الاستيضاح يستجلي، وهو يجرض بريقه خيبة : ولكني لا اريدك ذلك الهازل ، يا وسيم، بل اشتاق ان اراكِ على رضى. فهل اكون ظاولتك ، على غير علم مني ، في مشتهى عزيز عليك ،

Twitter: @alqareah

فاحرجت سعة صدرك ؟

ووثب فوراً ، الى ظنه ، ما احرز من ترقية . وتوطد في يقينه ان غيظ وسيم يرجع الى وقوف ، هذا النصير الامين ، دون من ساعد على الارتواء ، بعد عطش . وزفر وسيم جابر طويلاً . ونفث بحنق : لست في خلو بالك كي اقيم ابداً على بشر . امـــا ان تكون احرجت سعة صدري ، فهو ما اقاضيك فيه الى نفسك . وانت ادرى !

فاوجعت الوخزة خليلاً . ما بال وسيم يرشقه دراكاً بالقوارص ؟.. هل ثار عليه لكونه تقدمه ؟... وراعه ان يكون عقبة دون صديق اسدى اليه خالص المـــبرة . فعالنه بلهجة لينة تنضح بصادق الولاء : وسيم ، وضح لي امرك . آلمك ما انالني سيد المحل من عطفه . فان يكن التفاتـه اليّ ، افسد عليك سعيك ، فليس لي الا ان انزح عن مكان يضيمك فيه ظهوري . فالعمل لن يضيق بي . واني لاقع عليه مهما ضلّ عني . اما انت ، فمن المحال ان اظفر باخ نظيرك !

فما انطوى وسيم جابر عن كلوحه وحرده . واعلن بلهجة ساخرة ترزح بالجفاء : ليس ما يدعوك الى الجلاء عن مكان يحمد فيك الفطانة . فكن حيث يبسم لك الانس . واني يغيظني مرآك في محل تضمن له جزيل المكاسب ؟... اخطأت في ظنك اني نافر منك . فاذا عدوتني شأواً ، فمن حقي ان اطرب ، وقد جئت المحل بسيد بارع ، مغبوط !

ــ ولكنك تبدو لي خصماً ، لا صديقاً ، يا وسيم !

فاطلق وسيم جابر بدمدمة بارزة : لا تتحدث بالصداقة . فالصداقة

Twitter: @alqareah

ماتت ، واودعناها المتحف ، للتاريخ !

فاختلج خليل حنون ، وكأن لسعة سوط نزلت به ، فادمت رأسه وظهره . الا انه ظل يملك امره . فابان برصانة من لا يعميه الغضب : وسيم ، ان تكن كفرت بالصداقة ، فانا ما ازال ارعاها . لك ان تبتعد عني . اما انا فسأظل ابحث عن قربك . وما ابرح اذكر يدك عليّ ، وقد كنت لي خير صديق !

فتطايرت قهقهة التهكم من شدقي الكتلة المستديرة . وانفتلت عن خليل تبقيه في بحران متلاطم . ظلمته في ما رمته به من تهمة برىء من تبعتها . صاحب المحل اقرّ ، وصاحب المحل ابرم . والكلمة كلمته في شؤون متجرته . وما لخليل ان يعترض عليه فيها

ودهمها سيد المكان في محتدم الجدل . فما خفيت عليه دوافع الشحناء . الا انه تجاهل ، واستفهم : ما بنا في خصام ، وما نزال في مستهل يومنا ؟... هلا ذكرتما الله ؟

فهفا اليه خليل حنون يعالنه بارتجاف المقهور : اراني مكرهاً على براح هذا المحل ، يا سيدي . فان بقائي فيه مبعث نقمة أصحابي عليّ . هلا ابحت لي النأي عنه ، مع شديد ابتهاجي بالعمل فيه ؟... موداتي اغلى عندي من موارد رزقي !

فظل سيد المكان يبدي التجاهل ، مستوضحاً بلجاجة : اي امر خطير وقع ؟... اعرفكما على صداقة تترفع عن دميم الحقد . فاي خطب انتاب صلاتكما الوثقى ، فاعتلّت سلامتها ؟

Twitter: @alqareah

فابان خليل بنبرة تستعلي حفاظاً : ما توليت لديك العمل ، ايها السيد ، كي اضرم حولي الضغينة ، وأسيء الى احبابي . فاني لالمس في خديني الاوفى ، وسيم جابر ، نفرة مني ، مصدرها انعامك عليّ بما زاد في شأني . ولوسيم يدٌ عليّ لا تجحد سماحتها. فاعفني من مهنة اؤلم بها خلصاني !

فتجلت عصفة الريح . وسيم مضطرم الحفيظة ، وقد سبقه خليل حنون في الدأب . فاطلق فيه صاحب المحل نظرة واخزة ، عاتبة . وجاهره بصوت خشن ، عريض: لست اعلم ما يوجع حظوتك عندي، اذا تنفس خليل حنون ، في هذا المحل ، بملء رئتيه ، يا وسيم . فهل اقلق فيك الشموخ ، وهو يظفر ببعض الملاينة ؟... أنا صاحب المشيئة القاطعة في تجارتي ، فدعني انظم الامر بما يبدو لي فيه وجه الصلاح . وان يكن يضيمك البقاء ، على ما أقررتُ من سعي ، فلا تتهاون في الانصراف الى حيث تطمئن. هذا المحل قام ببعض جهدك. ولست اغمط الفضل . الا انك دون خليل حنون استهواء وخبرة ، وقد باتت الصراحة فرضاً . فهو يرجحك ، مع حداثة استقراره بالمكان ، ولدونة منه، معرفة في استدراج الشراة، وفي انتقاء النسائج. واذا أكبرت فيك الخدمة الصدوق ، فلا يبيح لي ضميري ان اغضي عن الكفاية . خليل ممن تعقد عليهم الآمال . وخيرٌ لك ان تحرص على مخالصته الود ، من ان تقصيه عنك المناكرة الضلول . هلا تعاونتما، بولاء، على النهوض بالمحل، وفي نجحه توفيتنا جميعاً ؟... اني لأدعوكما

Twitter: @alqareah

الى الخير ، وهو في التنائي عن بغيض الخصومة !

ولكن خليل حنون ما فتىء يلحّ في القول : اطلقني بسلام ، ياسيدي ، وادفع عني غبن المناكدة.عرفت وسيماً نجيّاً باراً ، ويمضني الوقوف منه ازاء عدو . خسارة هذا الصديق الوفيّ ، اشبه عندي بانهيار دعامة غدي . وداعاً ، ايها السيد الكريم !

وهمّ بالصدوف عن المتجرة . فانه ليضيق بازورار المحسن اليه عنه . وما يبرح من كرم الطبع على ذخر . غير ان صاحب المحل امسك برداء هذا النقي المكسر ، وشدّه اليه قائلاً بجزم : وسيم نفسه لا يرتضي هذا الالتواء عنه ، ولك فيه الودود المختار . اريدكما على العمل يداً واحدة .فتصافحا على مرأى مني . وليس للحدثان ان تفصل بين صفّيين يوثقهما التآخي !

وجمع بينهما ، وما كان يجنح الى افتقادهما ، وهما في المحل عنوان جلاّب . فتصافحا . وتبادلا القبلات . وارتاح رب المكان الى انعقاد المسالمة ، فقال يشاطرهما الرضى:هكذا اشتهي ان تقيما ابداً .فالبشاشة موطىء الغنم . أيجوز ان تتخاصم العين والعين ؟... ولكننا نبلى بالعمى . فانتما ساعداي . وبكما ابلغ المأمول !

وخيل اليه انه قضى على السوس الراتع في الضلوع ، وان الصداقة الابّدة نفضت منها المحنة الطارئة . غير ان وسيماً ما كان يسكن الى الدعة ، وقد اعتلّت دخلته .وليس للمهج ، اذا انساب اليها الدغل ، ان تبرأ من لوثته . فما انفكت الكتلة المستديرة ترى ، في خليل

Twitter: @alqareah

حنون ، فأساً باترة تفرع الهامة . فالفتى اضحى خطراً على الـكهل الاصفر الناب . وخليل يشدّ ، في غده ، صُعُداً . ووسيم يتقلص ، كمن بلغ حده ، فاخذ يتقهقر عنه .

وخرست قصفات الضحك في السوق الطويلة . وتجلت في ملامح وسيم المذلة . فهو كسير الروح . مضت ايام كان ينشر فيها لواءه كالسيد المطلق ، ويتمايل كالحُبشة في بادرة العرام .

واحس ، في عين نفسه ، بانه تضاءل حتى بات نفّاخة هزيلة ، سريعة الانفجار . كسفه خليل حنون . ومع اكراهه نفسه على الظهور بمظهر غير الجازع ، ما كان يقوى على زحزحة الـكابوس اللابد بصدره ، والمنذر بالانهيار .

وتعجب الجيران من سكون الهدير الصاخب. فهل اصفى وسيم؟...

وقال المتخابثون ، وهم ضخام العديد : هي السن تفتر بها الهمة ، ويهون الجلد. ووسيم جابر في الاربعين . فلا عجب اذا ركدت ريحه وبردت ناره !

وكل ما انتهى اليه وسيم أيد القولة الساخرة . فهو ما يزال كتلة تتدحرج . الا ان ما دهاه من صدمة ، قعد به عن فورة الوثبة ، وعنجهية الاعتداد . وهي حال المخذول الجبار !

Twitter: @alqareah

٦

حتى العمة زهوة تلتهب حنقاً على خليل حنون، ابن اخيها . نفر عنها ، وسلخها من باله، لدن تدفقت عليه النعمة ، كما قال فيه اخوانه. فقطع عن شدقيها اللقمة اللينة ، السمينة ، وهو يثوي بحي الجميزة ، بالحجرة المكتنزة الرفاهة .

ووقعت كياسته من ارباب المسكن موقعها الرضيّ ، فجروا في طاعته كالخدم . ووطنوا النفس على تزويجه احدى بناتهم ، فيما تزجر عمته زهوة موجدة عليه ، وتعيّره الكنود . لاذ بهـــا ، في عبوس الزمن ، يستعديها على أمره . وجفاها في اقبال النعمة ، يمسك عنهـا الافاويه . فعادت الى شراء كسرات الخبز من المستعطين . سائلة تستجدي سائلين . انت من التراب ، والى التراب تعود !

غير ان العمة زهوة ، بعد ما لمست النعمة ، وذاقتها بجمع فمها ، باتت لا تصبر على الحرمان . فجرّت حدبتها ، الى ابن اخيها ، تتشفع اليه في نفسها ، طالبة منه ان يرجع الى مقرها . قـالت وهي تعتصر دمعها ، فترطب به جفاف خديها: أتجفوني ، وتبيحني للوحشة، وكنت اجد فيك منقذي ؟... عللتني بالمنى الخصاب ، وازجيت اليّ طرفـاً منها ، ولكنك لم تلبث ان فجعتني بكل علالة من أُنس . وكنت ،

Twitter: @alqareah

قبل ان تقرّ في مأواي،قد ألفت العزلة. اما وانت تقبل اليّ،وتحيي في نفسي المسرة ، فقد كلّ جهدي عن مضض الفراق . ألا عُــدْ الى وكرك ، وكل ما فيه يتوق الى مرآك .فالجدران ، حتى الجدران، اضحت مشتاقة الى الاستمتاع بحسن طلعتك . وهي في حرد لنأيك عنها . ما كانت عمتك زهوة لتصدق انك تجور عليها ، فتتقاعد عن برّها، بعد مستفيض السماح !

فاكتفى بان يبتسم . ورحب بهذه العمة، واكرم وفادتها ،يدعو لها ،وهو المطلع على مكمن الضعف فيها،بالفاكهة وبالحلوى . مما اقامت منه على إصفاء ، بعد جلاء ابن اخيها عنها . فـا كلت وتمنت المزيد ، متلهفة على طيبات فُجعت بشهيّ مذاقها . وما انفكت تسترحم : من لعمتك يردّ عنها الضيم ، وانت ترحل عنها ؟... فلا يصرّ مفتاح في قفل ، حتى تساورها الرعدة . ويخيل اليها ان الاشرار يأتمرون بها . فادفع عنها وعيد النوائب، وهي لك بمالها ، وبروحها !

فما انقشعت عن محياه البسمة . وتكلم فقال : انا بجانبك حيثما اكون. وليس لي ان انسى من عطفت عليّ،واحلتني منها في الصدر!

وحباها ، من مشرق النقد ، ما فتح عينيها على دهش طروب . ففزعت الى الممانعة ، متظاهرة بالشحّ به . فهي تأبى ان يتعرى ابن اخيها ، من ماله ، كي ينعاظم وفرها . ولكن خليلاً ألحّ . وما كان باضطرار الى جزيل الالحاح للجنوح بها الى الرضى . فقبضت على العطية بيد يابسة لا يثقبها إزميل . وبكت تستدرّ شؤونها . كم

Twitter: @alqareah

حرمها ابن اخيها ، بنزوعه عنها ، اشباه هذه الصلة . وما غفل خليل عن الحافز الى بكائها الروي . فقال يؤاسيها : امسحي دموع الحرقة ، يا عمتي ، ولا دافع اليها . ستجدينني ابداً ذلك البر الامين !

فناشدته الرجوع الى كوخهـا . فاعلن برفق : قضيت بقربك اشهى الليالي . وبودي ان اعود الى الاستمتاع بما لقيت من هناءة . فصبراً !

فقالت وهي تمسح عبراتها بكمها ، ومـا تسخو بشراء شاشة : ولكني اخاف ان تبطىء علي ، وانا على شفير المهواة . فتعال الي ، ولا تكلفني بلوعتي !

فما تهفو الى سوى التنعم بخيره . فاستطالت فيه البسمة الهازئة . هذه الخائفة على نفسها ، من شبح الموت ، تحييها طلة . وافاض بالوعود . سوف تفتح في احد الايام عينيهـا ، وتبصره بباب بيتها . وليس احلى من المفاجأة بالمؤانسة .

وصرفها عنه على رزوح بفاتن الرجاء. وما برح يتمثل فيها الناس، وكلهم على شره الى المكاسب، لا يلتفتون فيها الى حلال او حرام. والمبتغى الاوحد ان تستقر بالجيب ، وتستمتع بها اليد والعين .

وهؤلاء الرفاق في المحل،أما تستولي عليهم فطرة عمه زهوة ،وما يرغبون في سوى اقصائه عن التلذذ بجنى وكده ، كي يستأثروا بما حاز من نفح ؟... ومال الى الصفح عنهم في سعيهم للنيل منـه . فما دامت طباع الناس من هذا المعدن الموبوء ، فلماذا اللوم والعتب ؟

Twitter: @alqareah

واعتكف على مداعبة وسيم جنوحاً الى توطيد الالفة القلقة . الا ان وسيماً ما كان يقوى على التحرر من فتوره حيال خليل حنون، والحسد والخيبة لا ينفكان يحزّان في نفسه . أيصبح خليل ، في المحل، صاحب الكلمة الحاسمة ، فيفاوض ، ويقطع ، وينهزم وسيم جابر ، ركيزة الثقل في المتجرة ، كأنه قضى ايامه في العبث ؟

وما احتمل خاطر الكتلة المستديرة هذا الغبن المفضوح . فتفاقم فيه ندمه على حسن صنيعه ، قائلا في كل من ينهد الى الاحسان انه كافر بنفسه في يومه ، وفي غده . ولا محيد عن انقلاب احسانه عليه ، وكأنه ينتحر بمعروفه . فالنار جزاء الغر . اقال العثرة ليعثر . وغريمه من انقذه .

ولكن وسيماً ابى على نفسه القهر . فلن يجيز لخليل حنون الرسوخ في موئل الدعة ، وقد وتره حقه . ومن يرفع يضع . ولا كلال ، في اليد البانية ، عن الهدم . وذات يوم علت الصيحة في المحل. خليل حنون ينادي بالويل . امتدت يدٌ أثيمة ، الى الصندوق ، فغرفت منه مبلغاً ضخماً . فاكفهرت الوجوه ، وارتعشت الخواطر. من اللص ؟

ونظر العاملون ، في المتجرة ، بعضهم الى بعض ، نظرات توضح الالمام بالعملة. وسيم جابر ضرب ضربته، واصاب . فالقذيفة انفجرت، وخلخلت شظاياها الناسفة مهجة الضحية . وها هو ذا خليل حنون يرتعد تحت وقعها الكاسح ، فلا يقرّ له قرار ، ولا يكلّ لسان .

Twitter: @alqareah

والتفت الى رفاقه في العمل ، وما تغيب عنه موجدتهم عليه ، وصرخ بهم بمحتدم الغيظ : دعوني اتهمكم جميعاً ريثما ترشدونني الى السارق. فالصندوق ينقص خمسمئة رقعة من النقد . ولقد انصرفت ، لبضع دقائق ، الى شؤوني الخاصة ، ونسيت المفتاح في القفل . ومن يجرؤ على الدنو من الصندوق سواكم ؟... والا فدلوني عليه. انا من يعتقد انكم تتصوّنون عن الاغارة على الحرام . ولكن السرقة وقعت . فساعدوني على معرفة اللص . والا فلا تعتبوا اذا شكوتكم الى دار الامن !

فرهب الاخوان الشكوى . وانصبت عيونهم على وسيم جابر . عليه ان ينقذهم من تبعة ما اجترح . وقالوا بشدة ينفون بها عن انفسهم التهمة : لماذا اساءة الظن بنا ، ونحن على نقاوة خالصة ؟... تعال فتش ، في جيوبنا ، عن المسروق . فاذا وجدته فيها شكوتنا الى رجال النظام !

وقال وسيم بنبرة الغاضب للكرامة : كان عليك ان تحرص على مفتاح الصندوق . اما وقد ابقيته في القفل ، فانت الملوم . ولن نجيز لك ان تمد يدك الى جيوبنا ، ولها حرمتها. فنحن لسنا لصوصاً . ولا نرضى بهذا النعت الفاجر يطاول اعراضنا . واذا راقك ان تشكونا فافعل ، وكل ما نرد به عليك ، حيال ما رشقتنا به من تهمة ، انك انت السارق . وما تركت المفتاح في الصندوق ، وانصرفت الى شؤونك الخاصة ، الا تظاهراً منك بدفع الظنة عن نفسك ، كي تبتلع

Twitter: @alqareah

المبلغ باطمئنان . فاحذر السخر منا ، وهو يكلفك الغالي الجسيم !

واندلع حقد وسيم شواظاً من نار . هذا اوان التشفي. فتنزّى خليل ارتماضاً ازاء مـا يسمع من غيظ حاطم ، وزعق : انا اعرف نفسي .فاقتربوا مني واحداً واحداً كي اتبين مبلغ براءتكم . فلا مجال الى ادعاء العفة تجاه السعي الذميم !

فجلجل وسيم جابر من حنجرته الخشنة : نحن اشرف منك . وسندلك بالبرهان القاطع على كونك المختلس ، لا نحن . وهذه جيوبنا ، فانظر ما فيها .على ان تبيح لنا التفتيش، في جيوبك ، عن المبلغ الضائع . فقد تكون ترمينا بدائك لتنجو من فاضح الاثم !

فتألم خليل مما تلتقط اذناه . ولمس في القولة اهانة مستفظعة ، فهتف بالجم من المرارة : سأفتش في جيوبكم عن المسلوب. ولن امنع عنكم جيوبي . فالسارق منا وفينا، كما يبدو لي !

ومال عليهم يدّس يديه ، في جيوبهم ، فرداً فرداً . وفي وجهه قطوب وكلوح . فما اهتدى الى المال ، وقد عاد عنهم جميعاً صفر اليدين . فعضته الخيبة وادمت كبده . اتهم ابرياء ، وليس له ان يعبث بالكرامات . وبدا فيه الارتباك الفادح . واحس بالصداع لفرط خزيه . وانتشى وسيم جابر بالفوز الانور ، فصرخ من مهجة يشوقها ان تنفث الاحتقار الطاحن ، فتستعيد ما ذهب منها من صفاء: والآن اقترب منا .فمن حقنا ان نفحص ،في جيوبك ،عن المسروق!

ولم يكن على خليل حنون الا ان يمتثل للمطلب ،ساخراً بالمشتهى

Twitter: @alqareah

العقيم . أيسرق نفسه ،وعليه اداء ما ينتاب الصندوق من نقص ،مهما بلغ ، وليس لمن يتسلم الامانات ان يجازف بها ؟

وهتف به بعضهم : أعدْ النظر في الحساب . قد يكون الغلط في الرقم !

فتصاعدت زفراته اللهاب،وصاح بعياء المكدود : لا غلط هناك. دققت ثلاث مرات في الارقام ، وفي كل مرة تجلى لي النقص !

ويئس من الاهتداء الى المال . ووقف ، بين يدي وسيم جابر ، رخو العصب ، متداعي الوكد . فالمهالك تنصب حوله فخافها ، ولا حامي له . وتناول من جيوبه وسيم دفتراً ، وحافظة ، وغلافاً ، والرغبة في القهر القاصم ظاهرة بقسوة في لحظات الكتلة المستديرة ، وفي حركاتها الصلاب .

وخلا الدفتر من المال،وما ارتسم فيه غير قيود . ولم تضم الحافظة ما يرجح ثلاثين رقعة من النقد اللبناني .وتعجب خليل من امر الغلاف، وما يذكر انه اودعه جيبه . فمن هو ؟... وماذا فيه ، وقد حمل في اعلاه عنوان المحل ؟

وارتجف لدن ظهر في جيب سترته هذا الاثر الباعث على الريب. وشحب لونه فيما ينتزع وسيم جابر ، من كبد الغلاف ،رقاعاً ضخاماً من النقد . وتمتم عفواً ، وصوته يختلج رهبة : ولكنه ليس لي . فمن دسّه في جيبي ؟... انا لا املك هذا المبلغ الجسيم !

وظهرت الرعشة في يديه ، وفي شفتيه . وعدّ وسيم الرقاع ،

Twitter: @alqareah

فاذا هي خمسمئة ، ناطقة الوجه واللسان . وما انفك خليل يتمتم بهول ، حيال ما بدا في حوزته من مال غريب يجهل خبره: ولكنه مدسوس، مدسوس . ما هناك غير مكيدة دبرها من يربد بي شراً . اعدائي في هذا المحل ، بل حسّادي ، تواطأوا على اهلاكي بهذا الغدر الخسيس!

فاكتفى وسيم بان يشزره بنظرة صاعقة ، وان يعلن بازدراء وشماتة : المبلغ هذا هو . وان يكن ثمة خطأ ، فعلى خليل ان يوضح لنا مصدر المال . وليس لنا ، اذا اثبت بالحجة ان الرقاع حلال له ، الا ان نعتذر عن سوء الظن. فلينشر علينا برهانه ، وليظفر بإكبارنا!

على ان هذا البيان المحتشم قيل بلهجة ، حوت من التهكم الناحر ، ما يهون حياله اللطم بالنعل . فاطلقه وسيم بامتهان الظافر ، المتعمد الطحن . وأصيب خليل حنون بغشيان ضاع به عن نفسه ، وقد بات في عالم من ضباب . فندي جبينه بالعرق البارد ، الكاسف . وسادت الحشرجة صوته ، كأنه يموت ، وقد اخذ يقول بضعضعة ماحية : المال ليس لي . ليس لي . فمن جبهني بهذه الممازحة الخشنة ، واودع الغلاف جيبي ؟

فجالت في ملامح رفاقه في العمل ابتسامات الاشتفاء الخبيث . وتغامزوا على الخصم الهاوي من شاهق ، معجبين بدهاء وسيم . فالكتلة المستديرة اجادت تصويب النصلة الى القلب ، فبطشت بالخصم بلا رفق . وقالت وهي تحس باستعادة مجدها ، وبالخلاص من منافسها العنيد : ان تكن ثمة ممازحة ، فاطلعنا على سرها ، وليس من شيمتنا

Twitter: @alqareah

التجني على بريء . نحن نأبى الشك في صفاء سريرتك ، ولكن دلنا على من يبيّت لك السوء، كي نتبين مبلغ جوره عليك !

فارتج على خليل حنون. ليس في حنجرته مجال الى نأمة ، وكأنه الحجر الاصمّ. فاحمرّ ، وازرقّ ، واصفرّ ، وبات وجهه مرتعاً لكل لون . وأخذ يميد . فما هذه الفادحة الصادعة تباغته ، وتهدم فيه حرمة الحفاظ ؟... فان من دبرها لعلى براعة فضفاضة في اللؤم . ومن دبرها غير هؤلاء الرفاق في المحل ، وكلهم علي كراهة له ، ونقمة عليه ؟... أيصيح بهم : « انتم الجناة الاسافل . غاظكم ان اتقدمكم ، فرميتموني بهذه الداهية لتقصوني عنكم ، ويخلو لكم الجو . بيد انكم لن تبلغوا مني شهوتكم ،ولا بد من ظهور وغادتكم النكراء !»؟... ولكنه لم يملك الجرأة على الادلاء بهذا المنطق المقحام . وجلّ ما اسعفه عليه جهده ترديد نفي التهمة عنه : انا بريء ، بريء !

وانتصب ، في خياله المرعوب ،شبح صاحب المحل . فواخجله من رب المتجرة حين يدري . أما تعروه الخيبة ، وقد اصطفى لحراسة ماله لصاً ؟...وماجت في خليل صولة الخنوع. فهو في انكد ملمة. واخذ يسترحم متشفعاً في نفسه . فربما رفق به من جار عليه . وفي النضال عن النفس يهفو المنكوب الى الحيلة . قال يستجير باخوان الصفاء : ألا عطفاً على سلامة الاحدوثة . عار علينا ان يجلد بعضنا بعضاً ، فتبلغ فيكم الموجدة هذا الحد من الايلام. ألا من هو الصفيّ الامين الساعي لخذلي ؟... هل مات فينا الضمير ، فامسى رماداً ؟

Twitter: @alqareah

فما لقي فيهم عاصم . كلهم على طرب لئيم ، كأن يروقهم افناؤه. ولمس فيهم الهزء بدعوته اياهم الى الرأفة به . واني تميل مهجهم الداغرة الى الحدب عليه ، وقد امسى عتمة انجلت ، وعقبة زالت ؟

وتكلم وسيم. فقال بانتفاخ صدر ، وبسعي لرفع عنقه الغارقة بين كتفيه ، كأكرة في حفرة : ان تكن على ارتياب بنا ، يا صاحبي ، فمن تراه يكيد لك منا ؟... انت فينا منذ زمن ، فاي مساءة نلناك بها ؟... ليس لمن جاد عليك بالعطف والصداقة ان يتسفّل الى الروغان منك. ولماذا نطلق القول جزافاً ؟... هات بيّنتك على نقاوة طويتك ، وانت بمنعة من كل ايذاء !

وانتشرت في الكتلة المستديرة شماتة الراقص على القبور . فالعنجهية تعالت في وسيم ، واقامت منه مقهقهاً في جنازة. ولم يطق خليل حنون هذا الزهو الشادخ . ففارت فيه حميته الجريح . ونزع من خاطره كل مداراة ، ليصيح برفاق العمل بغضبة حمراء ، وقد اضحى لا يخجل ممن يتوقّحون عليه : هذا المال انتم ألقيتموه في جيبي ، وكلكم حاقد عليّ . فاوجع اكبادكم ان ارجحكم منزلة ، فائتمرتم بي . على ان صاحب المحل بيني وبينكم . وهو منصغي من جرأتكم على عفة يدي !

فضحكوا بصافع التهكم ، قائلين : أرأيت انك تهذي ؟... اي ثأر لنا عندك كي نجنح الى الحط من شأنك ؟ ... وكيف تمتد يدنا الى الصندوق ، فنغزو المال ، ونودعه غلافاً نخفيه في جيبك ، ونحن

Twitter: @alqareah

حيث ترانا ؟

واعلنوا بسخر ماحق : شفاك الله ، شفاك الله !

فلم يحتمل هذا المقدار من المهانة . وانقض على وسيم جابر يمسك بخناقه ، مجلجلاً بنزق:أنت ناصب الاحبولة. اقلمتي بهذا المحل اضحت تؤلمك ، فحبكت لي المكيدة الضلول. ولكنك لن تسلم من افترائك الشنيع !

فهب سائر العاملين في المحل لردّ الاشتباك . وأقبل الجيران والمارة وهم يسمعون الجلبة . فابصروا وسيماً ينتفض ، مع ضخامة جسمانه ، بين يدي خليل حنون ، كالعصفور في مخلب البـازي ، ويصيح مستنجداً : أنظروا،أيها الناس ، ما يحاول هذا المختلس . يريد قتلي لكوني قبضت عليه متلبساً بالسرقة . فاغار على الصندوق،ونهب خمسمئة رقعة من النقد . انتم شهودي على غدره بي !

فاجتهد دعاة الوئام في إنقاذه من القبضتين الممعنتين في عصره.غير ان خليل حنون ، وقد لطمته الغضاضة ، جاهد في الافـلات ممن يحاولون صده عن وسيم ، ليخرس كل نأمة في الحنجرة المندلعة زعقات خوادش . وما توانى في الزمجرة المتوعـدة ، وهو المصاب بسمعته : مخادع . دسّاس . نصبت لي الشرك لتزيح عنك ظلي ،وقد اصبحت دوني . الا اني لن انسلخ من هذا الوكر الا وانا اسلخ نفاسك !

فحلّ بوسيم الرعب ازاء التهديد والقوة . ان خليلًا لفي صلابة

Twitter: @alqareah

القشاعم . وارتفعت يمينه لتلطم الكتلة المستديرة العاوية . بيد ان صوتاً جهورياً ارتفع ، في المحل ، يصرخ بخليل : خفف عنك . ماذا يقع عندي من المخازي ؟

فسكنت القدر الفائرة، كأن شالتها يدٌ عجلى عن مضطرم النار. هذا صاحب المتجرة يدهم الخصمين في نقارهما . وخليل حنون يكرم رب العمل ، فلا يجبهه بالعصيان . ووسيم سمع الصوت، وعرف المنقذ من اللطمة الـكاوية . ومشى اليه يتظلم ، وفي لهجته حقد ونفار ، ولهبة من زفير ، على رشاش من نواح . قال وكله يرتعد ، كأن عبث به زلزال : عفواً عني ، وقد ابحت الذئب ان ينسلّ الى الحظـيرة ، يا سيدي ، وينقضّ على القطيع. فما كنت احسبه ذا انياب .سرق خمسمئة رقعـــة من الصندوق . وبيدي انتزعتها من جيبه . وغاظه انكشاف زلته ، فهدد وعربد . وكاد ، لولا هـذا الحشد الكريم ، يذهب بي !

فودّ خليل حنون لو عراه الانطفاء . طـارت عنه الثقة المخلوعة عليه ، وهو المتهم بثلم عصمة الامانة . وهفا الى صاحب المتجرة هاتفاً بشدة تنضو عنه الظنة : ما في القولة غير البهتان المحض ، يا سيدي . فلست تجهل ولائي ونزاهتي. ولكن اخوان السوء تعاونوا على الايقاع بي ، فتغفّلوني واستولوا عـلى خمسمئة رقعة من اموال الصندوق . وحشوا بها جيبي يتهمونني بالسرقة ، كي يبعدوني عنهم، وقد احرجهم خيالي. وهل يشخص لسيدي ، بعدما بلاني ، واتضح له خبري ، اني

Twitter: @alqareah

اتدنى الى هذا الاثم ؟

فحملق فيه رب المكان بعينين هالعتين، ساخطتين . ماذا يقص عليه ؟ ... هل من سرقة في المحل ؟ ... اذن ضاعت الثروة ،وانهار الجهد . وهزه النبأ الخالع ،والحياة لديه درهم ودينار.واعول بصوت مرتاع ، وعيناه في الجميع معاً : مـــاذا دهم الصندوق من هول ؟... ألا اخبروني !

فعاد وسيم الى الابانة بلؤم يزيد في وقع الملمة : دهمـــه ان هذا السيد الوقور ،الناعم بعطفك ، والمؤتمن على مالك، اختلس من جنى وكدك خمسمئة رقعة من النقد ، بابها وابيها . وقد استللتها من جيبه فيما يدعي ذوبانها . ولو لم يكن مالك حلالاً ، لطار المبلغ ، ولكان الك علينا حق العزاء . الا انك تعبت في تحصيله ، فابت العناية ان تحرمك اياه ، ليستمتع به من يؤذيه ان ترتع في رفاهة ويسر !

ووسيم ملمّ باخلاق التجار، وهو من بطانتهم.فلا يخفى عليه ان المال ، عندهم، ركن الوجود.وكلما توافر لهم اجتذابه شدّوه اليهم. وما يرخون طرف الحبل حتى اذا نعموا بالمأمول . ورعد صاحب المتجرة بلهفة ميّادة، وقد وضح له ان هناك سرقة خمسمئة رقعة من ماله : هل نزلت بنا هذه النكبة ، يا وسيم ؟

وارتجف قلبه وعظمه . واجاب وسيم بتكلف الحرص : نزلت بنا ، يا سيدي . الا ان القدر صاننا من وخامتها . فاهتديت اليها في جيب من احسنتَ اليه !

Twitter: @alqareah

وخرجت قولة « احسنت اليه » من فم وسيم جابر ملتهبة ذات شظايا . والتفت سيد المحل الى خليل حنون التفاتة الملسوع، المهتاج ، مدمدماً عليه : أهذا ما تكافئنا به على ركوننا اليك ، يا ابني ؟ ... ألا نعم الطبع العيوف . كنت اكتفي بصرفك عني . غير ان سفالك، في ما جازيت به حسن ظني ، يحملني على مقاضاتك الى حماة النظام !

فاحس خليل بان الارض تتقلقل تحت قدميه . وجاهد في تنزيه نفسه عن الوصمة . الا ان رب المتجرة ، المهدد في ماله ، لم يشأ ان يصغي الى بيان لا يرشح ، في عرفه ، بسوى الافك . وهتف الى دار الامن يدعوها الى انقاذه من لص استطال في وقاحته . فانتضى خليل حنون براءته ، يجبه بها الحيف ، زاعقاً بنبرة تحفل بالغيظ ، وتتماسك عن الاعوال : ولكنك تظلمني ، يا سيدي . فانا ضحية الكيد والحسد. هؤلاء المنادون باخلاصهم لك، اوغروا صدرك عليّ بدسيستهم المنكرة. رفعتني عنهم ، فسعوا لتشويه ثقتك بي !

فمضى صاحب المتجرة في سدّ اذنيه عن الظلامة . فالسارق إن لم تقطع يده ، فلا مفر له من عقوبة السجن . وازدحمت ، في مبلغ خليل ، الغصص فيما يقوده رجال الامن الى مأوى الحديد . وخجل من الالتفات الى المحدقين اليه ، لئلا تثقب نظرات الامتهان روعه . على انه جنح الى الاعتصام بالبأس ، وان تكن تطاوله المذلة . فلا عليه ما دام موقناً بسلامة ضميره

ومشى مرفوع الرأس ، لا يشكو ولا يستنجد . فاذا مات

Twitter: @alqareah

الشمم ، فلا تحييه صرخة استغاثة .وصارح بنصاعة يده من يستوضحه امر التهمة من رجال العدل . ولكن اين دليله ؟ ... وفاته البرهان القاطع، فرسا في القفص.ولا نجاة له من محبسه وقد عدم الحجة المنقذة

وصبر على البلية، يرقب بزوغ الحق . ولا بد للحق من انتفاضة هادية. وتاه خياله ، في متجرة السوق الطويلة ، وفي نفسه نقمة وسخر. أهذا نصيبه من الاقدار ، وما يجرع في كؤوسها غير المرارة ؟... يشبع ، ثم يجوع . وما يسعد ، حتى يشقى . وينام مطمئناً ، ليفتح عينيه على ميّاد القلق

وتمثل رفاقه في العمل ينشرون بسماتهم الخبيثة بمديد البهجة . نسفوه بدهاء بارع الحيلة ، ونجوا من ظله المقيت . وتراءى له وسيم جابر جزّاراً رهيف السكين. يذبح ولا تعروه رعشة من وهلة

وازداد معرفة بالناس ، وبدلال الحظ العاتي . فكشفت له عمته زهوة عن وجه من وجوه الدارجين في الارض،من عصائب البشر . وجلا له وسيم وجهاً آخر . وساءل نفسه: ان يكن هؤلاءالمفصحون مجبولين بالخسة والغدر ، فلماذا نشأوا ، وقد افسدوا طينة جبلوا عليها ، وما قاموا الا حرباً على النبل والصلاح؟

وانزوى ، في دياميس السجن ، قانعاً بالظلمة انيساً ودثاراً . فالوحشة خيرٌ من رؤية الاساريرِ المطبوعة على الغلّ والخداع . وتوطد ، في يقينه ، ان الكون على سعته ، وتعدد بنيه ، لا يعدو في كنهه جحر افعى ، ووجار ثعلب . وما يسكنه غير لادغ ناهش ،

Twitter: @alqareah

وموارب محتال . فكل من عليها عابد نفسه . فاذا لقي منافساً ، جاهد في زحزحته عن طريقه ، بكل مستطاع . وما يتورع عن ذبحه ، اذا اتسع له الى القتل ، وروحه بامان !

Twitter: @alqareah

٧

ضحك خليل حنون ، في سجنه ، من المودات ، وهي كواذب. وبدت له الحياة ، في أسهـا ، هزيلة غرّارة ، مع كل زخرف يلتمع فيها لمن يتقلبون في احضانها

وبكى الفضيلة ، وهي خيال ضئيل ، لا تقع على من يشحّ بها، فينعشها بقطرة من حفاظ . وقف نفسه على الامانة في الخدمة، ولم يجد التفاتة عطف ممن تهالك على صونهم من العبث . واحس بالوحشة تخلع قلبه . فالجميع تحاموا الاحتفال بامره ،وهو المتهم بالسرقة . كأن الايمان بالبراءة ضرب من المحال،فيمن انطوت نفوسهم على الصغار، فاضحوا لا يثقون بوضاءة الطباع

وزهد خليل في البقاء في دار تغصّ بالتماسيح . ففترت همتـــه ، والتمس الغؤور في رمس . ولكنه ابى ان ينطفىء قبل ان يمحو عن جبينه لطخة الضيم . أما ينصفه قضاته من جلاديه ، حتى اذا فاتـــه محسوس البرهان ؟

وخشي القضاة . أليسوا من طغمة الناس، وقد حملوا الى منصات العدل غرائزهم ، واهواءهم،وخبائث جبلة التراب ؟... على انه ازمع المثول بين ايديهم بمضاء ، مهما قسوا عليه ، وتجاهلوا طهارة نفسه .

Twitter: @alqareah

فسيخاطبهم بالواقع ، ويميل بهم الى الحكم بما ترتاح اليه ضمـائرهم . وسيدعو رب الخدمة الى اداء الشهادة . أما طلب منه وسيم ، اعفاءه من المهنة ، ما دام ابن اليوم يثب الى القمة ، وابن الامس يبقى في الحضيض ؟

وماذا كان من خليل حنون ازاء غضبة وسيم ؟... ألم يرضَ بالتنحي حسماً للامتعاض ؟...وهل لمن يبدو ، في هذا الخلق الامثل ، ان يجترح السرقة ؟

وندم على هبوطه بيروت . ليته بقي في بلدته ، في الاعالي ، ونجا من موبقات المدينة . فلن تمحى دامه بيئته ، فتطرحه في اكوار الزنابير ، وهي الواقفة على صفاء دخلته ، ونزاهة كفه . ووازن بينه وبين رفاق له استقروا ببيروت ، فما اهتدى فيهم الى من اقتعد السجن ، كأن المهانة كتبت عليه وحده

وما زال يرى الاجحاف في الحظوظ ، ويجد في قسمته الحيف . ويوم قاده حملة الحراب ، الى دار العدل ، موثق اليدين بالحديـد ، كاحقر الجناة ، كادت تنفجر مدامعه . الا انه كبح استرخاءها ، وقدر عليها الامساك عن الانهيار . فليس كل من يضمه السجن ملطخ السريرة بالرجس . وكم في هؤلاء المنزوين ، في اعماق المحابس ، من جماعات شرفت ارواحها ، حتى لتعلو مهج الناعمين بالحرية ، على ارحب مدى . وكم في من تظللهم الحرية من أئمة انكاد ، يهون بهم السجن ، وهم لطخة عار في جبهة العار !

Twitter: @alqareah

واحتمل خليل حنون خشونة النكبة ، بصبر أوتي من عزة الوقار ، ما يقيه الانهزام في البأساء . وبدا في قضاته ، وقد عبسوا ، كأنهم يتصنعون الرزانة . وتكلم رئيسهم بصوت متقل بالجلال ، يعلن به امد سلطانه . فضاق خليل بالجو الخانق ، ولا منفذ فيه لمدّ الانفاس . الا انه ظل ممسكاً بطول أناته . وليس لمن تخونه اعصابه ان يثبت في الكفاح

قال يجلو اختلاق التهمة المسددة اليه : جئت بيروت للارتزاق ، يا سيدي . بل جاء بي اليها من فرض عليّ المثول ، في هذا المجلس المهيب ، بظنة يشهد الحق ببراءتي منها . وليس هذا السليم الطوية غير وسيم جابر ، الصديق الكريم . فلقد بذلت في الخدمة المجهود النصوح . ونظر صاحب المحل الى استقامتي ، وصدق وكدي ، فاعلى شأني . فهاجت ثقته بي نقمة اخواني ، كأن ليس في الناس من يطيق فلاح اخيه . وفي طليعة الناقمين بدا وسيم ، صاحب اليد البيضاء عليّ . فثار ، وبرطم ، وألحّ على رب العمل في اعفائه من المهنة . وما يرتضي ، بعد كفاح بضع عشرة سنة في نصرة المحل ، ان يتقدمه ابن البارحة . فاخذ رب المتجرة في ملاطفته ، ووفق بيننا . الا ان الحقد ظل مفتوح العينين . وفارت فائرته يوم ظهر لي النقص في الصندوق. وقد طار منه مبلغ خمسمئة رقعة من المال . وسألت عنها ، بلجاجة ، اخواني في العمل . وحتمت عليهم ان يجيزوا لي الفحص عنها في جيوبهم . فصاح بي وسيم جابر : « وهل لك في

Twitter: @alqareah

التفتيش ،في جيوبنا ، عن القيمة الطائرة،دون ان تبيح لنا البحث عنها في جيوبك ؟... عليك ان تتساوى بنا .جيوبنا باجمعها مباحة للتدقيق في طياتها . ولست خيراً منا ! ». فرضيت .وامتدت يدي الى جيوب اخواني،فما وقعت على المال. وانسلّت يد وسيم الى جيبي ، وانتزعت منه غلافاً حوى المبلغ بتمامه . وهالني ما ارى . فالغلاف مدسوس في معطفي ، وما اعرف له وجهاً. أما من دسّه ، فهم الرفاق الحسّاد . وكيف اسرق نفسي ، فأستولي على مال لا غنية لي عن ادائه ، وانا المؤتمن على دخل المحل ، والا فالسجن مأواي ؟

فظلت الوجوه العابسة على جهامتها، كأن القضاء يتنكر للمؤانسة. وعاد الى الكلام رأس هؤلاء الرابعين بجلالهم بالمنصات ، على مستوحش الشك في ما يعرو مسامعهم من بيان مطرّز الحواشي .فقال بصوت أجشّ ، يخيف اكثر مما يوحي بالثقة: وهل بدا الغلاف، عفواً ، في جيبك ؟.. اي يد جازفت بنفسها واودعته معطفك ؟

فأذاع بشدة ، كأنه يمسك بخناق غريمه : اني لاتهم وسيم جابر ، يا سيدي . وأبني التهمة على اشتراطه التفتيش عن المال ، في جيوبي ، في مقابل اباحته لي الفحص عنه في جيوب رفاق العمل . فما حداه على اساءة الظن بي ، لو لم يكن موقناً اني ضحية مكيدة نسجها بيديه ؟

فاستنبأ القاضي الاول بلهجته الجافة نفسها: وهل من ابصر وسيماً يلقي في جيبك الغلاف ؟

فقلب شفتيه . ليس يدري . الا ان ، بين حنايا ضميره ، قوة من

Twitter: @alqareah

ايمان لا تقهر ، تحفزه الى الجهر بلا مراء ، ولا خفر ، ان وسيماً مصدر الرزيئة ، وانه حاك الدسيسة بنفسه ، ليسلم من خطر منافسه . ولكن يقين خليل بصدق تخمينه لا يكفي . ولن يجد قضاته ، في قولته ، وقد عدمت من يشهد بصحتهـا ، حجة على خلاصه من وقع التبعة

واستوضح الرئيس ببعض الحدة ، تجاه الشده المستولي على المتهم: أتظن سوءاً بمن لا تملك على الارتياب به دليلا ؟

فاستلت ، من كبده ، فورة تنزيه مجمته من الشين ، صرخة ملتهبة ، ملأت جنبات قاعة العدل . قال : موقفه الحاقد مني برهاني على كونه يضمر لي الهلاك . ولي في رب المحل خير منصف ممن تجنى علي . قضيت في متجرته ما يعدو السنة . وما تدنست يداي بهباءة حرام !

وصاحب المتجرة في السوق الطويـلة وقف ، بانبساط جبينه ، وبمشيب فوديه ، بين ايدي القضاة . وانحنى ، في حضرتهـم ، بخنوع عابد الدينار حيال من يعلوه شأواً . وحدثهم عن خليل حنون . فقال بحنق الغاضب على من تهدده في وفره : هذا الفتى ممن اشتغلوا في عملي . بدأ بحسن سعي ، وانتهى الى اشقى حالة . وهبت له مطلق سلطاني ، فعبث بمالي . ونحن التجار نقيس الناس بامانتهم . فمن يختلس قرشاً ، يتوعد بالتهام جبل من ذهب . ولقد اغار منكر الجميل على خمسة رقعة من النقد !

فاستقصى رأس القضاة : أتراه ذلك السارق ؟... أما تحامل عليه

Twitter: @alqareah

حساده فدسوا في جيبه المال ؟

فهز صاحب المتجرة برأسه استخفافاً . ونبر وما زال الحنق يرين عليه : ومن يجرؤ على هذه العملة ، يا سيدي ، ومـا يقدم عليها غير لص من الطراز الضخم؟... ان محلي ، والشكر لله ، يخلو من امثال هذا المحتال . والا لكنت، من قديم الزمن ، في حكم البائدين!

فما برح الرئيس يحوم على السؤال الركن ، مستبحثاً : أتجزم كون المتهم ذلك اللص ؟

فاوضح سيد المحـل، ولم يشأ تسخير ضميره في مـا لا يقرّه عليه المنطق الحق ، كأن خلجة الصدق تأبى ان تموت: لم ابصره بعيني يغير على وفري. الا ان جميع العاملين عندي شاهدوا ، في حوزته ، المال المسلوب . وان يكن له من ورطته مخرج ، فليدفع بـــه عن نفسه الريبة ، ولينعم بثقة هوت عنه !

والتفت الى خليل التفاتة من لا يسامح ، ولا يتهم . وكل مـــا يشوقه ان يسلم حاله ومـاله . وعلى من زلت به القدم ان يتدبر امر نفسه. وانصرف يلملم خياله باحتراس، قانعاً من الغنيمة بالنجاة، لا له، ولا عليه .

وتدحرجت، الى قوس القضاة، الكتلة المستديرة . فلا محيد عن الاصغاء الى وسيم جابر في استكمال البيّنة . وانتشرت الابتسامة الساخرة ، في الوجوه ، ووسيم يتهدهد الى الحـــاكمين ، كحجر الرحى . مع ان من العسير ان تموج هـذه السحن ، المقدودة من

Twitter: @alqareah

الصلب ، برعشة من انبساط، فيما تقتعد منصات القضاء

ووسيم اشرقت فيه الطمأنينة ، وقد ازاح عنه الستار الحاجب النور . فبات بوسعه ان يسرح ويمرح في متجرة السوق الطويلة ، وان يخاطب الناس ، ويتنفس بملء رئتيه . وعلا صوته في قاعة العدل ، كصياح الديك . فمالت القضاة بمقال السيد الامثل : لم يكن لنا الا ان نعجب باقتدار خليل حنون على العمل المنظم، ايها السادة. ففي أشهر قلائل بات وجه المحل وروحه . فنعم بثقة الزبن ، وبرضى صاحب المتجرة . وسرّني ان اكون اهتديت اليه . واكبر سعيه رب العمل ، فعهد اليه في الاشراف على الصندوق . ولم يكن منه، ذات يوم ، الا ان هتف بنا ان في الصندوق نقصاً مقداره خمسة رقعة من النقد اللبناني . فهالنا النبأ ، وفيه نيل منا . وأبحنا لخليل الفحص عن المبلغ في جيوبنا . فلم يجده . قلت ، والكرامة تحدوني على نصرتها : « ولماذا لا نفتش عنه في ثوبك ، ما دمت لم تسقط عليه في ثيابنا ؟ » . وفعلنا . واذا المال بعينه ، في غلاف باسم المحل ، يقع بين ايدينا . فصرخ خليل حنون يتجاهل الامر ، ويتهمنا بكوننا اخفينا ، دون ان يشعر بنا ، في جيبه القيمة . ولكن اي نفع لنا من هذه الدسيسة الدنيئة ؟... وكيف تمتد أيدينا الى الصندوق ، والمفتاح لا ينأى عن قبضة خليل ؟... وأي مغفّل هو هذا الضائع عن نفسه ، وعن المهمة الموكولة اليه، ان نكن استطعنا سرقة المال من خزانة اؤتمن عليها، ووفقنا لحشو جيبه بالمبلغ دون ان يدري؟...

Twitter: @alqareah

غير اننا نعرفه ذا فطانة . وليس للفطين ان يبدي من الغفلة ما يسيء به الى مصلحة من وثقوا به . والا جاز اتهامه بوخامة النية !

وافاض بالظنة لا يتئد ، جازماً ، حازماً ، كأن الشفقة ماتت في قلبه ، واضحى لا يستطيب غير التأديب . فاستفهم الرئيس بلهجة عزّ عليها الايمان : وهل كنت راضياً عن المتهم لما تقدمـــك في العمل ؟

فحار في مايعلن ، وفي السؤال مغمز من شك . وغشيت سحابة من خشية عينيه . الا انه جاهد نفسه في القول ، وقد بوغت في الاستطلاع : ساءني ان تعلوني غرسة يدي ، يا سيدي . غير انـــ رب المحل اصلح بيننا ، فعدنا الى ما كنا فيه من صفاء . واقبلت على نفسي ألومها على وهنها ، وليس لي ان اخاشن من بذلت له من مروءتي . الا أني لا اجد لسرقة الصندوق صلة بنفارنا !

فاوضح الرئيس ، وهو يسوق الى الشاهد المقال : ولكن خايل حنون يعلن انك لم تطق ظله ، وقد علاكـ ، فنظمت المكيدة تشفياً منه . فحدثنا بالواقع ، ولا تخف من اذاعة الحق . وما للحق انـ ينطوي . أصحيح انك دبرت الجائحة ؟

فاضطرب . على انه ما زال يتكلف رباطة الجأش . فسدل على اضطرابه ستاراً من قهقهة . هذه الدعوى تضحكه . قال يسخر بخليل حنون : اني لاشفق عليه ، يا سيدي ، وقد ذهبت ذلته بصوابـــه . فهل لي ان اصمه بالخزي ، وانا من سهّل له الى السوق الطويلة ؟ ...

Twitter: @alqareah

ان رب المحل ليحجب عني ثقته بي، وقد جئته بمن يسطو على نقوده. سامح الله خليلًا. لو كنت املك الساعة امر حل وثاقه، لفعلت. واطلب الى سادتي القضاة ان لا يتهاونوا في النجدة. حسب الفتى المتأد هذه الوقفة الكاسفة كي يستقيم!

وكان استعطاف اوجع من لطمة. وصرخ خليل بغيظ، متململًا مما تلتقط أذناه، وقد كاد يجن حيال سفالة وسيم: لست بحاجة الى هذه الرحمة الكذوب، يا مولاي الرئيس. فالجاني هذا هو. أيقتلني، ثم يمشي في جنازتي متفجعاً عليّ؟... بيده ضربني. ولن يغفر له الحق مكره الفظيع!

ففشت في ملامح الكتلة المستديرة بسمة هازئة. وبسط وسيم يديه في ابتهال مديد، معلناً بامتهان: اطلب الى القدرة ان تعيد اليه هداه، ايها السادة. وماذا لي ان اقول في من اضاع الصواب؟

فانفجر خليل حنون بالشتيمة، زاعقاً بتفاقم الموجدة: مجرم، وغد. ترتكب الاثم وتتمسح بالابرياء!

وغلى في قفصه. وكاد يثب على هذا الناطق بالشهادة الزور، فيودي به. وما انفك يصيح باحتدام: ليس قاتلي غير هذا الموبوء الذمة!

وشهد سائر العاملين في المحل بما لا يخرج عما افضى به وسيم. وبحث فيهم خليل حنون عن مغيث، فما وقع على سوى من يرهفون المدى للذبح. فتجلى له حكم القضاة قبل ان يشيع في مسمعه. سيبقى

Twitter: @alqareah

في السجن . واشفق من نفسه على من يناضل عنه . بلاغته ذاهبة ضياعاً . وانقطع عن الكلام يلقي امره الى حظه المكتوب

وتمثل قضاته قوماً مسوقين الى حظيرة ليس لهم ان يتخطوها، كقطيع النعاج . فهم عبيد النظام . احرار ، ويرسفون في القيود . وما نصت عليه البنود لا يلمّ به تحريف . وهذا هو الاسر الطليق

وودّ خليل لو ابصر بقربه رفيقاً يشعر بشعوره ، اذن لادرك بعض العزاء . تمنى لو بدت له حتى عمته زهوة ، مع مشؤوم دمامتها . الا ان زهوة نفسها انكرته حين سقط اليها خبره . هذا ليس ابن اخيها . ودعت عليه بالابادة . وهكذا صدف عنه الجميع . كأن القدر لفظه سقطاً مرذولاً . دودة في الرمل اليباس !

ونأى عنه قضاته ليتداولوا مصيره . وعادوا بوجوههم المقطبة ، وخطاهم الجازمة ، وقد اجمعوا على حبسه . حكموا عليه بالسجن ستة اشهر . ولكن ماضيه النظيف حداهم على تخفيضها الى نصفها . فلمعت في باصرتي خليل نذالة القدر . ولم تتصاعد من شفتيه نبرة ، ولا همسة . بل التفت الى حراسه يعرض عليهم يديه كي يكبلوه بالاغلال ، ويعيدوه الى معقله

وأطفّ حاجباه . وانعقدا في عبسة المطأطىء الرأس للمقدور . وجرّ نفسه الى سجنه يقتعد فيه زاويته ، ضاحكاً من الاجيال المتهالكة على الحياة ، وما الحياة غير مكتنز من مكر ، المتصارعة في اختطاف اللقمة ، واللقمة ، على حلاوتها ، كريهة الطعم ، وقد امتزجت إما

Twitter: @alqareah

بحقارة النهب ، وإما بمرارة الاستجداء

وساءل ضميره عن الحافز الى الخلق. وما ثمة غير شقاء وفناء تكتنفهما الحسرات . أفما كان الاولى ان يمّحي الشقاء ، او ان يهمد الانبثاق ؟

وتاهت عيناه في المجهول ، كمن يبحث عن سر اعياه جلاؤه . هلا اشفقت الارحام ، على عطاياها ، من وجود صفاياه درن ، واطايبه زؤان ؟

Twitter: @alqareah

٨

الرقص على القبور تتسع حلقته في متجرة السوق الطويلة. فتنعقد المجالس تحت رعاية وسيم جابر، وتقصف ضحكات الجذل كأن العصبة في عرس. وأدوا خليل حنون في كهف مظلم، وسلمت عيونهم من ظله الخادش. ويعرض وسيم جابر صدره، ويدور على نفسه بمريء البهجة. اردى خصمه، وبات فارس الميدان

وكم تباهى بصولته، ناشراً، في اخوانه، رائع صنيعه، وهاتفاً بمفرط العجب: انقذتكم منه، كما ينقذ النطاسي الضليع بلداً باسره من شر الوباء. فكان فينا اشبه بالبرداء، وقد هزنا جميعاً. فعفواً عن اساءتي اليكم، وانا ارميكم بويله. فما عرفته نافث اضغان. لم يعصف بنا القلق الا والخبيث يبدو في المحل!

وبطر وسيم باستعادة صولته. فباتت السوق الطويلة لا تتسع للكتلة المستديرة، المالئة الشارع والرصيف. فتتدحرج فيها بعزة ذي الجلال، كأن سارت في ركابها قوافل الخلق، كالانعام. وصعّر وسيم، في المحل، خده على رفاقه. فازدراهم وافتأت بحقهم. وما كان يرى فيهم غير عبدان، لا يصلحون حتى لمسح حذائه

ورفاق العمل لم يضجوا في مستهل الغطرسة. فما يضير وسيماً ان

Twitter: @alqareah

يتيه دلالاً في عودته الى القمة . غير ان الصلف طال . فنفرت القلوب متبرمة بالفظاظة . فان يكن وسيم ذلك المعبود ، فقد لجّت الملالة باخوانه في الكفران به . وتواطأوا على خلع النير . فما اقصوا عنهم خليلًا ليستعبدهم وسيم ، وقد تساووا في الطينة والمهنة ، وان يكن هذان تقدماهم في الشأو

وغلبت على الحناجر نبرة جشّاء ، غير مطمئنة ، يتحفز بها العصيان للوثبة . فما ان يذيع وسيم امراً ، او يلوك لسانه دعوة ، حتى يصدمه الازورار ، والونية في التلبية . فيحتدم ويتوعد . فتنشزره العيون بمهانة صافعة . فيشتم ويصخب ، ويهدد بالشكوى الى رب المتجرة . فما يقع على سوى اعراض وهزء . ففلت سخائمه . وصرخ بهؤلاء المتقاعدين عن الامتثال : أتحسبونني فيكم زريّاً ، وانا هامتكم ؟... ولكني اطردكم جميعاً . فإما ان تخضعوا لمشيئتي ، وإما ان تخلوا المتجرة . فاختاروا !

فاندلعت ضحكات الامتهان من حناجرهم جميعاً ، كأنهم يسمعون هذراً . والضحك الساخر ، في مغالبة الخصم المهتاج ، اوجع ضروب المغاضبة . فاستشاط وسيم حنقاً . ومشى اليهم على نزوات صيّاحة ، مزمجراً ، وقد عمي : ألا انصرفوا . أكسلًا وعصياناً ؟... ما صادفت قوماً ، خلت نفوسهم من الحياء والانفة ، بمقدار نضوبها فيكم . فاذهبوا عنا !

فجلجلوا ببيان لاسع ، مغتاظ : أإلينا تسوق السبة ؟... لا ،

Twitter: @alqareah

والله،لن نبيح لك الحط من شأننا . فلسنا خليل حنون كي تتغدى بنا ، قبل ان تتعشاك . خليل كان في مناوأتك وحيداً . اما نحن ، فان لنا ، من تعاضدنا ، ما يبدد خطرك علينا !

ورشقوه بابصار تنهد الى الشر . فراعته البادرة الدهياء . الا انه لم يدّرع لها اللين . فلن يبدو جباناً في مقاومة الزرازير الاغرار . ونبر : أتتوعدونني ، لا عافاكم الله ؟... ألا ارحلوا . ما انتم غير اقزام . فالمتجرة حرام على الضعاف المتجبرين !

فوثبوا عليه يرومون كسره . انه لصعلوك يتنمّر . وشعر بالعيون تلتهمه . وأحسّ ، في جسده ، باللكم قبل ان تمتد اليه قبضة . ونزع الى الاستنجاد. غير ان أشره حبسه عن الاستجارة. فهو الكفيل بهؤلاء المغيرين عليه . واقتحم صفهم صارخاً بهم بنزق شاء ان يعدّه جرأة: ان لم تبرحوا المكان طوعاً، طرحتكم منه كالنفاية!

ونفش جلده عارماً ، مع يقينه بتخاذله عن المصادمة . فقبض عليه من خضخضه بخشونة ، صارخاً به : لن تكلفنا لكمة . فعلى من تدالل ؟.. اعلم اننا في الهوى سواء . فلسنا الملطخين بالشين ،وانت ذو القميص الابيض !

فارتجف فؤاده ، وقد ادرك المرمى . واراد النطق. ولكن رب المحل بدا في الباب . فاعتري الجمود الجميع . واقلق الصراخ والحشد صاحب المتجرة ، فاستجلى مرتاعاً ، وقد تراءى له ان الصندوق ضحية غزوة أخرى : ماذا ، يا وسيم ؟... هل من ورطة ادهى ؟

Twitter: @alqareah

وانتابته الصفرة . فمشى اليه وسيم جابر بخطوات غضاب ، ووجه مكفهر ، يذيع بحدة الموتور: إما انا ، وإما هم ، يا سيدي . فلا ادعوهم الى بذل الهمة ، حتى يعروني سخرهم بي . فكأنهم في المحل ليتقاضوا اجورهم ، دون ان يكلفوا انفسهم عملا !

فصوّب اليهم سيد المتجرة نظرة تتطاير سخطاً ، مدمدماً عليهم: أتتمردون ؟... متى نفخ فيكم هذا اللؤم فحيحه ، فامسيتم على استهانة بالمقدور عليكم ؟... ولكني اضرب بكم كبد الشارع ، كعقب اللفافة !

فمالوا عليه يبدون الظلامة ، قائلين باصوات تلتمس عذراً عن الونية : ولكن وسيماً ما يألو يمتهننا ، ايها السيد . فيخاطبنا كأننا لديه من الحشم ، بما لا ترتضيه نفوسنا !

فهز وسيم برأسه استخفافاً ، وهتف : أسمعت مـــا يمخرقون ، يا سيدي ؟... انهم ليرون ، في دعوتي اياهم الى البرّ في الخدمة ، زهواً وتيهاً . مع اني احثهم على القيام بما ارتضوا لانفسهم . وليس يطيعني ولائي ان اتقاضى مالك حراماً !

فصاح رب المتجرة ، وقد شاقه ان تكون البلية صدفت عن الصندوق : وسيم ، هنا ، رأسكم . وعليـــكم ان تطيعوه . والا فانصرفوا . فما المكان معرض خيلاء وصراع !

فنفشت حنجرة احدهم قولة قاطعة كالسكين المسنونة ، وقد اعلن بناحر الاضطغان : ولكن وسيماً ليس ذلك الامين على المتجرة كما

Twitter: @alqareah

يزعم ، ايها السيد . فهو يشتغل في المحل لنفسه ، اكثر منه لك . وما يبهج قلبه الا ان يستعبدنا جميعاً . وتلك السرقة في الصندوق، الراسية في عنق خليل حنون ، لم يجترحها خليل، بل وسيم. فدبرها للقضاء على الفتى ، وقد جاوزه في المرتبة . وسايرناه فيها . ولم يكن بيننا من يطيق ان يتقدمنا من جاء بعدنا !

فكاد وسيم ينشق . فالضربة فرعته . وصرخ بصوت اشبه بالولولة : كذّاب ، كذّاب . انك لتفتري على الحق المبين . خليل حنون سرق ، وعوقب على ما جنت يداه !

واختلج من رأسه حتى قدميه . وماع حتى امسى اشبه بالقربة المتقاصرة عن الامتلاء . ونظر اليه العاملون في المتجرة نظرة التحدي. هذا مجال الانتقام المبيد . وازجى اليه من اتهمه بمكايدة خليل حنون القول الوئيد ، امعاناً في نشر الهتيكة ، ونثر الضلوع . فسأله بلهجة امضى من مخلب النسر : ألا يذكر وسيم ما بيّت لخليل ؟... بيده انتزع من الصندوق خمسمئة رقعة من النقد اللبناني، فيما كان خليل حنون في قضاء حاجته ، وقد نسي المفتاح في القفل . واشار وسيم الى غلاف بعنوان المحل . نجئته به بنفسي . فطوى فيه المال. وما عاد خليل الى مكانه ، بجانب الصندوق ، حتى دنا منه وسيم يهمس في اذنه لا ادري ماذا، ويلقي بخفة، في جيبه ، المال المسروق. فابتسمنا جميعاً ابتسامة التشفي . نجحت الحيلة . ونجونا من شبح خليل حنون !

Twitter: @alqareah

والتفت الى رفاقه في العمل يسألهم بنبرة تطفح براجح الثقـــة : أليس كذلك ، يا اخواني ؟

فاوضحوا ببيان لا تأتيه المواربة من نواحيه جميعاً : بلى ، بلى . هذا كله وقع !

فاحس وسيم جابر بانه اصبح في الهالكين . انتفاشه قضى عليه . وأعاد صيحته المعولة : كذب . كذب . وسيم جابر لا يسفّ الى هذا المنكر !

ودارت به الارض . اي صواعق تنقض عليه وتوشك ان تمحوه ؟ .. وضحك الرفاق من هلمه ، ومن تقلص ملامحه . فالعرق البارد يخضبه ويسيل من جبينه ، ويطبعه بطابع السفال ، مع فائق جهوده في ادعاء نزاهة الضمير . وما فتىء مذيع الفضيحة يصبّ الزيت على الموسجة الملتهبة ، فتزداد احتراقاً . قال يغلو في قهر وسيم : أتجروء على النفي ؟ ... كلنا هنا لادانتك ، ولا انقاذ بريء من سعايتك به !

ورفع ناظريه الى سيد المحل يقول بجهير التوكيد : خليل حنون نقيّ الوجه واليد من تهمة السرقـــة ، يا سيدي . ان هي الا خدعة دبرها هذا المتغطرس الحسود . شكونا اليه ما احرز خليل من تفوّق علينا جميعاً ، فابتـــدع تلك الدسيسة الشائنة لمحقه . ويخلع قلبي ان نكون وافقناه عليها !

فتساقطت نظرات صاحب المتجرة على الشاكي تلتهمه فضولاً . ألا يكون خليل حنون ذلك السارق المحتال ؟ ... أهي احبولة احكم

Twitter: @alqareah

وسيم خيوطها للقضاء على الفتى الطرير ؟

وما زال وسيم جابر يدفع عن نفسه الظنة المثيرة اليه بكل يد ، والجائة باساريره وصمة لا تمحى شوا كلها. فاطلق الحمم الحمر ، كالمحشرج وقد اشرف على التلف ، يذود بها عن سمعته المحتضرة : ما هؤلاء غير فئة مضللة ، يا سيدي ، تواضعت على هدمي . الا ان لي من سلامة طويتي ما يقيني الافتراء الشنيع . اخلاصي للمحل اثار علي هذه النميمة الهوجاء !

ولكن رفاق العمل ، وقد كشفوا باجمعهم عن جباههم ، سدوا عليه كل سبيل الى التنصل من الشبهة. قالوا يفقأون في عينيه الحصرم: لا تتعب في التظاهر بالانفة ، وانت تغيب في الوحل . لقد اسمعتنا الغيرة وخليل حنون يعلونا . اجل . وما ننكر اننا بادرنا الى لومك وانت من فتح له باب المحل ، واننا جنحنا بك الى الحذر منه . غير اننا ابرياء من ختلك ، وقد سعيت لاهلاك الفتى بكيدك المتلاف ، فانت ناصب غائلة الصندوق !

فجف ريق وسيم جابر ، ويبست حنجرته. أفحمه الرفاق . على انه ، مع لعثمته في رد التهمة ، ما انفك يتصون عن الاقرار بالزلة . واحس بالنار تلتهمه من كل جانب . فهو في اتون يتضرم . وتبين رب المحل وجه الصواب في الخدعة المحبوكة ببارع المكر. فقال يخاطب الكتلة المستديرة ببيان الحق : يؤلمني ان يبيت هذا المكان ملعباً للضغينة ، وهو مورد رزق يفرض علينا انجاحه الصدق في الجهد .

Twitter: @alqareah

فلقد صدمتموني في حسن ظني بكم ، وليس لي ان اهنئكم بهذا التراشق بالمهاترة ، ولا بايقاعكم بفتى عفيف الجيب . فانها لخسة يوجع خاطري اسفافكم الى حمأها . وان تكن ذلك المحرض عـــلى خليل حنون ، يا وسيم ، فلا مذهب لك عن الاقرار بالواقع ، وانقاذ الفتى الناصع اليد من السجن . نبل الروح لا بد له من يقظة في الضمائر .والا كان الوحش بمقام الانسان !

وتهيّب رب المحل الظلم الخالع . فان تكن التجارة تجيز القنص، وهي لون من الوان الجشع ، فما تبيح الاجرام ، وايداع الابرياء السجون . ولكن وسيماً ابى الانهزام ، مع احساسه بكونه اخذ يتدحرج في حفرة نقبها بيديه، ليدفن فيها خليل حنون.فاعلن بصوت يختنق : أيؤمن سيدي بمـــا يحاولون ان يوهموه من وشاية يلبسونها لباس الحق ؟... متى كان وسيم جابر ناسج اكفان كي يودي بالاعفّاء الصادقين ؟

ولكن رفاق العمل لم يبيحوا له الافلات من ربقة جريرته ،وقد باتوا ، بحافز الاشتفاء ، يحنون الى التكفير عن اثم الزور . فالانصاف يهيب بهم الى انتشال خليل حنون من ظلمة اسره ، حتى اذا قضي عليهم ان يكابدوا اهوال هذا الاسر . ففي افاقة الضمير ، احياناً ، صراخ يتدفق به الرشد الرادع عن الموبقة ، ولا يطيق البشر ان يسدوا آذانهم عنه . وما يرون أنفسهم الا مدفوعين ، على رغمهم ، في مهبه . وقد اضحت مهجهم لا تحتمل عبء ما انزلوا من حيف بالطاهر الجناح

Twitter: @alqareah

قال اخوان وسيم جابر يلحّون في شدّ وثاقه بقيد وغادته ، ولا بأس ان يكونوا شركاءه فيه : نحن هنا لنشهد ان خليلًا بريء، وان وسيماً علة البلاء . واذا طاولنا العقاب ، فلن نفرّ من وقعه ، بعدما شاطرنا المفتري تحامله على النزيه !

فتداعى وسيم حتى امسى رمّة . ان العدل ليأخذ منه للمظلوم . وتجلى له نزقه في عجبه . اسكره النصر فشخص له ان بوسعه استعباد من حوله . فمطّ خده على رفاقه ، وتناسى انهم واقفون على ختله، وهو مكمن العيب فيه

وسأله صاحب المتجرة بحدة يصبح فيلم الاحتقار : هل بقي لك ما تدحض بـه التهمة ، يا وسيم ؟... خاطري لا يطيعني في النوم عن البريء المطروح في اعماق السجون . فان لم تنطلق بنفسك الى فكّ اغلاله ، والتماس صفحه عنك، فاني لمضطر الى ابلاغ رجال الامن خبرك . وليس للعابث بكرامة الاخيار ان ينعم بالصفاء، بينا يقاسي من جنى عليهم مرارة العذاب ، وما اقدموا على فجور !

فكأنه ديّانه ، وما يجامل في ضلة . الا ان وسيماً فاته الوسع . واني يجري الى دار القضاء ، كالباحث عن حتفه ، وهو مجترح المضيمة ، ولن يرفق به رجال العدل ، فيسامحوه ؟... وناشد رب المتجرة ان يقيه الذلة، فتنثلم احدوثته ، مع عفته عن النكر . ولكن سيد المحل لم يكن يقع له على عذر . فما دام تجرأ على العبث بسلامة المتجرة، وسخرها لمأربه ، فعليه ان يؤدي من نفسه بدل استخفافه

Twitter: @alqareah

بالامانة ، حتى على بذل شبابه في المهنة. وما يعطي عفواً من مجهوده، وله مرتب يكفيه

وشاء ان يضربه عبرة يتعظ بها رفاقه . والا بات المحل ملهاة للمتهزئين .وما نسي المتهم البريء . فاوجعه ان يثوي الوضاء الجبهة بالسجن ، وان تكون مكافأته ، على صادق وكده ، تلطيخ صيته ، وسحق كرامته

ولم يفتأ ، منذ وقوع السرقة في صندوقه ، يتعجب من استباحة خليل حنون اموالاً موكولة الى استقامته . وما لاح له الفتى ، في جميع مواقفه، غير ذلك النقي السريرة، الشحيح بالمؤتمن عليه . وسمعه، في نفض التهمة من عاتقه ، وفي ايضاح حالته ، يعلن كونه نعجة بين ذئاب . واراد صاحب المتجرة ان يؤمن . غير ان الاجماع خدعه عن حسن ظنه . فالعاملون لديه ، كلهم، صارحوه ان حامي الصندوق سارقه . فاضطر الى الالتفات الى ماله ، متجاهلاً نقاوة السريرة ،ولم يبق لها وجه في الحساب

اما الآن ، والحقيقة نضنضت في سمعه ، وفي بصره ، فلا محيد عن انتهاج سبيلها لنصرة البراءة المكتوفة ، المضرجة بدمها النصيع . فان عبادة الدينار لا تقف ابداً دون الانصاف المقدور . وخاطب وسيماً بنفرة المتململ من الزوغان ، قائلاً له : ان لم تسرع الى معالنة القضاء الامر ، فان هنا من لا يتورع عن الابلاغ . جازفت مجازفة دنيئة بثقة خلعتها عليك !

Twitter: @alqareah

فهتف مذيع الواقع الاليم : انا اتولى المهمة عنه ، يا سيدي . فاني لسالك طريقي الى دار العدل !

وحث الخطو الى صرح القضاء ، مع يقينه ان التبعة تجاوله . والحق ، عند سفور طلعته، يجد اعوانه حتى في المؤتمرين به . فيتطوعون بجميع عزماتهم لاقراره ، والكشف عن مبسمه

وبات وسيم جابر اشبه بالورقة الصفراء في مهب السموم . وتراءى له ان بدانته المفرطة تناءت عنه ، وامسى منها في خيال هزيل . واستجار بصاحب المتجرة من مناوئيه، لائذاً بماضيه، وما ينفك ينادي بترفعه عن الغائلة . ولكنه ما لقي ، في وسعة الندى ، موطئاً لقدمه. فما زال رب المحل يردد بجفاف : لندع الامر للقضاء ، للقضاء . فهو وحده المرجع الاصيل !

وامسك القضاء بخناق وسيم جابر . وما اجدى الكتلة المستديرة ، المتهدلة ، انكارها . فالاجماع على حطمها عادل الاجماع على طحن خليل حنون . فما اشبه هذا بذاك. الا ان خليلاً عصمته براءته . اما وسيم ، وهو المفتري على الوضاءة ، فلا عاصم له . ولا ندحة عن استقراره بالسجن ، جزاء كفرانه بنزاهة الضمير

وضمه السجن بانتظار مثوله في قفص المتهمين ، في قاعة العدل . ووقعت عينه في عين خليل حنون . فاتقى التحديق الى ضحيته ، ودهمه الخجل . اصابته شظايا قذيفته . ونهد الى الفرار . بيد ان خليلاً صاح به بتفاقم البهت : أأنت هنا ، يا وسيم ?... ولماذا ،

Twitter: @alqareah

يا صديقي ؟... هل من ظلم عراك ، فاقبلت الى زريبة الاحياء تعاني شدائده ؟

فابتسم ابتسامة ذليلة.فريسته تتألم لحاله . وماذا له ان يقول؟... أيبلغها ان سهماً رشقها به ارتدّ اليه ؟... فتوالت الغصص على الكتلة المترهلة ، والخزي يقلق فيها بقوى العزيمة . على انها لم تجد غنية عن الجمجمة ، بابتسامتها الذليلة نفسها : اصابني ما اصابك ، يا خليل!

ـ ومن سعى بك ؟... رب المحل ؟

ــ بل العاملون لديه ، يا صاحبي !

ــ وبماذا اتهمك رفاق الخير ؟

فضاق عن الابانة . أيوضح كونه ذلك الغادر ؟... ولـــكنه لم يملك القدرة على الكتمان ، كالمدفوع الى هتك اثمه . قـــال بصوت رازح بالعيـاء : هم يزعمون اني اغريتهم بك ، يا صديقي .مع كونهم حرضوني عليك . لا ابصروا يوم رغد . وزادوا فقالوا اني استللت بيدي ،من الصندوق ،المبلغ المسروق ، واودعته جيبك ، ولم اكن احتمل شبحك المخيم عليّ !

ــ وهل فعلوا ، لا سامحهم الله ؟

وظهرت لخليل يد الحق المنتقمة للبريء . طابخ السم آكله . غير انه اشفق على هذا المنتهي الى ظلمة الاسر ، كالذرارة ، بعـد مما كان يملأ الـسوق الطويلـة بصراخه ومرحه ، كالمارد المتّل . فما يزال وسيم جابر ، لدى خليل حنون ، صاحب المعروف ، وان

Twitter: @alqareah

تكن غيرته حفزته الى التجني على النزاهة والاقتدار

وشاعت في الفتى سلامة طويته. فلم يشمت ، بل عفا . مع يقينه ان رفاق العمل اذاعوا الواقع في ما رموا به وسيماً ، وان ظهور الاثيم منجاة للعفيف المهجة من قبضة الظام. فلقد امسى خليل حراً بعد اعتقال وسيم جابر. ولكنها حرية ما اشتهاها على اطلال من احسن اليه

وعانق غريمه بحنان ، صافحاً ، ومصافحاً . فلم يكن يرغب في الجائحة الخاذلة ، وقد شتتت وشانت. ولعن القدر الحقود ، وما يبقي على وداد . فادهش وسيماً . القتيل يعفو عن قاتله . وغاب وسيم في مذلته، وليس يطيق هذا النبل، وهو دونه. وزام الالمام بدخلة ضحيته. أيهزأ به خليل حنون ، ام يبدي شعوره الحق؟... على ان سمة الصدق وقعت في باصرتيه نوراً باهراً، تكشف بين حوانيه المظلمة حقارة الضغن

وهذا الحلم الامثل حلّ عقدة اللسان في الكتلة المنهارة. فما تمالك وسيم ، بين ايدي القضاة ، عن الاقرار بتنظيمه الخدعة للخلاص من سيطرة خليل حنون. قال يجهر بهفوته : هي ساعة من ساعات الشؤم، ايها السادة، قادتني الى الغواية . فتبرمت بمن غرست يميني بجانبي ،وقد حجبني ظله. واتفقت واخواني في العمل على ابادتــه . وكانت مصيدة المال المسروق . على ان للمكر جولة ، ثم ينقلب على نفسه ، ويبدو كنهه . وهو ما جرّني الى هذه الوقفة الخاسفة . ان خليلًا لبريء !

واني الا ان يعلو في جلاء التهمة عن الصحيح السليم .فلن يكون خليل وجده ذلك الضارب في المكرمـــات باوفر قسط . فالاقرار بالذنب فضيلة . والتسهيل للبراءة ، كي تتحرر من سلاسلها ، يد محمودة

Twitter: @alqareah

وافاض وسيم بمقاله لا يتحرّز. وبدا، كما عرفته السوق الطويلة، ذلك القوي، الهازىء بالاخطار. ولم يسع خليل حنون الا ان يهتف بإلحاح فيه: وسيم، انك لترجحني سمواً!

فابان غير متكاف: انت علمتنا السمو، يا صاحبي، وبضاعتك تردّ اليك!

— ولكنك انتهيت َحيث بدأت َ. مروءة في المستهل وفي الختام. انها الخلاصة الجود. ايها السادة القضاة، عفوكم عنه، وليس لي عليه ذرة من حق!

وتباريا في الكرم. كلاهما يغرف منه. قال هامة القضاة: انكما لتدلاننا، باريحيتكما، على كونكما ارفع من الشائبة. ولكنه جور القدر افسد وثيق المودات. سننظر على الفور في امركما. فارقبا الكلمة العدل!

والكلمة العدل افرجت، بلا ابطاء، عن خليل حنون، تهب له طلاقته الخالصة. واكتفت بسجن وسيم شهراً، وهاتك الستر اسبوعين. وفرضت غرامة طفيفة على سائر الرفاق. فضجت القاعة بالتأييد. مرحى، ثم مرحى. وهرع رب المتجرة، الى خليل حنون، يعانق فيه الابن الحبيب، ويهيب به الى استعادة شأنه في المحل. فشكر الفنى، ومانع. ليس له ان يسيء الى اخوان يغضهم ظهوره فيهم. قال بعذوبة في الاداء: لنفترق اخواناً. ففي البعاد على رضى ومضة، لا انقطاع لها، من حلاوة الذكرى!

وغلا في الرفض. ليس يشوقه ان يصطلي بنار الحزازات. فان ارضاً تنبت فيها الشحناء، لارض تجنح بمرتادها الى القطيعة، فالنسيان

Twitter: @alqareah

ازيز الشهوات

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

١

علمته الايام ، من امره ، مـا جاوز معرفته انه ذلك الموجود ، وان المساواة بين الناس عسيرة ، بل عقام . فبات يـدرك مطاوي هؤلاء الناس . ويلمّ بمواقف بعضهم من بعض . وما رأى فيهم غير انياب للعض ، واضراس للطحن . فالمودات عندهم منافع . وحيث تنتهي المنفعة، تتلاشى الخالصة. كأن شهوة النهش والالتهام ركن الحياة

وضحك من ابناء الصلصال،وليس فيهم سجية من حمية . فالنبل مات . واستأسد الطمع والسفال . وجزم ان اللحم والدم يتقاصران عن الرفعة والسداد،وان الكون مسبح حيتان. فمن لم يكن مفترساً افترسه جاره ، بل نسيبه. وربما اخوه وابوه. فما الخليقة غير جيش من ضباع واغار ، يهيجها الدينار

وراعه ان يخلو جيبه من هذا الدينار . فسلخت منـه ، ليالي السجن الفواحم ، آخر رقعة من النقد في كيسه الهزيل . وعليه ان

Twitter: @alqareah

يشتغل ليأكل ، والا ساوره الجوع . ولا متكأ له يستند اليـــه في رغيفه . عمته تابت عن ايوائه ، وقد جحدها في منبسط نعماه . ولن يعود الى متجرة انكرت فضله ، وازجته الى السجن مكافأة له على حميد وكده . فالحرمان ، بعيداً عنها ، خير من لقمة منغمسة في الافاويه في اكنافها الجهام

واني يلقى عملاً وقد اصبح يخجل من اعلان اسمه ؟... فشخص له ان بيروت ، على متراميي نطاقها ، امست تشير اليه بالازدراء ، حتى مع استمتاعه بنصاعة وجهه . واتقى ابناء بـــلدته . ولم يكن يتماسك ، اذا ما لاحوا له ، عن التظاهر بكونه لا يبصرهم ، كأن دخول السجن ، حتى عـلى طهارة قميص ، عـــار . وناه في اسواق بيروت كمن لا يزال حديث العهد فيها . ولم يختلف حاله عنـه يوم هبطها للبحث عن عمل يجود عليه بالقوت

واذا اهتدى بالامس الى وسيم جابر ، يصلح من شأنه ، فمن له الساعة يحفل به ، ولم تبقِ له التهمة ، مع بُطلانها ، ذخراً مكتنزاً من ثقة يركن اليه في الائتمان على الارزاق ؟... ورضي بالعمل كاتباً في الظلمة . فلا يبصره احد . ولا يتصل بالرفاق . ولا يتسلم مالاً . فهو والقلم ، والدواة ، والدفتر ، والجدار . وانها لامنية لا يشتهي ما يرجحها الطامع في العزلة الخرساء

وفيما تبري الطرق نعليه ، وينسلّ بذهول الحائر من زقاق الى زقاق ، كمن يخشى الظهور في الناس ، سمع من يناديه باسمه . فخيل

Twitter: @alqareah

اليه ان اذنيه تخدعانه ، وليس لاحد ان يراه في هذه المسالك المقفرة.

ولكن النداء توالى . فارتجف خليل حنون ، وودّ ألا يلتفت الى المحرج ، وقد ظن به شراً. ربما كان احد رجال الامن يجدّ في مطاردته كي يعيده الى السجن

غير ان الصوت صوت امرأة . فالتفت خليل . واذا بالمتصابية ، ابنة الخمسين ، تملأ ناظريه . فعبس ، ومال الى متابعة طريقه . بيد انه استحيا ، والعين صدمت العين . وابتسم على رغمه ، براً في المجاملة . ومشى يخطو عاثر الى سائلة الغرام بعد اوانه ، وهو يضيق بهؤلاء الملتمسين ، وما في الكون سواهم . فمن ملتمس قوت ، الى ملتمس هيام ، الى ملتمس مجد ، الى ملتمس مال . كأن الافواه ما انشقّت الا لتطالب بما يدل على نهمتها الملحاح

وهو نفسه من هؤلاء الملتمسين ، وما يلتفت الى سوى عمل يدرأ عنه الشدة . وضاق باليد الممتدة الى مصافحته . فلتدعه يفحص عن رغيفه ، ولا طاقة له على المسايرة الجوفاء ، المكرهة على اذاعة مـــا لا تبطن المهجة . ولكن ابنة الخمسين قبضت على راحته بعنف ، تأبى ان تفلتها ، كالحريص على لقمته في مجاعة طغت شراستها

وتكلمت هذه المستهينة بغضونها ، وغضونها تتردد في اقرارها على جهالتها . فقالت بصوت يطير خفة : ألا اين انت ؟... لي شهر بكامله اسأل فيه عنك ، ولا ألقاك. هل رحلت عن البلدة ؟... قيل لي انك انقطعت عن العمل في السوق الطويلة. أصحيح ؟

Twitter: @alqareah

فتحرّز من اطلاعها على ما اصابه . الا انه خشي ان تكون واقفة على سره ، فتورّد خجلاً، فيما تحوم على شفتيه ابتسامة مرتبكة، يشيع فيها للذل افياء . واجاب بلعثمة جاهد في مغالبتها ، فقال : ما نمي اليك غير الواقع . تركت العمل في السوق الطويلة . واني لانشده حيث لا يدركني الاجحاف !

فهتفت عاتبة : أتريد عملاً ولا تهرع اليّ في الرغبة ؟... ولكني ابداً في نصرتك . تعال الى مصرفنا، وزوجي لا يمسك عن الترحيب بك . إلحق بي اليه ، وستصادف من أُنسه ما تطمئن به الى امرك . اخطأت في كتمان حالتك عني ، وما اصبو الى سوى خيرك !

وما برحت تقبض على راحته ، ناعمة بوهج دفئه . وسأل خليل نفسه أيرضى ، ويقيم بمصرف الزوج ، وليس يجهل ما ستكلفه هذه الاقامة من بذل ، ينحت من كرامته ، ومن دمه ؟... أُف لهذه المشتعلة جوى . همدت نضارتها ، وما خمدت نارها . فما تبتغي نفعه بمقدار ما تروم احتلابه، وقد اتسع لها الآن الى الاستيلاء عليه . فان استقراره بمصرف زوجها ليقدر عليه مسايرتها في شهواتها ، وخيانة هذا الزوج ، وليّ نعمته . أيفعل ، ويأكل لقمته مغموسة في اثمه ؟

ولكن اذا رفض ، ممتصاً بعفته ، فمن له يطعمه ، وينقذه من مسكنته ، وقد تمتد به الايام دون الاهتداء الى مورد يسخو عليه بحاجته ؟... وعاد يلعن القدر ، وما يبيح لمخلوق الاستمساك بعرى الفضيلة . فالرغيف لا يبلغ اليد سليماً من اللوثة ، ولا بد من ذرات

Twitter: @alqareah

خبيثة تقتعد لبه . والتبك خليل حنون في موقفه. يتراءى له جباران يتصارعان في اجتذابه. الجوع على نقاوة وزهد ، والنعمة على استباحة ودناءة. فما استطاع ان يختار . انه ليخاف من لطخات السوء في قميصه ، كما يخاف من عضات البؤس في جسده

على ان ابنة الخمسين قطعت حيرته بان جرّته الى مصرف زوجها، ساخرة بتردده ، وقد هتفت به : أيحتاج الامر الى تدقيق ؟... دع عنك التفكير ، وليس له في تيسير شؤونك مكان . القدرة مهدت لنا الى هذا اللقاء ، وفيه جمّ العائدة . ستكون في مصرفنا من ارباب الحول . فاتكل عليّ في تدبير مصيرك !

واحست بانه اضحى طوع يديها . فالصيدة سمينة ، وقد ظفرت فيها باطيب ما تحن اليه نفسها . سيبيت خليل خليلها ، دون ان تلقى فيه المهانة . خدمة بخدمة . هذا ما تفرض شرعة الانصاف . والا فاين مبادلة الفضل؟... وعلى اي ركن يقوم مذهب التعاون؟... جميلٌ بجميل . انه لاساس المعاملة في الناس . وعلى خليل حنون، وهو منهم ، ان يعطي بمقدار ما تأخذ يداه

قالت ابنة الخمسين ، وقد استعادت شبابها ، لفرط مرحها ، وكأنها رجعت الى العشرين : انت تجهل اي مودة احفظ لك في خاطري . فما بدوت لي حتى اهتزت اليك جوارحي . وللنفوس ، الى من تهوى ، حنين خطّاف ، لا سبيل الى الجنوح عنه !

وشوقها الى النضارة يميل بها الى اختلاس الرجولة ، بلا

Twitter: @alqareah

استحياء . وزادت خليل حنون يقيناً ان مـا من سعي ، في هذا الكون الكشود ، يجري عفواً ، لوجه الله . عمته زهوة وابنة الخمسين تتشابهان . كلتاهما تطلب زاداً ، مع اختلافهما في نوع هذا الزاد

وقضت الضرورة على الفتى ان يصانع ، فقال : ليس لي ان ارتاب بعطفك . فما لاح لي منك دلني على جسيم رفقك بي !

وما يبرح يذكر كيف تجانف عنها في السوق الطويلة ، وغاظها، لا يجيبها الى اشواقها . فنفرت عن المتجرة وفي نفسها حرقة تتلظى . وهل له الآن ان يمضي في مغاضبتها ، وهي من يفتح له كوة على النور ؟... قالت تنثر في مسمعه افتتانها به ، وكأنها تتغنى باكرم الاناشيد : ليس العطف ما يشدّني اليك ، وحسب . فانا في كلفي بك على مستعر الضرم. فاحبك، واجد في ولوعي بك اندى المنى !

وكادت تلتهمه افتتاناً به . وكم كان يلقى فيها سمو الروح لو حدبت عليه لكونه اعزل ، انكد . ونطق فيه بؤسه يقهره على المواءمة ، فاعلن ينقي العوز بالتواطؤ على الاثم : اراني من السعداء وقد بلغت،في خاطرك ، هذا المستوى العالي من وطيد الثقة !

فراقها الاعلان السمح.لم يطش سهمها عن معقد الرجاء .ستغوص في متعة طال اليها الظمأ . قالت بمغرورق الجذل : ستهنأ عندنا . وساذعو زوجي الى حبس الجعالة السنية عليك . وستنعم باللذات على استفاضة . فما دمت بجانبك ، فليس لك ان تخشى !

فهاله الحب الحرام المتقد في من ابيضّ شعرها ، دون سريرتها .

Twitter: @alqareah

واشفق منها على زوجها نادر يمين. فالرجل ممن انفقوا العمر في الكد والتحصيل ، فاثرى . وخليل يعرفه . فارتقى ، بالاعتماد على دأبه ، الى مكانة مرموقة بين ارباب اليسر . وانشأ مصرفاً موفق الاعمال . غير ان امرأته ، المنغمسة في المفاسد ، وما تطيق عنها خروجاً ، ضيّقت عليه صفاء البال

ولقد جاوز الخامسة والخمسين . الا انه ما زال ابن ثلاثين في همته وفي مرحه . ولولا ان تصاب السيدة زكية ، زوجه ، بداء الحومان على الشباب ، طامعة في اقتطاف النضارة ، لكان في اهنإ حالة ، وقد جادت عليه القدرة بالعزيزين ، بالمال وبالمقام

وثار حين درى بالمذلة . وهدد بالطرد ، وبالقتل . ولكن ، في المنزل، ابنة بعمر الرياحين . فما ذنبها في استهانة أمها باعراف الامانة ؟ ... واضطر الزوج المنكوب الى الصبر على الضيم ، لئلا يلوي ، في ابنته ، طيب الاحدوثة ، وهو يخلع عنه أمها . وفزع الى التنديد ، والنصح ، وثمة نبتة ربّما تهيب بوالديها الى التعالي بها عن مواطن الرجس . غير ان السيدة زكية تقسم بالله ، وبملائكته ، على ترفعها عن الفحش ، هاتفة : انا انقى من انفاس الفجر . ومتى بدا لك مني اني تلك المستهترة ، وقد رفعت رأسك ، وكنت وجه خير عليك ؟ ... انك لتذلني وانت تسدد الي مرّ التوبيخ. ولو انصفت لاحرقت ، بين يديّ ، البخور ، لوفائي ونصاعتي . وهل لي ان انسى ما عليّ في الحرص على سمعة ابنتنا ؟

Twitter: @alqareah

وتنتفخ كالطاووس . وتتناسى غرقها في المقابح حتى رأسها . وما للعوسجة ان تكون زنبقة . ويعزّ على الزوج اليقين باخلاص الشرهة الى اللذة ، فيهز برأسه ، ويبلع ريقه بمرارة . وليس للافعى زمام يمسك بها عن نفث السم

ولا يجد بدأ من ان يستحلف قانصة الشباب بوحيدتها الرطبة العود ، سائلاً بلهفة : رفقاً بمنى ، يا زكية !

ويخشى ان تسمعه ابنته في جداله وأمها ، وما يشوقه ان تدري فتنتقل اليها العدوى . ويصرف باسنانه ، والشكوك تحفر في قلبه ، محترقاً بغمته ، وهو وحده وقودها . ويأبى ان يلمّ احد من اهله واخوانه بنكبته . فليس للفضيحة ان تذيع ، وفي ذيوعها نحر فتاة بريئة ، كل ما يحفّ بها ، من رغد ، يمهد لها الى الغد الاشهى

ولما دخلت عليه امرأته ، تقود بيمينها خليل حنون ، ارتعش نادر يمين ، وارتسم في وجهه الكلوح . من المفاجىء ؟ ... وحدجه بنظرة حادة يقذبه بها على جميع وجوهه . واقلقته شبابه . ان فيه مسحة من اغراء . وارهف اذنيه بامتعاض ، يرصد ما ستعالنه به زوجه من امر الفتى . فابانت السيدة زكية بغنج طروب ، ماعت به الالفاظ :

نادر ، جئتك بمن يسعك الركون اليه . فهو السيد خليل حنون ، من ذوي الفطانة والامانة . وسترى من صادق جده ما تسكن به الى نقاوة معدنه !

فماد يحدق الى هذا الواقف بين يديه ، ويسأل نفسه : أما يكون

Twitter: @alqareah

عشيقتها ؟ ... اين عرفته ان لم يكن في مجمع خلان ؟

وجالت في ضميره المعذب قوارص الريبة. أيحتضن من يغدر به ؟...

لا . ليس لهادم الكرامة ان يأوي اليه. قال بصوت جاف ، يتكلف الرصانة، ويغلب عليه الامتعاض : في المصرف من المؤازرين ما يعدو الحاجة ، يا زكية !

وكأنه تذكر ان اسم هذا الماثل ازاءه ، في التماس مبرته ، مرّ به. فاستوضح : من هو الفتى ؟

فاعلنت السيدة زكية بحماسة : خليل حنون. ممن زانوا ببراعتهم السوق الطويلة ، على وفرة ارباب الكفاية فيها !

فعصر نادر يمين ذاكرته . واذا به يقول ببعض الاستهانة ، كمن اهتدى : وهل من صلة له بالمدعو خليل حنون ، المتهم بسرقة الصندوق ، في احدى متاجر تلك السوق ؟

فاحس خليل بان خنجراً غاص في صدره ، فقدّ اضلاعه . فاهتز وعلت الصفرة وجهه . وانتشر في جبينه العرق نجوماً . وأُصيب بالعيّ . فالفضيحة في كل بال . وراع السيدة زكية ما يلسع به زوجها وجه صفيّها، فنبرت بغيظ : ألا من تخاطب بهذه الخواطم؟... ان من يبدو تجاهك لعنوان الشرف ، ومثال الامانة . أيكون معتل الصيت وادفعه اليك ؟

فابتسم بخبث ، وقد شاقه ان يظفر بامرأته، فينسف ما تبني لدنائتها . وقال باعتداد من احرز الفوز : دعيه يتكلم . فهو ادرى

Twitter: @alqareah

منا بنفسه !

ولم يكن لخليل حنون عن البيان محيد . والتفتت اليه السيدة زكية تحضه على النطق ، وهي موقنة بان زوجها يتطاول على الحق، ليقصي عنها من يشك في كونه على صلة بريئة بها . وغاب عن معرفتها ان خليلاً جاولته تهمة السرقة وازجته الى السجن .واعلن الفتى ،وفي صوته بحة ورعشة ، وفي ملامحه رهبة : انا هو ذلك المتهم ، يا سيدي. الا اني نعمت بنقاوة السمعة ، وسقط المجرم في مهواة حفرها تحت قدميّ . وتعب رب المتجرة في استرضائي كي ارجع اليه ، فرفضت . ولن اجيز لنفسي ان تلتفت الى حيث رزئت بالعدوان . واذا شئت ان تستجلي امري ، فعليك بالقضاء ، وهو من انصفني، فينبئك بحالي. ولا بأس باستطلاع رأي صاحب المتجرة في السوق الطويلة ،فيجاهرك بالخبر الصحيح !

فارتاعت ابنة الخمسين . هل انتهى خليل حنون الى السجن بتهمة سرقة ؟ ... انها للوثة،حتى مع البراءة الماحية. غير ان السيدة زكية لم تهن في الانتصار لمن تعضد بلسانها ، وبجنانها . فسددت الى زوجها المقال الغضوب ، هاتفة به : أينفذ الى وهمك اني اقود اليك لصاً ؟... ان اكن ممن يقدمون على السرقة ، فان خليل حنون ليقدم عليها . انا اعرفه معرفتي لنفسي ، وأجلّ فيه السمو والوفاء !

فحدج نادر يمين،هذه المتهالكة على الذود عن الفتى،بعين يتطاير امتهانها ، كأنه يقول : ان لم تكوني سارقة مال ، فأنت سارقة

Twitter: @alqareah

شرف . واذا لم يسرقني من تزجين اليّ في وفري ، فلسوف يسرقني في عرضي . وهو في الحالتين لص محتال !

الا انه تحامى الافضاء ببيان يحفز الى الفتنة. واكتفى بان يصرف عنه خليلاً بمنطق لا يتنكر للدماثة . قال : هنيئاً لك النجاة من كيد المفترين ، يا ابني . وكنت افسح لك في العمل عندي ، غير ان في المصرف من المساعدين ما يُربو على الحاجة. واذا ما اتسع ، في الغد ، لك الينا ، فمرحباً بك . انك لجدير بالاكرام !

فاطرق خليل حنون تحت وقع الصدمة ، جانحاً الى الانكفاء ، وفي قلبه وجع . الا ان السيدة زكية لم تطق العنت في زوجها ، فيحتال به على حرمانها مواهة الفتى ، فصرخت به : أأطلب منك ان تدبر امره بما يدرأ عنه جهامة الزمن ، فتقصيه ؟ ... لكأنك تزدريني . ولكني لن اضيق بان اقع له على عمل ، ولي في بيروت رهط من النخبة يعينونه على مغالبة العسر !

فشقّ على خليل حنون ان يثيرها ذات لظى بين رب المصرف وامرأته . وقال يوطد للمسألة : عفواً عني وانا مصدر الجدل. وشكراً لسيدتي جزيل اهتمامها بي . فلا خوف عليّ من البؤس ، ولي من عزمات شبابي ما يضمن لي مصيري . اذا خلا المصرف اليوم من عمل ، فسارجع اليه حين يتهيأ لي فيه مكان . وداعاً ، ايها السيدان الكريمان !

وتاق الى الارتحال عن موطن يقلق فيه الصفاء . على ان السيدة

Twitter: @alqareah

زكية، وقد هالها اعتزامه الانصراف ، وربما لن تعود فتهتدي اليه ، فتفوتها اطايبه ، قبضت على ذراعه بشدة ، صائحة به : بل تبقى . انا من الآمرين في هذا المقر ، لا من السائلين !

وصوّبت الى زوجها عينين تلتهب فيهما النار ، متوعدة، نافثة من منخريها شرر النفار . فاستخذى نادر يمين ، ورأى ان يمتثل للرغبة القاهرة ، والا عاني الجسيم من حرد امرأته وجفوتها . وساق الكلام الى خليل حنون ، يقول وهو يطلق الانفـــاس اللهاب : المصرف مصرفك ، ، يا ابني . فانزل فيه على السعة .فالعمل عندنا موفور لك!

ولكن خليلاً تكارم عن المنة . ما جاء يلتمس الصدقة على ما به من عوز . قال بانف حميّ دل به على رفعة خلقه: زاد الله في خيرك ، يا سيدي . ما ازال ، والحمد لله ، بغنى عن الاستعطاء !

وانفتل الى الباب يلحّ في الهرب . ولكن قبضة ابنة الخمسين حالت دون طلاقة خطوه . فصاح متبرماً بها : لتدعني سيدتي . ما تعوّدت الزحف في التماس رزقي !

فلم تفلته ، بل صرخت به بقوة : الى اين ? ... إبقَ مكانك . سيتبدل فيك رأيه حين يبصرك في العمل !

وخاطبت زوجها بقولها الجازم : عامله كأنه ابنك . وستجده في قحط الدهر !

فاوضح نادر يمين يتقي ازمة ما كانت لتخمد، لو اباح لها الضرم : ما اسأنا اليك ، يا ابني ، كي تنعى الى نفسك انفتها . فما نزال نرحب

Twitter: @alqareah

بك ، ونفسح لك في صدرنا !

وندبه لقيد الحوالات الواردة على المصرف . فكل ما عليه ان يجيد كتابة الارقام . فنظرت السيدة زكية الى خليل تبتسم له بدلال . افلحت الشفاعة . فردّ لها ابتسامتها بازدلاف الشكور . الا انه رهب الغد ، كأنه يعلم انه سيؤدي غالي البدل ، في مقابل هذا الاحسان ، المبطّن بالمبتغى الضلول

Twitter: @alqareah

٢

شهرٌ بكامله انقضى على خليل حنون في المصرف. ولقد تقلب، في هذا الشهر، على نداوة النعمة، وخشونة الاحراج. فاحس بكونه في بيئة تعلو بوقارها، وانتظامها، محل النسيج في السوق الطويلة. ورقب لنفسه الغد المراع. على ان ما كان يقلقه، ويشوّه عليه صفاءه، ذلك الالحـاح الارعن في السيدة زكية، امرأة صاحب المصرف. وكيفما صادفها سألته بقحة تسخر بكل حشمة: متى نلتقي، يا خليل؟

وهذا اللقاء بات دينها، كأنها تعيش له. وجهل خليل حنون كيف يسلم من ويلها. فاذا غاضبها، اقصته عن مكان بدأ يشعر فيه بانه في موضعه. وإن جرى في المواءمة، خان ذمـة سيده، ودل على كفران بالحفاظ

وذات صباح، وما برح في غرفـة رقاده، مضطجعاً في سريره، لاحت له السيدة زكية تقتحم بابه، وتحييه بمدلع الغنج. فاستعاذ بربه من شر يومه. ما اقبلت الا لتجيد القنص بلا جسيم عناء

ودلت منه تجلس بلصق مضجعه، قائلة بلاعج الحض على الوصال: والان، يا حبيبي؟

Twitter: @alqareah

فارتعد. انها لذات قباحة، والاثم في عرفها عبادة حلال. ولجاجتها حفزته الى مجاهرتها بما في نفسه، فابان: كنت اظاهرك على المبتغى، لولا المقدور عليّ من حرمــــة للسيد زوجك. فانا منك على طافح المودة. ولكني اشحّ بالولاء على الغدر!

فغاظها الحرص على الذمـــة. واعلنت باستخفاف: دع عنك الاخلاص الاخرق، ولا عليك. نادر لن يدري. وانت في المصرف ما دمتُ راضية عن بقائك فيه. فلا تعتصم بالترهات للممانعة في ما ارادنا عليه القدر!

فضاقت به الحيلة. يوسف وامرأة فوطيفار. هــذه العطشى الى مناهل اللذات تريده على الازراء بالفضل. فما انفك يعاند. قال وفي نفسه حرج توترت له اعصابه: ما تعوّدت ان اخون. اهون عليّ خسران مرتبتي، في المصرف، من تلطيخ كرامـــة زوجك بالشين. ان ضميري ليستنكف من تشويه المحارم، فلا تتجني على عفة ضميري!

فهزت رأسها ساخرة. هــذا الطهور الاحمق ما يزال يلتحف بعفافه كما تلتحف القرويات، في صدر المدينة، بمناديلهن البيض المتدلية من الرأس حتى القدمين، وكأنهن من بقايا الطوفان. فالزهادة في الملذات اضحت سخافة في القرن العشرين. ومن يدرج في مستهــل الشباب، ولا تروعه من دنياه الازهار، والخمور، وقدود الحسان، والقهقهات المواتع، ولا يفتنه تثاؤب الفجر، وسقوط الندى، واحمرار الافق، وشموخ القمـــة، وعمق الوادي، وانبساط البحر، وهدير

Twitter: @alqareah

الموج ، واخضرار الربيع ، وخرير الجدول ، وعربدة الساقية ، وصولة النسر ، وتغريد الشحرور ، ودعج العين ، وانتبار النهد ، وانسجام الساق ، وزقزقة الكاعب الغراء ، فمن البلاهة ، في مذهب السيدة زكية ، ان يبصر النور . قالت بتهكم ناقم ، وهي تحدج خليلا بنظرة من هازىء الشفقة : انت في ضرم النار ، لا في هرم الجليد . والراتع في عنفوان ايامه لا يستنيم الى البرودة ، بل يكفر بها . ويشق عليّ ان تبدو في التسعين ، مع كونك تموج على مستملح الفتوة . أيستطيب التقشف والصلاة ابن عشرين ، كأنه من زمنه في معبد ، وطيبات الارض ، على متعدد ألوانها ، طوع يمناه ؟ ... لمن قام هذا الكون الضحوك بحدائقه وادغاله ، بينابيعه وانهاره ، بانواره وظلاله ، بلآلئه وحسانه ، ان لم يكن للشباب امثالك ؟ ... سيأتيك عهد تحبسه على الاستمساك بالتقوى . اما الآن ، وانت في غلواء النضارة ، فلا تكسل ، فتتقاعد عن اللذة الواثبة اليك . وفي الكسل عاثر الندم !

فاجاب مستهيناً بهذا الفيض من الاغراء ، وقد استشف منه غور الدمامة المزمجرة في عروق زكية يمن : قد اكون متقهقراً عن مستوى ايامي ، يا سيدتي . غير اني لن اندم على اعتصامي بالشرف . فاذا طاب لك ان ابرح اليوم المصرف ، كي اتحرر من قيودي ، واحررك من اشواقك ، فاني لاودعك ، ولي الله !

فقلقل روعها . هذا العناد الفج انهزمت في تعبيده . ولكنها

Twitter: @alqareah

قدرت على نفسها الفوز ، مهما ابتزّ من مكانتها، ومن عجبها. ستدركه كانثى بارعة الحيلة ، وكمستجدية ماتت انفتها . ستحوزه بدمعهـــا ، متذللة في ضراعتها . فان لم يكن خليل حنون ذلك الهائم بهـــا ، فليشفق عليها ، وليهب لها بعض ما تلتمس من شافي الولوع . ايكن حبه صدقة ، اذا عزّت فيه النبضة الصادقة . قالت وجزعهـا يغشى ألفاظها : هل كنت كاذباً لمـــا اوهمتني ان في نفـك مني ؟ ... اني لشقية فيك ، وما اراك تريدني غير تلك البائسة المكفّنة بفجيعتها . أتطرحني في السبل مكسورة الجناح ، سقيمة الروح ، وانا من اغار عليك في شرود لبك، وانتشلك من السابلة يجبر عظمك الكسير ؟... اين ذهبت بجمال صنيعي ؟... أما تذكر اليد البارّة حين تستعلي؟... أتكون ذلك الكافر بالخالصة ، كأنك لست على ذرة من كرم ؟

وانهار دمعها سيلاً طمى . واضطر خليل الى اقفال باب الحجرة طمساً للفضيحة . فالسيدة زكية ، كما يعرف عنهـا ، لن تعفّ عن التمادي في نيل الطلبة ، قارعة كل باب ، دون اكتراث لفادح المغبة . وهالته المقدمة وقد شفّت عن وبيل الختـــام . الا انه ، مع تأثره بالعبرات المتماسكة التسكاب ،ومع اشفاقه على هذه المستجيرة به، كأنها من عبدانه ، وكان بوسعها ان تستعبده لو صانت منزلتها ، ابى ان يخون سيده . فلن يغمد خنجره في صدر يظلله . فما زادها الا نحيباً واحتدامـاً . وهتفت به تحطمها خيبتها :اذن انت تريد لي الموت . يا لشقائي فيك !

Twitter: @alqareah

وكما انهار دمعها على خديها متشفعاً في غوايتها ، انهارت عند قدمي خليل حنون ، تستدر رأفته بميولها ، متجاهلة مقامها . فما هي الآن السيدة زكية ، امرأة نادر بين ، صاحب المصرف الوارف المنبسط ، بل انسانة من لحم ودم ، تبتغي وصال معبود يترفع عن الاسفاف الى الدرن . هي ذات صبابة عصيت على الشفاء ، فاقبلت تعفّر جبينها في غبار نعلي الصنم ، كي يجود عليها بنطفة تنقع بها الظمأ

هي ذرارة من تراب ، عطشت الى المواهة ، فلاذت بمن يقيها جفاف الحرقة . ووقف منها خليل حنون موقف الخشية . فما لاحت له في سجودها ،عند رجليه ، غير ساقطة تجتذبه الى حضيضها . انها لتتواطأ عليه وفحشها . وارتاع . واحس في خاطره بحران ماد له كله . وسمع ابنة الخمسين تصرخ به فيما تنوح: اين خنجرك ، يا كافر ، تغمده في صدري ؟ ... اقتلني جزاء احساني اليك . منذ اكثر من سنة وانت تمعن في تعذيبي واذلالي . بتّ لا اطيق . ولم يبق غير الموت لانقاذي . أتبخل به عليّ ، بعد بخلك باسعادي ؟ ... لا كان من تطرحه حاجته بين يدي لئيم !

فتوالت فيه الرعشة ، كما توالى الاضطراب . وعرفت الرحمة اليه سبيلاً . ليس له ان يكون جزّاز افئدة ، وما عليه في منازعة حبيب . فلا هو بعل . ولا أليف . وما يزال حرّ الرسن . ولكن الزوج الباسط عليه حنوه ، والواهب له ثقته ، يرميه بالشلل . فيشخص له انه يراه يطلق فيه النظر الشزر ، لائماً ، منددا ، مزدرياً

Twitter: @alqareah

فيه سمو الطبع . أيغدر به ، مع كونه ينعم بخيره ، ويرتع في رحابة كنفه ؟

وشقّ على خليل حنون ان يغوص في النذالة ، وما تعوّدها . الّا ان دموع السيدة زكية تلحّ في كفكفتها . واذا ابى ان يسيء الى الزوج في عرضه ، فهل ينحر امرأة هذا الزوج في شهوتها المستعرة ، وكأنه في اعراضه عنها يسحقها ، غير آسف عليها ، والحب لدى المرأة اكرم حلية تزدان بها ؟

على انه ما يزال اقوى من الغيّة. قال بصوت وئيد ، ملتاع : سيدتي ، ارحمي خلقي . فلا تدعيني اخجل من نفسي حيال من اسبغ عليّ النعمة !

فلم تقتنع بهذا المنطق البالي ، وهو عندها هباء . وقالت فيما تلقي رأسها الى قدمي خليل حنون العاريتين ، مستمرئة نداوتهما ، ساكبة عليهما دمعها : وهل كان لك ان تعرف هذه النعمة لولاي ؟ ... ما بك تتجاهل ، والحق يلطم عينيك ؟ ... ما اشتاقني زمني الا يوم ابصرتك فيه !

فاحس بكونه في مهب عاصفة رعناء . وساءل نفسه هل له ان يمضي في المقاومة ، وهذه الهاوية ، عندموطىء نعليه ، تصرّ على سلخه من امانته لزوجها ، كأن زوجها نفاية لا وزن له ؟ ... وعاد الى القول يتشفع في وضاءة قيصه : عليك ان تكرميني ، لا ان تشتميني ، وانا اصون سيدي زوجك من عبثي باريحيته ، وأقف بك عن منحدر

Twitter: @alqareah

الدنس !

فلم تطق هذا الارشاد الثقيل العبء عليها . ولم يكن منها الا ان وثبت كالنمرة على خليل حنون تريد التهامه ، صارخة به وهي تمسك بخناقه : أتحدثني برفعة النفس ، ايها الاحمق ، فيما ابحث عن سد رمق فؤادي ؟ ... أتؤنبني ، وتذكر في مسمعي زوجي ، حين لا ارى لي زوجاً سواك ؟ ... بك وحدك او تقني القدر . فان لم تنلني حقي عليك ، فاني لاقتلك الساعة ، ثم اقضي على نفسي . ولا كانت مرارة لا ينفد علقمها ابد الدهر !

فتمثلها بركاناً في محتدم غليانه . ونظر الى حدقتيها فاذا هما تتبطنان شراسة وحش مفترس . فلا محيد عن الاثم ، او الموت . وهان خليل في النضال ، وقد تلاشى فيه الحرص على المحارم . فان يكن في الاستسلام انقاذ نفس من مضض الحرمان ، ونفحها بهدوء الاعصاب ، فليسكن الى مبتغاها ، وليغمض عينيه عن بشاعة السفال . هؤلاء هم الناس ، ولا حيلة في تقويم الاعوجاج . فالزواجر الهوادي كليلة عن استئصال ازيز الشهوات ، من مخلوق اللحم والدم. ولا بد للفحيح الطاغي من ادراك مداه

وهنئت السيدة زكية باحراز لبانتها . فاتسع لها ، وهي تجني الورد البكر ، الى الصفاء . خليل حنون بات لها . وانها لضنينة به ، ولاجله تضاعف شغفها بالبقاء . قالت وذراعها تلتفّ على عنقه ، وشفتاها تكادان تنغمسان في شفتيه : اني لسعيدة ، يا حبيبي . هذه

Twitter: @alqareah

اللحظة النشوى ما ازال ابحث عنها ، وامتناعك يقف بي عن الارتواء بعصيرها . الا ان لكل عناد حداً ، ولا بد ان يفوز القلب الولهان ببعض ما يتمنى. سنحيا عاشقين مغبوطين ، تضحك لنا الدنيا بازهارها، واطيارها ، وينابيعها !

ورقصت كلماتها برقص اوصالها . وما هي غير اعصاب متحركة ، امست او تاراً تصدح بفاتن النغم. وتجاهلت زكية ان من تهوى يكاد يستوي وابنتها في مدارج السن . ولربما تعاظمت فرحتها لكونه ذلك اليافع الرخص ، ولكونها استطاعت ، هي ابنة الخمسين ، ان تهتدي الى نداوة الشباب فتتملاّها ، وقد عطلت منها . ألا ما ابعد زوجها ، الغائر في الكهولة ، عن خليل حنون ، الفتى الرطب الاماليد. غراب ازاء عندليب

ولكن خليلاً اختلف عنها في وجوه الحس . فاذا شاع فيها الطرب ، فلقد غمر نفسه الاسى . وخجل من سيد كريم ، ما بدا حياله في سوى المنيف من المكانة والحلم . وبمَ عوّضه من رحابة عطفه ؟ ... بالغمز من عرضه، واستباحة حرمه . وهو شر ما يكافىء به النذلُ الجميل

ولم يسبق للفتى ان زلت به القدم في هذه المهواة . فهي خطوته الاولى في سراديب المعصية . الا انها خطوة بلغ بها الاعماق ، كأنه في الخلاعة من المزمنين . وتألم، ووَدّ ان تنأى عنه قائدته الى الاثم . قال بضمير يتعذب ، ويتضرّج بالذل : حان وقت المسير الى عملي ،

Twitter: @alqareah

فهل لسيدتي ان تجيز لي الانصراف الى القيام بالمقدور عليّ ؟

فاجتذبته الى صدرها تتناهى في تقبيله ، وتقول ، وهو بين يديها في برودة الثلج : ولكنك انت سيدي. وما انا غير أمة لديك . ومن حقك ان تتصرف ، بهذه الامة ، كما تستطيب . ولن تقع منها على سوى طاعة مأمونة . أترى مقدار الخضوع في ربطة عنقك لانامك ، لن ازيد ، في استنامتي اليك ، على ان اكون ربطة في عنقك !

فاحتقر فيها البشر اجمعين . أيهوي بهم التماس اللذة الى هذا الحضيض فيبيت السيد عبداً للاستمتاع بأكلة حرام ، يخون في سبيلها النواهي ، ويتمرغ في الموبقات ، غير حافل بما يتلطخ به من وحل ؟

قال خليل حنون ، وفي مهجته اشمئزاز قاصم مما انتهى اليه ، ومن حفزته الى الغرق في الرجس : عفو المراتب عني . ما زالت سيدتي . وانا لك العبد الرقّ !

ونهض ينفض منه ما لا زوال له عنه ، خيانته ومعصيته ، هازئاً بنفسه ، بل بالقدر ، وقد فرض عليه مبيع رجولته كي يعيش . ولمن باعها ؟... لساقطة عجوز ، تستصرخ الشباب ، في انقاذها من عطشها ، الى المتعة الدون

أف للناس مرتين . ما هم غير مزابل سيّارة ، في عرف خليل حنون !

Twitter: @alqareah

٣

ما تفتأ السيدة زكية تقطف الورد عن أمه،ولكن ببعض العسر. فلا يعطيها خليل حنون ، من نفسه ، بمقدار مـا تتشوّق اليه ، والا لاعتصرت مواهته، وطرحته عجيفاً

ويتحرّج الفتى من مرآها ، وخصوصاً في المصرف . فيحس حين تدنو منه ، على مرأى من زوجها ، انه يذبح ، بلا تؤدة ، هذا الزوج السليم الروح ، النديّ اللفتة

ويغالي خليل في التملص من أصفـاده . وينادي برغبته في الجلاء عن المصرف ، تفادياً من الشناعة . ولكن العجوز المريضة الدخلة لا تبيح له الخلاص من حبائلها . فما ان يتراءى لها انـه ازمع الافلات من الشبكة ، حتى تلفّ عليه شبكة اخرى امتن خيوطاً . فعليه ان لا يجلو عن نطاق يرسو فيه ، والا اربدّ الافق ، وقامت القيامة

وخطر للسيدة زكية ، امعاناً في الاستئثار بـه ، ان تزف اليه ابنتها منى . فما يقف دون الجمع بين النضرتين السمحتين، وقد اكتنزتا الروعة ، وريّق الفتوّة ؟ ... وان يكن خليل ، على ضيق بساط ، فان له غده ، ولا بد ان يسمو به الى الغنى . ومن يدري مـا يتفتق عنه الغد ، وهو الزاخر بالبدع ، وفي كل سطر من سطوره مفاجأة ؟

Twitter: @alqareah

لم يكن نادر يمين ، والد منى ، ذلك المنيع القدم في عالم الثراء ، يوم اطلّ على الدنيا . الا ان بليغ سعيه ، وميمون طالعه ، كتبا له النجح ، فأورق ، وازهر

ومع اقرار السيدة زكية بان للحظ الكلمة الفاصلة ، في مصير الاحياء ، لم تيأس من غد خليل حنون اذا تزوج ابنتها ، ووراءه اموال ابيها . وهي ، في حد نفسها ، اوفى ضمان لرسوخ النعمة في مونلها . ولكن هل يرضى نادر يمين عن هذا الزواج ، وهل تنشط له منى ؟

ان السيدة زكية لكفيلة بترويض زوجها . وما لهؤلاء الازواج ان يثبتوا في مقاومة رغبات نسائهم ، وهي سنّة منزلة . على ان ما ارتبكت فيه العشيقة الصامتة ، وخافت من التوائها في قمع صمابه ، زهو وحيدتها . فان منى لمعتزة بنفسها . ولها من حسنها ، ومن يسرها ، ركيزتان أيّدتان يتوكأ عليهما عجبها . وما ترنو الى سوى الانيق ، الطريف ، المتعادل وبيئتها ، بل المرتقي عنها . فاني تألف خليل حنون ، وهو دونها ؟

ما يزيد خليل على كونه عاملاً في مصرف ابيها . وهل لها ان تلتفت الى الوراء في اصطفاء فتى آمالها ، ولها من السائرين بجانبها ، وامامها ، صفوة من الشباب الطرير ، الغضير ، يجتذبونها الى حلقتهم المنيفة ، ويتجاذبونها ؟

ليس من الشاقّ الوقوع ، في النخبة ، على من يتشوّف الى صباحة

Twitter: @alqareah

مني وثرائها . بل الشاقّ النزول بها عن مستواها ، وهي في الذروة من خيلائها . على ان السيدة زكية ، وقد بجلت بخليل حنون على سواها ، شاءت ان تفسح له في منزلها . ولن يدخل هذا المنزل إن لم يعقد له على ابنتها

ولا جدال . انه للوجه الاوحد . ووطنت السيدة زكية النفس على المسير فيه ، تهب له من وكدها ، ومن سلطانها . غير انها ما زالت ترهب الصدمة ، وليست ابنتها على لين في الانقياد الى ما ينبو عنه خاطرها

ولم يفت الام ان ابنتها الشقراء ، الوثابة القد ، المتألقة بالرواء الاتمّ ، على سعة في العينين الزرقاوين ، وانسجام في انسكاب الساقين ، اخذت عن ابيها مرحه ، وثقته بنفسه ، وعنها ، هي السيدة زكية ، فوران دمها ، وبعض ميعتها . فتنهد الى المباسطة ، ومجالسة الفتيان ، كأنها بشوق الى عرض انوثتها

ورهبت ابنة الخمسين غد ابنتها الطائرة في مهب المسرات ، وقد زقزقت لها دنياها . أما تزلّ بها القدم ، فتهوي حيث هوت امها ، وتهم والديها بشين لا تمحى رسومه ؟ ... ولقيت المتصابية ، الخائفة من نفسها على ابنتها ، في خليل حنون ، كزوج يبسط رعايته على منى ، خير رادع للفتاة عن الكبوة . وله شبابه ، ورصانته ، وعناده في الحق . أما ترضى منى ؟

والامهات شحيحات ببناتهن على المحن ، ولاسيا هؤلاء الوالغات

Twitter: @alqareah

في المأثمة . خبرن الحياة على متعدد شعابها ، وابين الا ان يقين بناتهن مزالقها ، وما يشتهينهن غير قدوة . على ان السيدة زكية تضرب بحجر عصفورين . فتمسك بعشيقها وبابنتها معاً . وتحاول ان توفق بين مكمن فحشها ، واحتراسها من اثر هذا الفحش في سليلتها . خاطئة تعلن توبتها . ولكن وهي تستبقي ، في عينيها ، شواهد جرمها

وتحدثت ، في المنزل ، باسهاب عن خليل حنون . فأطرت الجهد الامين ، والذكاء الاصيل . وما تناست الشباب الدفاق . قالت تخاطب ابنتها : ما تزالين تجهلينه . غير انك اذا عرفته ، تبينت فيه شمم الخلق ، وخصب الاناقة . يبلغ الخامسة والعشرين ، بيد انه يملك حنكة الشيوخ . وله من ولائه ، ومن درايته ، ما يقيمه في ذوي الغد السعيد !

فاثارت في ابنتها الشوق الى معرفة خليل . وللفضول ، في النساء، وخصوصاً في الفتيات الطالعات ، بليغ الاثر . وما كانت منى لتحفل بمن يتوفرون على العمل في المصرف. واذا ارتادته ، فما تختلف اليه لسوى رؤية نادر عين ، والدها . وما تكترث للآخرين ، وليست منهم على خبر . اما وأمها تثني على خليل حنون هذا الثناء الماتع ، فلقد اهابت بها الى الالمام بامر المطوّق بالمحامد ، حتى ما تفوته منها قلادة

وفي جولة خاطفة، في اسواق المدينة، تغلغلت بها الام وابنتها في المتاجر تشتريان الزاهي الشفّاف ، عرّجتا على المصرف . وابتسم

Twitter: @alqareah

نادر يمين لابنته وهي تبدو ازاءه طائراً غريداً . وأمال بها الى صدر يقبلها في جبهتها . فانه لواجد سنى عمره في هـذه العادة الوسيمة المنطلقة الى الحياة بفيض من أنس وامل . وما يتهالك ، على البذل من نفسه ، لولا التناهي في تليين مهاد غرسته الوحيدة ، النازلة حبة سويدائه ، وقد ختم الدهر هناك عليها ، لا يجود بنبتة اخرى تقاسمها البهجة والامان

ولامست منى عنق ابيها وشعره، تبدي استرسالها الى حنوه . انها لتؤثره على أمها العاتية ، وتأبى ان تساق اليه كلمة نابية . قالت تخاطبه بغنج انطبعت عليه : كنا في اسواق المدينة نشتري النسيج . وما غفلنا عن قيص من الحرير نبتاعه لك !

فاطربه التفاتها اليه ، فيما تـميان لانفسهما . ودعا لهما بما يرطب لظى جهدهما . ولكنهما في المصرف لرؤية خليل حنون . فانسابتا اليه في مقر كدّه . فبوغت بمشاهدتهما . ومـا تمالك ان نهض بقوة آمرة ينحني بحشمة ولطافة . هذه ابنة رب المصرف ، الروعاء الشارة، تقبل اليه . فاذا خلت نفسه من اكرام الام ، فعليه باكرام الابنة . وامتدت لمصافحته يدان بالغ في هزهما اجلالاً . وسددت اليه منى عيناً نافذة . ولم تلبث ان ودعت لا تظهر اهتماماً. انها لعابرة طريق . فادركت أمها ان خليلاً لم يقع منها ، فارتاعت . وسألتها بصوت مرضوض ، وهما تعودان الى رشف المرطب في مجلس نادر يمين : ماذا ؟

Twitter: @alqareah

ومشى الخوف حثيثاً في سؤالها . فرفعت منى كتفيها . وقلبت شفتيها . ليست ترتضي هذا اللون من الرجـــال . فصاح في الام الامتعاض ، ولم تكن تعدل بخليل حنون ذا شأن وصباحة . ولجّت في الاستفهام : أما لقي لديك حظوة ؟

فابتسمت منى بهزء . وقالت متشامخة : ما يزال عليه ان يرقى في درجات السلم كي يتساوى بنا . دعيه لامثاله ، وهم اولى به . أتجودين بابنتك على الاخلاط ؟ ... اعرفك اكرم نفساً !

فغاظ الام ما تتهكم به ابنتها تلميها، ساخرة بذوقها في الاصطفاء. ونبرت تدمدم على منى : خليل حنون كنز يعلو ، بنفاسته، ذخر ابيك . غير اني لست ألومك ، وما تزال غشاوة الغرور مضروبة على عينيك . هذا اندى روحـــاً من جميع من يتوهجون كالنضار في ناظريك ، وما يبرق فيهم سوى كاذب الطلاء !

فقهقهت ضاحكة . أمها تنتصر لمن يكسف منزلة الاسرة ، كأنها تجهل مقامهـا . أيجمل بابنة نادر يمين ان تُزفّ الى عامل في مصرف ابيها ؟ ... ألا اين صواب أمها ،وما تبرح زكية يمين فيذوي الرشد؟

ربما كان خليل حنون من خيار الفتيان . من اقدرهم سعيـاً ، واوطدهم غـداً . الا ان الغيب لا قياس له في تقدير الناس . فالمرء، لديهم، بحاضره. ومنى حكمت على الفتي بما تجلى لها منه . وجزمت على كونه ليس ممن يباح لهم ان تطمح اليها ابصارهم، مع كل ما ينطوي عليه من رونق وليان

Twitter: @alqareah

وعتبت على أمها ، وقد تجاهلت نفسها . وودعت اباها وهي تلح عليه في ان لا يتأخر عن موعد الغداء. وجرت في اثرها السيدة زكية ، وبين جوانحها ناهش الكمدة . ألا يأوي خليل حنون الى مثواها ، بل تتداوله الايدي الغريبة عنها ، وتسلبها اياه ؟

واشتعلت جزعاً . الا انها ، مع سهومها ، استطاعت ان تبتسم تكلفاً ، لئلا يشيع فيها وجوم الهزيمة . وليس اعجل من اثنتين في تلبية المرأة ، الدمعة والابتسامة . وسكتت السيدة زكية في الطريق الى المنزل ، لئلا تشمّ ابنتها ، في الالحاح ، رائحة الهوى المشبوه . واعتزمت المسير الى بغيتها بالتدريج. خطوة خطوة

لن يضيّع خليل حنون مكانه في دار نادر يمين . فهو وحده ، دون سواه ، صهر الاسرة . والا فتبقى مني في حرزها ، عاطلة من الزواج . ولن تعيا أمها عن ملء سبيلها بكؤود العقبات ، للوقوف دون ما لا تصبو اليه من تدبير

وودت ابنة الحسين لو كانت تلك المدعوة الى هذا الزواج . اذن لاغارت على خليل كالجائع على الزاد . ولكن القدر ، ومخالبه ناشبة في كل مرتجى، يعطي من لا يجيد بسط يده للاخذ

وزفرت السيدة زكية . آه ، والف آه ، على زمن الشباب !

Twitter: @alqareah

٤

الحب في الرجل بعض حياته . اما في المرأة ، فهو الحياة كلها . وما تتبرج حواء ، وتتدلل ، لسوى الاغراء بها . كالثمرة الناضجة تستهوي العين ليمضغها الفم ، ويهنأ بعذوبتها

ولا سن للمرأة في حنينها . وهو سر نشأتها . فانها لتحب ابداً . صبية ، وشابة ، وكهلة ، وعجوزاً . وما سعيها لاخفاء سنها ، وللظهور ابداً بمظهر الانوثة الطاغية ، غير شطر من منهاجها في عيشتها . بل منهاجها كله . فما تلتمس ان تسمع ، من العيون الناظرة اليها ، غير الصراخ المشتاق . فعلى جميع من يبصرونها ان يفتتنوا بها . ولها وحدها ان تختار

والسيدة زكية عين امرأة . فاذا احبت ، فهي تؤدي رسالة الجنس . واذا ابت ان ينسلّ حبيبها من قبضتها ، فما تعدو سجيتها كانثى . وما ترتضي حواء ان تحيا مهجورة ، والالفة علة استمتاعها بهناءة وجودها . اما وخليل حنون يبدي الحران ، وينزع الى التملص من اليد الممسكة به ، فليكن للابنة . ولن ينأى ، بهذه الهبة المحكمة الاطراف ، عمن تشتهيه ابداً لاصقاً بها . والام لا تضنيها الغيرة من ابنتها ، وهي منها كالمحجر من العين

Twitter: @alqareah

ولكن الريح ما جرت في المعبر المرسوم ، وقد تغاضت منى عن الفتى . وما تحرّزت من الغضب والنفرة فيما تعود أمها الى محادثتها في امره، وتحدوها على النزوع اليه. قالت بحانق النبرة : أيشوقك ان اكون لخادم من خدمنا ؟... اراكِ تباعدين في نسيان مكانتنا ؟... الا فاعلمي اني ارفض، جازمةً ، ان توقري باسمه سمعي . ما ازال، حتى الساعة ، احيا في اكناف ابي . وما تجيز لي كرامة نادر عيّن ان اهيم بمن نجري عليه خيرنا !

ولكن السيدة زكية لا تطيق النوم عن طلبتها الاثيرة . قالت تتظاهر بسلامة النية : أيلوح لك ان لي ، في هـذا الزواج ، ردّ عائدة ؟... ما اشتهي الا ان اراكِ في رغد . وتلألأ لي رغـدك في زفافك الى من يحبوكِ خالص الشغف . فيقيم لك من صدره مفرشاً ، ومن قلبـه موئـلًا . لا يسلوك . ولا يشتمك . ولا يتجبر عليك ، وانت جررت اليه السعد والبركة . انك لسيدته ، وهو في طاعتك . واكرم زواج ما تشعر به المرأة بكونها سيدة في مقرها !

فطاب لها السخر . وقالت بلسان عضوض : ان يكن يعجبك بهذا المقدار ، فلا تغفلي عنه لنفسك !

فارتجفت السيدة زكية تحت وقع الطعنة . ابنتها تمتهنها برقاعة صافعة . غير انها احتملت لذعة الميسم الكاوي ، نافـذة الى هدفها . قالت تخلع على كلماتها لهجة العتب والنصح : لك ان تتهكمي عليّ ما شئت . فلن احيد عن رأيي في كون خليل حنون اصلح من يُعقد

Twitter: @alqareah

له عليك. واذا وقف به طالعه عن اللحاق بـك، في معارج الغنى والترف، فاللوم ليس عليه، بل على الحظ المتعامي. وما ارى المال كل ما نحتاج اليه في بلوغ الراحة. فكم من غني احقر من حصاة تحت نعل. فالراحة، مع اضطرارها الى اليسر كي تستأنس بالرفاهة، يضمنها الزوج الكريم الخلق، المؤمن بالوفاء. وخليل حنون ينطوي على عزّة نفس، وصدق ألفة. فالازورار عنه جهلٌ والتواء!

فاستنكفت مني من الجواب. ليس لها ان تداوي الهذر بمثله. فما دامت أمها تتجاهل منزلة الاسرة، فمن باطل السعي القعود بها عن الاصرار على المحال. واكتفت الابنة بدخول حجرتها، والجلوس الى لوح ترسم فيه زنجياً صغيراً يضحك، امعنت في اظهار بياض عينيه، ونصاعة اسنانه، كأنها ثقوب غير محتشمة في ملاءة سوداء

وتفننت في خطوط ريشتها. فسكبت على وجه الغلام النظرة الخبيثة، بما نفخ فيه لهبة الحياة. ونفحته بالشعر الجعد، وبضخامة الشفتين، وبالاسمال، وبالحفاء. فبدا، لفرط اجادتها رسمه وتلوينه، كأنه يهمّ بالنطق. ونسيت حيال ابداعها ما اختلفت فيه وأمها.

فصاحت بوقدة من مرح، ويدها تعرض الرسم: أمي، أمي!

فخيل الى السيدة زكية ان ابنتها ايدتها في المرتجى. وخفق لبها خفقة النشاط. بيد انها ما ابصرت الزنجي الصغير، يطلّ بعبثه الساخر من اللوح، حتى ايقنت ان ابنتها بعيدة عن خليل حنون. فهي تلتفت الى ناحية أخرى. الى اين؟ ... والى من؟ ... ما كان

Twitter: @alqareah

الجواب ، في ذهن السيدة زكية ، غير ضباب يحجب مطلع النور . أتحب منى ، ويسدّ عليها حبها الدروب والكوى ، فلا يبقي لها فرجة تنفذ منها عينها الى محيا آخر ؟

ولكنها ما تزال خلية القلب ، في ظن أمها . ولم تسمعها السيدة زكية تتحدث عن رجل ببعض احتفال باخباره ، اذا استثني ابوها . وشخوصها الى المصرف ، في رؤية خليل حنون ، اوفى برهان على كونها بريئة من الشجو المستهام . والا لتقاعدت عن الاكتراث لمن لا موضع له من مهجتها ، وقد سبقه اليها من غزاها ، وبات سيدها

وانزواؤها في حجرتها للاشتغال بالرسم ، مقهقهة لاجادتها التلوين، والتنسيق ، دليل آخر على براءة جنانها من علة الشوق . والا لتولتها الكمدة ، وتوسدت الزاوية بجرد . لا تبيح ، لذي صولة، الافتتات بمنازعها

هكذا تتمثل السيدة زكية اهل الهوى . وما كانت في الامر من سوى ارباب النظر . على انها تذكر ان منى تنشط لمجالسة رئيف الاشهب . وهو فتى بمنزلتها ، وابوه كأبيها ، صاحب مصرف . فتغتبط بمرآه . وتخاطبه بطلاقة . وتروي له من شؤونها ما لا تطلع عليه صديقاتها . فهل لقي الفتى، في كبدها ، سدة يتبوأها ، فاعتلاها ؟

قالت الام لنفسها : « ربما ! ». والهواجس تهيب بمن تواثبه الى الغلو في الاشتباه ، وفي اساءة الظن . وما يندّ عن السيدة زكية ان رئيفاً اقرب ، الى منى ، من خليل حنون . فهي في جوها حين

Twitter: @alqareah

تصادف سليل آل الاشهب . والاسرتان تتعادلان وفراً وجاهـا . وليس لاحداهما ان تعيب على الاخرى تقهقرها في الشوط. فالمستوى واحد . والعادات متشابهة . والحديث بينهما على انسجام ، وقد برىء من الكلفة

ورهبت ذات الشغف بخليل حنون ان ينأى الشاب عنها ، بالتفات ابنتها الى رئيف . فلا تستمتع بمرآه بجانبها ، تحت سقف بيتها ، يبثّ هيامه الاصيل احب الناس الى روحهـا . وتاقت الى احباط هذا الكلف المفاجىء ، ان تكن قد خفقت له راية . فما تريد لهـا صهراً سوى خليل حنون. فتشاطرها ابنتها اشواقها، ولا يجلو الصنم المعبود عن قرارها

وباتت السيدة زكية في لظى من حالـك التخمين . ولم تبرح تحس ، من نفسها ، بالعزم على السخاء باكرم ما عندها ، في الحرص على خليلها . فهي ذات ميول تبخـل بها على الجفاف . وما لمودّاتهـا ان تتساقط كاوراق الخريف ، وتنتثر في مهب الريح العابثة بوحدة الشمل المصون

وتعاظمت فيها الخشية لما اقبل زوجها يبلغها ، وقـد جلسوا للغداء ، انهم مـدعوون الى ليلة ساهرة ، يقيمها بعد غد ، في داره الفخمة ، وفيق الاشهب ، والد رئيف . هي ليلة راقصة ، من الضرورة فيها ارتداء الثياب الشفّافة ، المفرفرة ، المكشوفة الصدر والظهر وصفقت مني بيديها البضّتين ، الناصعتين ، المنسكبتين في لدونة

Twitter: @alqareah

البراعم، وصقل الاماليد ، وابوهـا يزجي الخبر. اما السيدة زكية فبلعت ريقها ، تغص بلقمتها . فما خافت منه يهدد بالوقوع

وهذه البهجة ، في ابنتها ، اوضحت لها ان في نفس منى شيئاً من رئيف الاشهب . فان لم يكن حباً ، فانه ليسلك اليه الطريق . اذن لا مكان لخليل حنون ينزله في قلب الابنة . ولن تكون منى مطية اهواء دميمة . فيتزوجها عشيق أمها ، كي يبقى ، في بصر هذه الام الولهى ، متعة لا تنجلي . وفي النظر بعض اكتفاء

وجالت العين في العين . وذهب للنظرة صداها في الخاطرين . مما ازدادت به الام يقيناً ان ارتياحها لم يطش عن وجهه . منى تستلطف رئيفاً . والاستلطاف وهج من حنين

ورئيف الاشهب على وسامة يقظى ، وطلاقة جزيلة . فما يتلعثم له لسان ، في بيان . ولا يحمر خجلاً ، في مجالسة . وله من جرأته ، ومن عذوبة منطقه، ما يجمح بالابصار الى الحومان عليه . فاذا التفتت اليه منى، فان لها بالمعجبات به أسوة ، وليست باول من يستملح البهاء

واستوضحها ابوها ، وهو يلمس فيها طافح المسرة : هل يشوقك الاختلاف الى آل الاشهب ، يا ابنتي ؟

فاجابت بالمسرة نفسها ، والكلمات تزدحم في شفتيهـا ، فتتسابق في الانطلاق : هؤلاء قوم من عصبتنا . نفهمهم ويفهموننا . ومـا نحتاج في مخاطبتهم الى ترجمـان . ولا نضطر في رؤيتهم الى تصويب اعيننا الى ما فوقنا ، ولا الى ما تحتنا، ونحن واياهم كفتان متماثلتان،

Twitter: @alqareah

في ميزان !

فابتسم ابوها اطمئناناً الى فطانتها ، واعلن يؤيدهـا في الرأي : أجدت القول . هؤلاء من اكفائنا . فـلا نعلوهم، ولا يفوقوننا . وليس ايسر من معاشرة النظراء !

اما هي فالتفتت الى أمها ، تحدجها بعين قاسية ، كأنها تقول لها : أرأيت اين مقامنا ، واين نبحث عن غدنا ؟ ... فمن هو خليل حنون ، في الرجـال ، كي تباحثيني في رضاي به زوجاً ، وما يرجح كونه نكرة ؟

فشعرت السيدة زكية بان احشاءها تتمزق . ضاع منهـا خليلها الاشهى ، ولم يبق له مجال الى مثواهـا . وما يبالي خليل امر نزول دارها ، وله من غلواء شبابه متسع الى كل مهد. والحياة لديه ما تبرح في اشراقها . فالمبالي هو السيدة زكية نفسهـا . واذا خسرت خليلاً فجعت باغلى امنية . وساءلت خاطرهـا ، واللقمة تنساب بضيق الى مبلعها ، هل تقوى على افساد ما سيتألق ، من وجـد ، بين رئيف وابنتها ؟

عاهدت على نسف كل قاعدة ينشأ عليها لمنى افتتان بسوى خليل حنون ، وانها لمقيمة على عهدها ، حتى اذا آلمت في ابنتهـا رحابة الهناءة . فان لها قلبها كامرأة ، قبل ان تكون أماً . وبوحي هـذا القلب ستدبر مصير أسرتها . وعلى منى ان تخضع طوعاً. والا اذعنت قسراً . وما من مشيئة تسمو مشيئة أمها

Twitter: @alqareah

واجمعت السيدة زكية على الاستجارة بسلطانها ، كربة منزل ، تخضد به من دلال ابنتها . فالطريق ما ترسم يمينها ، لا ما تخط غنج وحيدتها . ولمنى ان تندفع ، الآن ، في تيار هواها . ولكن مرجعها الى حلقة أقرّت اطارها أمها بمطلق رأيها

واكلت ابنة الخمسين ، وبالها في بلبال . الا انها تعرف ما تريد . وما انكرت ، على نفسها ، انها ستتعب في ادراك مقصدها . غير انها ستدركه ، مع كل ما يفرض عليها من جهاد . خليل حنون سيكون صهرها . وليس لسلطة ، مهما بلغت من عتوّ وصولة ، ان تزحمها في المضمار . وكل ما تحوك منى ، من منى ، محكوم عليه بالانتثار ، إن لم ينسجم ومبتغى الوالدة ، الطاغية الاشواق

واباحت السيدة زكية لزوجها التحدث باستفاضة عن آل الاشهب . ولا بأس على ابنتها ان تصغي الى المديح الجزيل . ولها ان تهيم برئيف . على انها لن تظفر به . ولن يزيد جنوحها اليه على كونه هوى عابراً ، كنفّاخة الغمر

وهفا الثلاثة ، في الموعد ، الى مقصورة آل الاشهب ، في جادة النهر ، وتكاد تبدو في عزلة . فما يكتنفها غير اسوار وحدائق ، يبسط عليها النور دثاره الانيس

وفوجئوا فيها بطامي الحشد ، من ارباب الفضل والوجاهة . فالفخفخة والاناقة عرضتا كرائمها . وفاح العطر ، يسدّ بطيبه المخمور الانوف ، ويمتد منها الى اطراف الخياشيم . وتألقت الاضواء باسراف .

Twitter: @alqareah

ولا بد لمن ترجيه قدمه الى هذا المحفل، الطافح بنخبة ذوات الحسن، وبخلاصة ذوي الشأن واليسار ، من ان يتهيّب لدن يتوسط ذلك العباب المتلاطم من البذخ المستعلي،ويحس فيه بانه يوشك ان يضيع

وهرع السيد وفيق الاشهب ، وامرأته ، وابنه ، الى لقاء آل عين ، يبالغون في الترحيب بهم . ويستهلون لهم الى الصدر . ومع ازدحام الروعة ، في الجو النشوان ، لزم رئيف الاشهب الآنسة منى ، يحادثها ، ويضاحكها ، ويلفت اليها واليه جماعات المدعوين

وسكنت منى الى الملاطفة . ورقصت والفتى بلا احتراس . واجتذبها المقصف المكتنز السخاء . فاكلا ، وجرعا الخمر ، وتبادلا الفكاهة ، وفيها بطانة من شوق ، تعدن على جلائها البيئة والكأس،

ونظرت اليهما السيدة زكية في مرحها الدافق ، فما غاب عنها ان للوجد فيهما يداً جامعة. فالفتوّة الرفيعـــة المنتمى، تستصرخ شبيهتها .ولا تهنأ الازهار اليتامى في سوى تربتها ، والا ذبلت،وعدا عليها الجفاف

وما انكرت والدة منى ان في رئيف الاشهب فيضاً من كياسة، وملاحة ، يتقد بجامح الاغراء . وجزعت ذات الخبرة الراجحة ، على ابنتها ، من هذا الفيض . فقد تعيا منى عن امر الطائر المستهوي ، فتنافسها فيه ذوات الطماح

على حين لا مجال الى هذا التنافس في خليل حنون . والشاب سلم ، في خلقه، من الميعة . فلا يبيح لنفسه العبث بالامانة ليشقي من

Twitter: @alqareah

ترعى في ذمته . وهي شيمة لا يلوح من رئيف الاشهب انه معتصم بعروتها ، وقد تجلى للسيدة زكية على فائق اليسر في الاستجابة والاستدراج . فهو لكل من تطمع في شمه وضمه ، وعيناه موزعتان عليهن جميعاً ، كمن لا يؤثر لوناً على لون ، وكلهن لديه إنس

يحادث منى . ويضحك لكل من تمرّ به . وتجول نظراته في كل ذات صباحة . وترتفع يده بالتحية لمن يتراءى له انها شاخصة اليه ببصرها . كأنه نبعة مشاع لارواء الظامئين . وليس لهذا المتطاير هبوات ان يمسك على مودة ، فتتعذب منى بقربه ، وقد غرّها انه بهيّ غنيّ

وما كانت الليلة الساهرة للسيدة زكية غير جحيم صاهرة. فلمست فيها الاضمحلال ، موقنة بانها تسير ، في مراحله ، بخطوات فساح ، ولم تقع على من يلتفت اليها ، فتسايره . فالجميع تحاموها ، كمن ولت ايامه ، وزهد فيه عابدوه . ووهمت انها ستظل تجد ، في خليل حنون ، بقية من افاويق . ولكن انصراف ابنتها الى رئيف ، بدد فيها علالة الامل ، كأنها امست من دنياها على فادح اليبس . خشبة للنار . وما تريد الحياة على حفنة من رماد !

وبحثت السيدة زكية عن زوجها ، وفي نفسها من اليأس عميق الاخاديد . وقليلاً ما كانت تبحث عن هذا الزوج في ليالي المرح الصاخبة . غير ان تنائي الشباب عنها ، وقد باتت زياً عافياً ، كالاطلال ، اهاب بها الى الاستمساك حتى بعود نخر ، تحس به انها

Twitter: @alqareah

لم تعدم من تتوكأ عليه . هذا بدء النهاية . والعود النخر ، في معظم الاحيان ، الزوج المسكين . فترجع اليه ذات الغواية ، تائبة عن حرمان ، لا عن ايمان

ونادر يمين يجالس كبار القوم ، امثاله . فهو في حلقة من رجال الفكر والمال ، يتبادلون الرأي ، ولا يتحرجون عن مباسطة تنفجر بها حناجرهم ضحكاً . ونهضوا باجمعهم للسيدة زكية يحيونها باكرام. فهي امرأة السيد يمين ، الرجل الثريّ ، المنيف الحظوة . مما اوضح للمتدابية المنبوذة ان زوجها دعامتها ، لا حسنها ، وقد تلاشى . ولا خلانها ، وقد غربوا عنها ، بعد ما أصفت من الرواء والشباب

ولكن اين من يهتدي ، وما تزال السيدة زكية تبحث عن قيد توثق به خليل حنون ، لئلا يهجرها . وليس للزنخ ان يتعرف الى الطيب . وتطرق الحديث ، عفواً ، الى الاعجاب بمفاتن منى . فصاح وفيق الاشهب متحمساً : منى لنا !

وذهب لقولته بعيد التأييد . وثمة من صفق لها . ففي زفاف ابنة نادر يمين ، الى رئيف الاشهب ، توثيق ركن بركن، وتوطيد صرح بصرح . فالحسن ، وقد اقترن بالحسن ، يجود باكرم الصفايا ، مهداً للانسان الافضل . والمال ، وقد سال نضاراً على نضار ، يحيي الجديب

وانتعش قلب نادر يمين فيما تعي أذناه الاماديح والمواعيد . لن تؤخذ منى بطيش أمها . واستطاب الجمع بين الامرتين ، فتزدادان

Twitter: @alqareah

قوة وشأواً . على ان السيدة زكية لم تنشط للرغبة ، فتململت. ابنتها لخليل حنون . وليس لرئيف الاشهب ان يعلل بها النفس ، وسيخونه سعيه . ووالدة رئيف لم تغتبط بملتمس زوجها . وما لابنة ، جبلت بها السيدة زكية ، ان تتكشف عن صلاح . غير ان الاثنتين اخفتا شعورهما بابتسامتين صفراوين ، لا وزن لهما في المواءمة، وهما تنفضانها

وما انفكت زكية بين تتمثل ، في باحرتيها ،خليل حنون ،وقد تعاظم خطر افلاته منهـــا . الا ان من تعرف نفسها ذات قدرة على الهدم ، مهما قام في طريقها من الحوائل ، لن تقرّ بالهزيمة . فستدافع عن هواها حتى تسقط ، في ميدان النضال، غائصة في دمها ،او تفوز. وليس كالمرأة التفاتاً الى خلجات لبهـا . منى لخليل ، لا لهذا الغامز بعين ، والقارص بيد . وما للموثقة به ان تشعر ، في ركونهـا اليه ، بنبضة من امان

Twitter: @alqareah

٥

المركبة تدفع ، الى منزل نادر يين ، الاب ، والام ، والابنة . واستأثرت مني بالكلام ، توضح اعجابهـــا بما رأت وسمعت في الليلة الدافقة الانوار ، الوثابة الظلال

واصغى اليها ابوها بارتياح سكران ، يشاطرها فائر غبطتها . اما السيدة زكية ، أمها ، فلم تكن تسدد اليها غير نظرات حبلى بالامتعاض. أتذهب ابنتها بكل ما شيدت لروحها من نديّ الحنان ؟

واكثرت مني ، فيما تروي احساسها بما عرض لها ، من ترديد اسم رئيف الاشهب ، متغزلة بفطنته ، وبلطفه ، وبعذوبته ، وشبابه . قالت ، وما تسوق الحديث الى سوى ابيها ، كأنهـا في معزل عن أمها : ان الغنى لمحمود في هؤلاء السادة ، يا ابي . فما توانوا في البذل . وليلتهم دلت على كونهم من الرفعة في القمة . فسال الشراب بسماح. وانبسط الطعام اكداساً متعددة الالوان ، تشفّ عن ذوق ونفاسة. وتناهى آل الاشهب في الاكرام ، وقـــد اعطوا من يدهم ، ومن لسانهم . فما ابتعد رئيف عني لحظة . وحباني من الانس ما لا ازال اشعر بفاتن مهزته . وكأني في غمرة لا تنتهي من طيب شمـائله . لا حرمتنا العناية امثال هؤلاء الاصدقاء !

Twitter: @alqareah

فرضي نادر يمين عن فرحة ابنته . وما يريد مني على سوى قصيّ الجذل . قال باطمئنان الى ما يسود خاطرها من استبشار : ما كان وفيق الاشهب ، منذ نشأتـه ، الا ذلك المبسوط الكف ، يا ابنتي . نعرفته في بوءسه ، وفي نعماه . وما تبدل ، في الحالتين، مضاء جوده . ويسرّني ان يكون القوم حازوا اعجابك. وليس لنا ان نقيم على فقر من الاخوان !

قالت ، وما تزال طيوب ليلتها تعبق في انفهـا ، وفي ضميرها: واری ان نقابل اريحيتهم بمثلها . فنحيي ليلة شبيهة بليلتهم ، في وفرة اقمارها ونجومها !

فهتفت السيدة زكية بغضب ، وقد ساءها ألا تكون ذات رأي في المطلب ، كأنها غريبة عن دارها : لا ، لا . لست املك القدرة على هذه اللبكة . فاني لمغلوبة على امري في ما نحن فيه . فكيف اذا تراكمت الاثقال بلا تؤدة ؟

فضحك نادر يمين باستهجـــان ، واستفهم ببعض استهانة : واين المشقة الراسية على كتفيك في شؤون المنزل ، يا زكية ؟ ... فانك لتبرحين ، في الصباح ، مأواكِ ، لتعودي اليه في اوان الطعام .وليس لك ، حتى مع اضطرارك الى المشقة ، ان تصدّي عن رغبة سنحت لابنتنا . اعرف مني بمن يتقون الاحراج !

فصاحت به بنفرة نتأت لهـــا مقلتاها : اجل ، اجل ، بالغ في مواطأة ابنتك على دَلها ، واحصد غداً ثمار هذا التأييد الغبيّ . فلبست

Twitter: @alqareah

المداورة في خيرها . ان اجابتها الى جميع شهواتها لا تحمد مغبتها . أما تستطيع ان تكون والداً ذا حزم ؟

فما فتيء يضحك . هذه غضبة لا حافز اليها. الا ان امرأته عوّدته المباغتات ، فبات لا يستوحش منها . قال : منى لا تلتمس ما نعجز عنه ، ولا ما يسيء اليها . فاذا زخرت دارنا بكرام الناس ، فاين المصيبة ؟ ... لك ان لا ترطبي اناملك بقطرة ماء،وان تتجاهلي ما يقع في المنزل، اذا شئت.فساجيء بمن يتوفر ، بمهارة ، على اعداد المأدبة، ويحوز رضى مدعوينا . وكل ما عليك ان ترحبي بالقوم،وان تأمري ، فتجدينا ، بين يديك ، حشماً يتهالكون على الطاعة. فمنذ زمن طويل لم نستأنس ، في بيتنا ، بجموع اصحابنا !

فزادها موجدة . ومالت الى الدمدمة عليه، وعلى ابنتها، بقولها : اذا خيل اليك ، والى منى ، ان رئيفاً الاشهب سيقع في قبضتنا ، ونحن نحيي ليلة مرحة، ندعوه واهله اليها،فانكما لتخطئان في التقدير. رئيف ليس لمنى ، مع جمّ تودده اليهـا . ان هو الا تِبع نساء، لا يفرّق فيهن بين الاخضر واليابس . فمـا ان تلوح له ذات قرط حتى يجدّ في اثرها.ولا يرجع عنها الا وقد ظفر بها.فتقضي، بجانبه ، ابنتنا من مرّ الليالي، ما يستنفد دمعها !

فاوجع منى هذا الحكم المرتجل . وصرخت بامها لا تكرم فيهـا سلطانها عليها : ومن ابلغك اني ساشقى؟... دعي عنك الاهتمام بأمري، ولا خوف عليّ . رئيف الاشهب ليس تلك المصيبة . ولقـد عرفت

Twitter: @alqareah

رأيك فينا معاً . فلا تجولي في ميدان يستغني عن ظهورك فيه !

ولسعتها بالقول الجافي ، غير حافلة بما تلهب فيهـا من جراح . فما يغيب عنها ما تريدها عليه . وهو ليس في خيرهـــا ، كما رسخ في يقينهـا . وفي الاولاد من لا يجدون الصواب في مذاهب الآباء والامهـات . فتضطرم المنافرة . ويعيث الطعن في الارشاد ، كأن الايام اوهنت ، في من انضجت السنون ، سلامة الادراك . وفي زعم اولئك الاغرار ان والديهم ما ينفكون يعيشون بروح زمنهم الهاوي ، وقد فاتهم الاندماج في موكب العهد الطريف

غير ان السيدة زكية لم تطق استطالة ابنتها عليها ، وهي المغالية في الحرص على خيلائها ، مع استرخائها في غرامها . فهاجت كبدها . وشاعت في محياها اعراض العاصفة الرعناء ، المدمرة . فهدرت كقاصف الرعد في ليلة طغى جنونها : أتنكرين عليّ حقي بالتدخل في شؤون بيتي ، يا قليلة الحياء ؟ ... ألا من تعب في اغنائك ، ووهب لك من روحه ، ومن دمـــه ؟ ... انك لحمقاء ، كافرة باليد البارّة . فالطيش طمس بصيرتك . رئيف الاشهب لن يكون لك . فانا ، وحدي ، ربة الامر في البيت !

فما تداعت منى في الجدل ، وقد صاحت بوقدة من ازراء : ولمن تريدينني ؟ ... قولي . أتتجاسرين على البيان في مسمع ابي ؟

ونزعت ، بلؤم لاطم ، الى احراج أمهـــا . فتتفوه الام باسم خايل حنون ، فيغضب زوجها ، وما يرضى عن هذا العبث الشائن بحرمه .

Twitter: @alqareah

ولكن السيدة زكية ، وهي المؤمنة بان خليلاً وجـــه" من وجوه الكمال ، مع سعيه المغمور ، لم تحجم عن الابانة بشدة تأبى اللومة : اريدكِ لخليل حنون . ومن الفخر لك ان تكوني لشاب ضئيل المورد ، يعيش بانفته ، وبتعب يمينه . واي شأن لك لدى رئيف الاشهب ، وهو بمقامك ، وبثروتك ؟ ... فلا يحس بك وانت بقربه ، ولا يبرح مكانه باندغامك فيه ، ولن يعروه تبديل . وانى يتسع لك ، عنده ، الى التباهي ، والى فرض المشيئة ، وما تريدين على كونك قطعة من رياش اقتعدت داره ، وما ترجح ما حولها من نفيس ؟... اما في كنف خليل حنون ، فانت بهجة المأوى . وما يدري كيف يتفوّق على نفسه في اكرامك . فينفحك بالولاء ، وبالاخلاص . ويتّقي ايلامك . فانت سيدته . على حين ان رئيفاً سيدكِ . وقد يشيح عنك ، ليهوى سواك . ومن المحال ان يستقر على حفاظ . اني لا ابسط لك النصح ، فألقى منك الاستخفاف . وهي حالة الاغبياء ، الجهّال ، في من يرومون لهم الدعة والهناء !

وبلغ الحنق ، في السيدة زكية ، كل مدى . ابنتها لا تحتشم في الغمز عليها . الا ان ميلها الى العقد لخليل حنون ، على منى ، اثار نقمة الاب . ونادر يمين على مذهب ابنته في الحرص على الطبقـــات . أيشوق امرأته ان ترجع به عن وثبته ، في شوط الرفعة ، فيعود الى حيث بدأ ؟

ان البلاهة لعارمة في الكهلة المتقهقرة عن صفها ، لا في الابنة الملمة

Twitter: @alqareah

بمرتبتها . وافصح السيد نادر عن امتعاضه مما تجهر به امرأته . فقال برصانة قاسية الالفاظ : أتكونين مالكة صوابك ، يا زكية ؟ ... في اي حفرة يطيب لك ان تهوي بنا ؟ ... أتنصدر منزلة الارباب، فتدفعينا الى مستنقع الخدم ؟ ... ليس لي ان انكر على خليل حنون جهده ، وغده . ولكنه يتعب في الوصول الينا ، وما يزال حافي القدمين. اما رئيف الاشهب فيعادلنا.ولن نشقى في جرّه للانتظام في موكبنا . وماذا يقول فينا الناس وهم يروننا نؤثر خليلاً على رئيف ؟ ... أما ينعتوننا بالجنون ، ضاحكين منا ؟ ... دعي ابنتنا لمن اختار لها القدر الراحم ، ولا تزحزحي قاعدة الخلق عن ركنها . فما نفسح، في رحابنا ، لمن لا يجرون في ركبنا !

فظلت السيدة زكية معتصمة بصلابتها . وليس للمقتنع بصواب حجته ان يرتضي الانكسار . قالت بمألوف حماستها : علينا ان نلتفت الى مصلحتنا ، قبل ان نعير كلام الناس شأناً . سعادة ابنتنا في ان تكون لفقير رزين يكبر سموها ، لا لغني عابث يراها نافلة . وماذا يبدو فيها ، لرئيف الاشهب ، غير قطرة من عطر ، في قمقم ملآن . فتضيع بين نظيراتها. اما في عصمة خليل حنون، فهي درة يتيمة ، في كف حريص . قد يكون خليل ، حيال رئيف ، عاثراً اعسر ، يهيم بالفضيلة ، ويخاف الاثم ، كأنه الحبيس . واني لاختار هذا العاثر الاعسر ، الحبيس ، لمن اريد ان تعيش في بسطة عزها ، دون ذلك الراقص على الحبال ، المغري بالوصال في بسمته ، وفي مقالته ، وليس

Twitter: @alqareah

فيه للامانة قرار . ابنتنا ليست بحاجة الى المال ، بل الى الوفاء !

واستماتت في النضال عن خليلها ، كأنها كتبت عليه روحها . مما اهاب بزوجها الى الارتياب بصلاتها بذلك المشتغل بخدمته . فقال يستطلعها الرأي بطافح الشك : هل لنا ان نعزو اهتمامك بخليل حنون الى الرفق بابنتنا ، وحسب ، او ان وراء هذه النصرة مأرباً تتوقين الى احرازه، ولا تبالين بمجازفتك بنا ؟ ... ليس لمن يدعى الى المفاضلة، بين التبر والتراب ، ان يعرض عن الاوزن ، والا كان مريض الهوى والنظر . ومن يجزم ان رئيفاً ليس في الابرار ؟

فهتفت به ، وقد دمغها سوء ظنه بها : المرض فيك وفي ابنتك. فانك لتدفعها الى مهلكة . متى كان خليل حنون تراباً ؟ ... واي رابطة مشبوهة توثقني به ؟ ... عرفت الفتى ذا استقامة ، فشئت ان يكون لابنتنا ، مؤمنة بصونه اياها من البلاء !

ــ أهذا كل ما يحدوك على الجهاد في سبيله ؟

واطلق استفهامه بلهجة هازئة ، ترضّ المهجة المغموزة . فنبرت السيدة زكية : ألا قف مكانك . هــذا الاتهام يعزّ على الخواطر جميعاً . مثلي لا ترمى بالنصلة الجائحة . أألتفت الى الرجــال ، وانا الزاهدة ، بقربك، في مباهج الزمن ؟ ... انك لخبيث الفطرة، وانت تنحط الى هذه الظنون السافلة !

ورأت نفسها مجبرة على الدفاع، على الجانبين ، عن وضاءة نيتها . فتردّ عنها قوارص زوجها ، ومثالب ابنتها. وبدت جذوة من نار

Twitter: @alqareah

تتقد ، وتم باللذع . فكل من لمسها ، صرخ متوجعاً . وبلغت المركبة الدار ، فترجلوا جميعاً . ودخلوا المنزل قبيلين ، يفصلهما لظى الخصام . على ان المعركة اشتد في المسكن لهيبها. فلبطت السيدة زكية برجلها الارض ، وصرخت: لن يأوي الينا سوى خليل حنون ، ونحن قوم نريد ان نعيش براحة !

فاجابت منى بخشونة كفرت بكل مداراة : خليل حنون لك ، لا لي . فمن يلتفت اليها السادة ، فلن ترنو الى الخدم . واذا ابتذلت نفسك ، فاصبحت لا تبالين هبوط الازقة ، فنحن ما ننفك نحيا بانفتنا . ولن نشاطرك الالتواء عنها !

فكادت تحلج شعرها ، وتمزق صدرها باظفارها ، وابنتها تسدد اليها اللطمات دراكاً.هل امست في منزلها خيالا زرياً ؟...وهجمت على منى تسعى لتأديبها بالضرب . ولم يبق سواه للاشتفاء من الغضاضة الناخعة . الا ان الفتاة صاحت بها بحدة تنذر بويل المخاطرة : حذار الاقتراب مني . فلن تقعي على سوى لهبة محرقة !

فما انثنت عن هجمتها . ولكن زوجها وقف بينها وبين ابنتها ، هاتفاً بنقمة متطايرة ، تبتغي اتقاء جوائح العاصفة : منى ، ادخلي حجرتك ، واسكتي.أتجهلين انك تخاطبين أمك ؟... اين تهذيبك؟... وانت ، يا زكية ، لا تسترسلي في العناد قبل التروي . فهل غابت عنك كرامتنا ؟

ودفع ابنته الى غرفتها ، واغلق عليها الباب يأمرها بالصمت .

Twitter: @alqareah

وعاد الى امرأته يخفف من صخبهـــا ، قائلاً بملاينة ترتدي النصيحة : كوني بمقدار رفعة خلقك ، يا زكية ، ولا تكترثي لنزقها . ما تبرح في سن الحداثة ، وهي سن الجهل والنفخة . على انها ستقبل اليك نادمة على غباوتها . فعفوك عنها !

وامسك بها يدعوها الى الهدوء والجلوس. فلم تسكن لها دمدمة. وتعالت دعواتها على ابنتهـا مزبدة ، عضوضاً . قال نادر يمين ، وما يبرح يصاول الفائرة : ليس لنا ان نرفع الصوت ، ونحن في ساعـــة اغمضت فيها المدينة عينيها . فسننظر غداً في الامر ، ونعالجه بما تلهمنا اياه المصلحة . ولا بد لمنى ان تعتذر عن اساءتهـا . والا عانت من غضبي ما لا تأخذني فيه رأفة !

فظلت السيدة زكية تنتفض جزعاً . أتغرز فيها منى انيابهـا ، وما تزال تتفيأ حنوها ؟ ... ألا ما يكون منها يوم تستغني عنها؟...

وانهالت طعناً على الاولاد ، وعلى من يزجونهم الى النور . فالتناسل اضحى ، في شرعها ، حماقة . والعاقل من صدف عنه ، ولن يقع فيه على سوى المضيمة والمهانة

ووفق زوجها ، بعد ناهك الجهد ، لاخماد غليانهـــا . ولكنها ظلت تحس بالنار تنهشها ، وبالحسرة ترعى في صميمها . فان ما عانت من قوارص منى لا يبرح يعرك حشاها ، ويفتت عجبها

وناحت على نفسها . هذه نهاية ذات وبال ، لم تكن ترقبهـــا . فاذا فاجأتها الدواهي ، من حيث تعتصم بالطمأنينة ، فماذا يبقى لها في

Twitter: @alqareah

المأمول من خفض ايامها ؟

وتهادت بعياء قاهر الى سريرها ، لا لتنام ، بل لتبكي ما تقاسي الامومة من فادح الجزاء . وما فتئت تجد في خليل حنون سعادتها . ولاجله تخوض غمرة الصراع المضني . أيهجرها خليل ، وكل يوم ينقضي يبالغ في يقينها ان الشاب يتبرم بها ، ويميل الى قطع ودها ؟

ليست حمقاء كي تتوهم انه يهواها ، في ما يجود به عليها من ريعان الرجولة. فالامر ، كما ادركت ، لا يجاوز وفاء دين . بل اضحى احساناً الى ذات مسكنة . على انها تمنت دوام الصدقة . فان لم تكن عطية من وصال ، فلتكن متعة من نظر . وانها لتكتفي ، مع ضؤولتها ، النهمة الجياشة . ولم يبقَ عن القناعة غنى

ولكنها تلمس العسر في احراز صبوتها . فلن تنطوي ابنتها عن رئيف الاشهب ، وفي بريق شبابه اغراء حاسم الغزوة. والسيدة زكية ما تخاف من سوى هذا الشباب الغازي . فهي ، مع اقرارها بالسعي لنفسها ، في العقد لخليل على ابنتها ، لم تنسَ مصلحة منى . فالفتاة تعيش سيدة بقرب خليل حنون ، مما عالنتها به في نصحها . اما بجانب رئيف الاشهب ، فمن يدري ، والشاب نهب " مقسّم بين ذوات الصبابة . فتكابد منى ، في غيرتها ، الويلات المواحي كلما ظهر لها منه انه طريد حاملات الهوى

وتقلبت السيدة زكية طويلاً على مهدها ، والحرقة تضطرم فيها ، والزفرة تمسك منها بالزفرة . على انها رأت ، بعد اثخانها في عرض

Twitter: @alqareah

المشكل الملتوي ، ان تستسلم الى الشدة الطاغية ، يائسة من فلاحها ، في كفاحها . ولا بأس بالقهر يأكل من زهوها ، ومن ولوعها . فما من مخلوق بلغ امانيه كاملة . ولا محيد، حتى في السلسال العذب، عن الغصة

قالت تلقي سلاحها ، وترفع يديها ، للقدر المتحدي ، واهبة له امرها : لماذا التعب في الباطل ، ونشر الفضيحة بلا جدوى ؟ ... فما دامت منى تشتهي رئيفاً ، ولن تتحول عنه ، فلها ان تبلوه ، وتبعتها على نفسها . ربما كان في زواجه بها نفعها . وكل ما عليّ ان اوفق ، ما امكنني الوسع ، لاستبقاء خليل حنون . اما اذا سقط في يدي ، فلي الله !

وانحنت، في الشهوتين ، لدلال القدر ، مستعبد الضياغم في منعاتها. ومهما بلغت المرأة من كيد ، فالقدر ادهى ، وفي يده الرسن ، وما تلين له فيه قبضة

وفي الصباح ، فيما يبدو السيد نادر بين لعين امرأته ، مستطلعاً حالها ، مغالياً في اداء التحية الباسمة ، للتخفيف عن نهاره من شر الاعصاب المتوترة ، جاهرته السيدة زكية بقولها الموّار بالضغن والاسى : اخذت اشعر ، في هذا البيت ، باني وجه مقيت ، يا نادر . فدعني احتجب بصمتي وعزلتي . ابنتك قاربت الرشد ، فتدبر امرها بما يوحي به اليك توفير رغدها . واعفياني من مهمة لا اصلح لها . واذا شئتما ان تجودا عليّ بهذه الزاوية اقتعدها ، شكرت لكما جزيل

Twitter: @alqareah

سخائكما . والا بحثت عن زاوية اخرى، ادفن فيها ما بقي لي من طفيف الاجل !

والتاعت ، في مقلتيها ، دمعتان بأستان تذيعان شجوها . وتجلى لنادر يبين مدى عذابها ، فصرخ بما يستعلي بين حوانيه من سماحة تتهالك على تضميد الجراحات : هل اوجعنا فيك نداوة الروح بهذا التمدر ، يا زكية ، كي تجنحي الى الصدّ عنا ؟ ... ولكن اي شأن لنا جميعاً وانت تجبهيننا بالمقاطعة ؟ ... ان رأيك عندنا للرأي الاعلى. ومشورتك امر" فينا . وقد تكونين على حق ، في ما ذهبت اليه من ضمان غد منى ، في حرز خليل حنون . غير ان نزولنا عن درجتنا وصمة عار في جباهنا . وهل لك ان تعقلي الالسن، عن الهزء بنا ، ونحن نزف ابنتنا الى من لا يرجح كونه خادمنا ؟

فما استشفت من كلماته سوى منكر التدليس ، غير مؤمنة بسلامة الطوية . قالت وما زالت تنسلّ من المشاركة في التدبير : ليس لمثلي، انا الكليلة البصر، ان تنفذ الى اعماق المعرفة. فاصفح وابنتك عن تقصيري في الدراية ، وقد خانتني الفطانة !

واخفت بالغطاء وجهها . باتت كدرة كريهة في مقر ما انفكت تنشر فيه سيطرتها القصية. قال زوجها، وما يرتجي سوى انتزاع موافقتها على العقد لرئيف الاشهب على ابنتها : ألا ترين ان رئيفاً اصلح اليوم من خليل لمنى ، يا زكية ؟

فاجابت من تحت اللحاف ، امعاناً في النفرة : لست ارى شيئاً !

Twitter: @alqareah

ـ وهل تعترضين على الزواج اذا وقع ؟

ـ لماذا اعترض، ولم يبق لي رأي ؟

ـ ومجلس العقد ، هل تشهدينه ؟

ـ واي مقام لي فيه كي اشهده، وقد اصبحت من فضالات العدم؟

فراعه ما تستمسك به من مناكدة . وما تجرأ على المضي في الاستيضاح ، لئلا يسمع ما يخدش كرامته . وللسيدة زكية ، من رشقات اللسان ، ما يبقي ، في الارواح ، بليغ الجراح . وانفتل نادر عين الى ابنته يقول بحيرة وحذر : منى ، لقد نفضت يدها منا . فلا تلعن ، ولا تبارك . فماذا ترين في تباعدها ، يا ابنتي ؟

فابتهجت واعلنت بارتياح : ارى انها احسنت صنعاً !

ـ أنصارح آل الاشهب بكوننا نرحب بابنهم رئيف صهراً لنا، دون ان نفزع فيها الى تأييد ؟

ـ واي تأييد نحصل عليه منها، ولن تفتأ تلجّ في المعاندة ؟ ... أما تعرفها ، وقد قضيت بقربها العهد الطويل ؟

بلى . انه ليعرفها . وما كان يرى ، في خواطرها ، غير العنت والخرق . وخشي فيها الانتفاضة. فقد تخرج عن اتزانها ، وتقوّض كل ما يشيّد وابنته من صحيح قويم . وللنجاة من وخامة المشاكسة، همس في اذن منى : أتدرين ما عليك في الاطمئنان الى المبتغى ؟

فارهفت اذنيها ، ونهيتها ، واستفهمت : ماذا ؟

ـ سيري اليها والتمسي رضاها ، اذا شئت ألا تباغتنا بتبديد كل

Twitter: @alqareah

ما سنوطد لانفسنا !

فما نعت . باتت تحس بأن بينهـا ، وبين أُمها ، مهواة لا يسعها اجتيازها . فما دام ثمة خليل حنون ، فمن المحال ان تلتقي الام وابنتها في صعيد. الا ان الرهبة من المباغتة المعاكسة استولت على المهجتين، مما اهاب بمي الى القول: ساسير اليها في طلب عفوها. ولكن هل تعفو ؟

فابان نادر يمين : كل ما علينا ان نسعى !

ولم ترد ايامه ، بجانب السيدة زكية ، على طأطأة الرأس . والا هبّ عليه الاعصار جارفاً . وامسك بيد مي يقود الفتاة الى أُمها . عليها ان تستقر بحلم هذه القاهرة

وابت مي المكابرة ، ولا شين عليها في استعطاف والدتها ، وسؤالها الصفح والرضى . فمالت على الغطاء ترفعه عن وجه أُمها المضطجعة في مهدها ، مكتوية بحفيظتها . غير انها لم تشعر بسوى يد تدفعها بعيداً، وبصوت يزمجر كالداهية : تواري عني ، ايتهـا اللئيمة . أتطعنينني في مكمن انفاسي، ولا تتورعين عن المجيء اليّ تطلبين سماحاً ؟ ... ان رؤية الموت لاحب اليّ منك في عيني . مـا احرزت من تعبي عليك غير الكفران بالعيش . وان يكن الاولاد جميعاً ينطوون على خلقك النابيل ، فما ارحم المنية تنتزعنا من جحيم البقاء !

فهرع نادر يمين الى النجدة ، يقول بدماثة قاربت الميعة ، متشفعاً بها في ابنته : عفوك عنها ، يا زكية . لسانها سبق هداهـا . أما تلمّين بساعات الهوس ، وما تذيع فيهـا الشفاه، من فلتات ، لا تلبث ان

Twitter: @alqareah

تندم عليها ؟ ... مني نادمة الان. ولقد اسرعت في التكفير عن الهفوة. فلا تبخلي عليها بالصفح . وفي التوبة جلال الصواب !

فما لانت في الموجدة ، بل مضت في التهشيم الجافي ، قائلة بملتهب الغيظ : لست اعرفها . ولا يشوقني ان اتعرف اليها . فمن هي ؟... لست اراها غير وجه غريب . انا هنا وحدي ، في عزلتي . فلماذا تخديش صفوي بما لا اطيق ؟

فتبرمت مني بهذا العتو في التنكيد. ومالت الى الانصراف متأففة ، نافرة . غير ان اباها منعها ، بإشارة قاطعة ، من الابتعاد ، قائلاً لامها بطراوة لعوب : ولكنها ابنتك ، من لحمك ودمك . أتنسين مني ، يا زكية ، وقد سخوت عليها بالوجود ؟

فما انجلت عنها البرطمة . ونبرت ، ابداً من تحت الغطاء : نسيت الجميع . فعلمتني الايام ان على المرء ألا يحتفل بسوى نفسه ، وان يعيش لها وحدها . أما الآخرون ، فالاكتراث لهم اضاعة وقت في الباطل ، ثمرته الجحود !

ـ ولكننا هنا لتأليف الشمل ، يا زكية . مني تزحف اليك لالتماس عفوك عنها ، ورفقك بها . فكوني لها أماً راحمة . والصفح من شيمة الاباة. وما من بيت ينقسم ، على نفسه ، الا ويدهمه الخراب!

فاجابت ، وفي صوتها بحة الحرد : ما لي ولها . لست حاقدة عليها . وكل ما اشتهي ان اسلم من مرآها . وان يكن الصفح عنها ، بدل هذه الرجاوة ، فلقد صفحت !

Twitter: @alqareah

ـ أما تبيحين لها تقبيل يدك ؟

ـ قلت لا اريد ان اراها ، ولا ان اسمع صوتها . فهي من عالم لست منه !

ـ وزفافها الى رئيف الاشهب ؟

ـ خلاصها في يدها . لتكن لمن تريد . فلا شأن لي في الامر !

فما برح يخشى هبوب الاعصار . هذه الكلمات، الزاخرة بالضغن، لها ما بعدها . وان يكون ما بعدها بالهين اليسير . ورأى نادر يمين ان يكتفي الان بما اوضح ، وان لا يمضي في التضييق، مخافة الانفجار. وجلا وابنته ، عن حجرة امرأته ، وهو يقول بملاطفة ما تني، منذ عهد بعيد ، تفرض عليه نفسها : لك الشأن كله ، يا زكية . مني ابنتك. وهي ترقب في مصيرها كلمتك . ولا احسبك تصدينها عمن تميل اليه!

فسمعها تنفث بغيظ نضنض فيه الفحيح : لتكن لمن تريد . لمن تريد . رأيها قبل كل رأي . ولم يبق علينا الا ان نؤيد ونطيع !

فهمس الاب في اذن ابنته قوله: ليس لعنادها ان ينقضي. اما انت فلا تغضي عن خيرك. آل الاشهب لم يخاطبونا بصراحة، حتى الساعة، في العقد لابنهم عليك . ومـا دام الوقت في خدمتنا ، فلن نعيا عن تمهيد الكؤود !

واحس بكونه بين نارين . الا انه بجانب ابنته . واني يجاري امرأته في انهيار ايمانها بمكانتها، وما تريده على سوى الحقير، المرذول؟

Twitter: @alqareah

٦

الجحيم في مثوى نادر يمين . فلا طيب عيش ، ولا دعة قرار .
الام نار على ابنتها . والابنة حرب على الام . فالسيدة زكية مضت في جفوتها . ومنى انطلقت في صميد هواها ، تبحث عن رئيف الاشهب ، غير آبهة لسداد الاحتراس ، ولا لوضاءة الصيت

وفتح لها رئيف ذراعيه . واللهيب لا يعفّ عن الوقود ، ولا السراج يضيق بفراشة تحوم عليه . قال الفتى ببيان يكسوه الخمل الغضير : مرحباً بالبراعم المنشورة الفوح ، ايتها الانسة منى . ففي الاهِلّة من رقة الحشا ما تخلو منه البدور !

فتلوّت ابتهاجاً . فتنها المقال المنسكب ، في عروقها ، خمراً زلالاً ، انطبع وهجه في وجنتيها . وقالت بمفطور الغنج : اصبحت في شوق الى لقائك ، بعد ما جمعتنا تلك الليلة الطيبة ، في داركم المستأنسة بالاحباب . ولقد حدثني ابي بما هتف به والدك ، في معرض الاشارة اليّ !

وما فتئت تتمايل بغنجها . نشوى بلا راح . قال رئيف ، وما خفي عليه هتاف ابيه في الليلة السعيدة الطلعة : اني اجـاد الافصاح . وما ردد غير ما يتلظى به خاطري من وجد . فانا ، منذ بعيد الايام ،

Twitter: @alqareah

ذلك المشتاق !

فانهلّت غراماً . هذه يقظة الهوى البكر. وابانت بكلام مسحور ارتخت له شفتاها : ان يكن الحب ما اشعر به من خفقان قلب ، كلما ابصرتك، وذكرتك ، فانا أحبك، وانت لا تغيب عن بالي . واشهى اوقاتي حين اجلس اليك ، وأصغي الى حديثك ، وتجاولني عيناك !

وافاضت بجميع ما في نفسها من نزوع . انها لجرأة لا ينطوي عليها السواد الاعظم من النساء . وما ينشرن حبهن ، في مسامع من يهوين ، الا بعد طويل كتمان . وثمة من يعشقن ، وينكرن على من يهمن به حنينهن اليه . اما منى يمين فنهدت الى الصراحة . وحافزها اليها ان تسدّ على امها الطريق . فلا تفصل السيدة زكية بين قلبين متآلفين ، تريدهما على شرود وخصام

قال رئيف الاشهب، مستلطفاً ما يطرق أذنيه من صداح الهيام : ما تعلمن منى ، الندّية الحسن ، غير ما ينتفض منها في ضميري . اما عالمتها باني منها على شغف لا يسكن له خفقان ؟

وغابا في متعة دافئة من هناءة الروح . والحب ، في مطلعه ، أفق رحيب من حلو نداء ، وبهيج نظر ، وجنوح الى النجوى ، وطمع في الارتواء . وتطلّ القبلة فتزيد في الوقد . وهي ما لم يتهاون فيه رئيف. ففاجأ ابنة نادر يمين بعناق لم تضطرب به، ولم تدهش له. الا انها اطرقت ، كأن ما يزال فيها للحياء بقاء . وما لبثت ان رفعت الى

Twitter: @alqareah

الفتى نظرة عاتبة ، ولكنها باسمة . وتجلى لرئيف الرضى ، فاغار على قرص الحلوى يلتهمه تقبيلاً . والشفاه طلائع الانياب

ومنى يمين اغتبطت وهي تنعم بدفء الشفتين اللاثمتين بجشع شفتيها ، وخديها ، وعنقها ، وشعرها ، وعينيها . فاستنامت بلذة الى الغزو المتطاير الشرر . والقبلة قيد المرأة . فتأسرها ، وتسهّل اليها لمبتغيها . وما ندّت عن رئيف نفاسة الغنيمة الساكنة الى لواعج متعته ، فانشدها البيان الاليف ، يباعد في اغرائها به : نحن حبيبان منذ جبلتنا الارحام ، يا بهجة الحسن السعيد . فما درجت منى الى النور ، لولا يقينها ان رئيفاً بالانتظار . أُحبك حتى اعماق روحي . واجد في لقائك زهرة الامل . واكرم ما اشتهي ان تظلي بقربي . فنقيم على متماسك العناق ، حتى الابد، حتى الابد !

وما كان لها الا ان تتكلم ، وهي ذات اشواق استكانت بها الى ذراعين تضمانها ، والى شفتين ترعيان بنهم في محياها ، وفي نحرها . فقالت بصوت نحيل،لفرط ما يطغى عليه من سورة الجوى: رئيف، حبيبي ، لاجلك قامت عندنا القيامة. فخضت معركة حامية ضرّجت كبدي بثخين الجراح . أُمي غير راضية عن زفافي اليك،فاضطررت الى الاستماتة في النضال !

وحدقت ملياً اليه ، ويسراها غارقة في شعره ، ونفسها هائنة باطلاعه على ما تكابد في سبيله من تمرد . فهالته قولتها .واستوضحها بنبرة يعدو عليها صارخ الالم : أما تراني أُملك على جدارة بك ؟ ...

Twitter: @alqareah

كيف لا ترضى ؟

ونأت عيناه ارتماضاً . وتجهمت سحنته، وقد عراها الكسوف. فاوضحت منى بابتسامة غير المؤمن بالظنة : هي تخاف ان تنافسني فيك الحسان ، فيعزّ عليك الاعتصام بالامانة !

ـ أيبدو لها مني اني ذلك الغادر ؟ ... وهل لمن احبك ان يخونك ؟

وشاعت فيه الكآبة والحدة. فاشفقت عليه منى من نفسه، وهتفت ترّفه عنه : لا تغضب . انا وابي بجانبك. وهل تجهل الام في رهيف احساسها ؟ ... ولا يذهب عنك اني وحيدة . فاذا لم اسعد بمن يتزوجني ، اشقيت أسرة لا ترى في دنياها سواي !

فما برح يتوجع . قال ينافح عن إبائه : ما كنت ولن اكون هاصر آمال ، ولا ناحر افئدة ، يا حبيبتي . فان لي من نفسي زاجراً عن تفتيت الاكباد . وكيف استميلك الي ، ثم اميل عنك ؟ ... فهل لي ان اظفر بمن تسموك عرقاً ، وثروة ، وحسناً ، ونقاوة ؟

فعاظها ايلامه . وتعاظم ركونها الى مخالصته . فقالت تجاهد في دفع المضض عنه : ليس لي ان ارتاب بسلامة نيتك. فوضح لي فيك ، منذ عرفتك ، كرم الطبع . الا انها هواجس عرضت لامي ، وما يطيب لها ان تتحرر منها !

ـ ولمن تريدك امك ؟

وخطر له ان هذه المعاندة ، في أمها ، تجنح الى تزهيدها فيه ،

Twitter: @alqareah

وثمة فتى آخر تجابس عليه السيدة زكية ابنتها . ولكن مني تحامت الافضاء بالاسم ، وليس فيه ما يستوي ومنزلتهـا . بل انكرت ان هناك من تلتفت اليه أمها ، قائلة بجميل الاسترضاء : أمي تراك خليقاً بي ، ونحن على معادلة في المكانة . غير انها تخاف فيك من قانصات النضارة !

وضحكت لتشيع في باله المرح .فضحك استخفافاً، وقال : ادعو السيدة زكية الى الاتئاد في شكوكها . فما انا بمن يشمّ الريحانة ، ثم يعركها ، ويدوسها . وهل لي ان اكفر بالطهارة ، والصباحة ، وطيب المنتمى ، فاخدعك واطرحك للتعس والبلى ؟

وتناهى في ابداء الشمم . قالت وثقتها به تشتد اواصرهـا : ابي موقن بنصاعة خلقك . وانا مثله . ويتراءى له ان الوقت يسعفنا على أمي ، فتزول عنها مخاوفها . وكل ما عليك ان تميل بهـا الى الايمان بكونك ذلك الجادّ ، الرصين . فلا تعرض عني ، وقد ارتهنت بك في فرحة العمر !

فابان بقوة تجنح الى توطيد الثقة بنبل طويته : عليّ ان ابصر أمك ، وأن أعاتبها على سوء ظنها. فاين لاح لها مني اني ذلك العابث بالوفاء ؟ ... أتبيح للاوهام السطو على نهيتها ، وما اعرفها على ضعف بصيرة ؟ ... عهدي بها من ذوات الدراية ، وما يخفى عليهـا كنه الناس !

ومنى لا ترتجي ، للفوز بميولها ، سوى اقناع أمها بان رثيفاً ليس

Twitter: @alqareah

في الاشرار . قالت تحدوه على الاضطلاع بالمهمة ، وقد يوفق لها : أمي منحبسة الآن عنا . فلا تخاطبنا.ولا تبدي رأياً في نزوعي اليك. فاذا بددت عنها وساوسها ، تداعت جميع الحوائل دون الاماني العذاب !

فابى ان تفوته النهزة العارضة ، وان ينقضي الاوان في حديث لا يروي . فعاد يجتذب منى اليه ، ويطبع شفتيه في مبسمها ، مغمغماً بصوت يبثّ الاطمئنان : سافعل. سافعل . فلن نهنأ وأمك في نفار!

واندفع واياها في جولة في الضواحي، يرتادان الخمائل والادغال، سعيدين بوحدتها ، مستأنسين بهواهما . وما كانت يده لتنفصل عن يدها ، فاذا لم يضمها العناق ، اباح لها ذراعه تتأبطها ، او قبض على معصمها ، باسمين ، ضاحكين ، هاتفين ، مغرّدين ، مغتبطين باتفه الاشياء.

وغاب عنها الزمن . وغفلا عن الناس . فالكون لها . ولمثلها تورق الشجرة ، وتنضج الثمرة ، وتتألق الزهرة ، وينساب الجدول، ويترنح الربيع ، ويتمطى الفجر، وتشرق الشمس،وتكتسي العشية، ويتعرّى القمر

وفي الغدوة لاح رئيف الاشهب ، في منزل نادر يمين ، يسأل عن السيدة زكية . وما كان المقام عليه حراماً . فلقيه الاب والابنة بمتوقد الايناس . ولم تتنكر له السيدة زكية . غير انها فترت في البشاشة . هذا من يعكر عليها الماء . قال رئيف ببسمة خضلة :جئت

Twitter: @alqareah

اسأل سيدتي بعض حلمها . فوقع في سمعي انهـــا غاضبة عليّ . فان يكن ما أذنتُ به صحيحـاً ، فاين تقصيري ؟ ... وما اجهل ان لي من عفوها فسحة الى الامان !

فعبست ذات التصابي . واستفهمت بامتعاض : ومن ابلغك اني ناقمة عليك ،يا ابني ؟ ... فهل اسأت الينا كي نمنع عنك رضانا ؟ ... ان من نفث في أذنك القولة البائسة ، لم يحمل اليك الخبر اليقين !

فاًبان بلهجة مرحة يشيع فيها مكتنز الخبث : وهو ما توطد في ظني . وقد قلت لنفسي ان من المحـال ان يرقى الى السيدة زكية الشك في صدق مخبري .ويسرّني ان يؤيد الواقع ما جال في ضميري !

قالت وفتورها لا يجلو عنهـا : ليس لنا ان نتجنى على الناس ، يا ابني . فنحكم عليهم بما لم يجترحوا . اعمال المرء تدينه . وانت ما تزال ، والشكر لله ، في انقياء القلوب !

ولم تكن دونه خبثاً . وفي مقالها حفلٌ من مغامز.على ان رئيفاً تلقى الطعن الخفيّ ، البارع الرمية ، بصدر رحب. فالتهكم تساوت كفتاه . قال الفتى الاشهبي : اذن ما دامت سيدتي مني ، على صفاء بال ، فان بوسعي ان امتدّ في الحديث !

ففطنت الى مراده ، وتنفست بضيق ، لتقول ببرم : تكلم ، يا ابني !

فالتفت الى ما حوله،فما ابصر مني واباها ، وقد تواريا لدن اتضح لهما مطلبه . وأنس بخلو الجو ، فقال : انا ممن راعهم خلق الآنسة

Twitter: @alqareah

منى ، ابنتك، يا سيدتي. فانطويت لها على وثيق المودة. ولمست فيها المواءمة . فهل لي ان اطمع في الزواج بها ؟

وما رصدت غير هذا المقال . وادركت فوراً ان ابنتها حدثته بكل ما وقع . فهو يعلم ان نادراً ومنى يؤيدانه في البغية ، وانها وحدها تصده. ولم تشأ ان تتدخل في ما انثنت عنه، ولها من كبرها ما يجنح بها عن النكوص. فقالت بكلام في يبوسة الصخر : ما دمت مالكاً موافقتها ، فماذا بقي لمثلي ؟ ... لتكن مشيئتكما !

وغسلت يديها من تبعة لا ترتضي احتمالها . فقال رئيف بمهارة في التدليس ، ينشط بها في كبح النزوة : مشيئة سيدتي هي العليا . وما تخطو الآنسة منى خطوة تستهجنها أمها !

فصرخت به تزدري قولته النابية عن الحق: دع عنك السخف، يا ابني . هذا بهتان ، بل هذيان . ابنتي قطعت اللجام . فالرأي ، في مصيرها ، رأيها ورأي ابيها . فاذهب اليهما ودعني !

ــ ولكن سيدتي ...

ــ ما لك ولسيدتك . سيدتك هناك . اما هنا فانت ازاء من تحطمت قوسها . وكل ما عليها ان تذعن لحكم الهوس !

ونهضت بغيظ تدعوه الى الرحيل . وسمع زوجها صرختها ، فخاف ان تسيء الى رئيف بما يقعده عن منى . فوثب اليها يقول بلفظ وئيد ، مكره على الرقة : صبراً ، يا زكية . فهل من دافع الى الصيحة ؟

Twitter: @alqareah

فاشتد حنقها لدن ابصرت زوجها . وتطايرت صخباً ترشق نادراً بزعقاتها السخان : من دفع الي رئيفاً يحادثني في ما لا تشبكني بـــه صلة ؟ ... انا هنا في عزلة انقطعت بها عن البشر . فلا رأي لي ، ولا مشورة . الكلمة لك ولابنتك ، دون سواكما . وهل لي ان اكرر ابداً اني حبست نفسي عن شؤونكما ؟ ... اذا رأيتما رئيفاً على قدر ما تنزعان اليه من كفاية ، فلماذا التردد في انالته المبتغى ؟

قال نادر يعين ، وما يفتأ يحرص على سكينة مأواه : اننا لنرقب حسن تدبيرك . وليس لنا عنه غنى !

فنبرت متأففة : انا غريبة في هذا البيت !

ــ بل انت رأسه ، ونحن خدمك ، يا زكية !

ــ لا تحرجني في ما لا اطيق . لقد تنصلت من كل دراك !

ــ كيف تتنصلين ممن اوثقتهم بك القدرة ؟... ليس لنور عندنا ان يضيء اذا ابيت ان يتقد !

فاوغلت في الصدود . وكل جهد في ترويضها انهزم . وما انفكت تتيه على زوجها ، مجلجلة : انت وابنتك تكفيان . فلستما بحاجة الى من يهديكما الطريق . والفرار من التبعة جبن . أما تحمل اكتافكما عبء اهوائكما ؟... انكما اذاً لقاصران . ولكنه قصور الاغرار . تحسان بعجزكما ، وتأبيان الاقرار !

فلم تصبر منى على هـــذا التنديد كله . ووثبت على أمها بمهتاج النفرة ، زاعقة لا تبالي ما تفرض الامومة من اكرام : انا لرئيف !

Twitter: @alqareah

فهزت القحة، المتمادية في المغالطة، السيدة زكية في صميمها. وقابلت الزعقة باشد منها، مدمدمة على الفتاة: كوني للشيطان!

وهفا الاب لاطفاء النار، يستحلف امرأته بمنتهى الضراعة: لا تقيمي وزناً لحدتها، يا زكية. فما اراها تملك نفسها!

ولكن السيدة زكية انفجرت اضطغاناً، وقد نفدت فيها علالات الجلد. فتناثر غيظها شظايا قاصفة، ناسفة، صارخة بالثلاثة معاً: اخرجوا. لا مكان لكم عندي. انا غريبة عنكم. فلا تخاطبوني في ما استأثرتم بتدبيره. خيطوا ما فصّلتم. ولا توجعوا روحي بمرآكم وسماتكم!

وطردتهم جميعاً، وهي ترتجف. واقفلت على نفسها الباب حانقة، ناتئة الانياب والاظفار، محلولكة الوجه، خافقة الصدر، تريد التحطيم والابادة. ورهب زوجها العاقبة المحمومة. واهاب بابنته الى التروي، والعودة الى الاعتذار. فان اندفاعها، في وجهها، عاطلة من رضى أمها، يضيّق عليها خطوها

ولكن منى على جمام اليقين انها ستجني الهزيمة في التماسها. فما تريد زكية لابنتها سوى خليل حنون، مما تأنف من الاذعان له منى، وقد اصطفت من يصبو اليه خاطرها. قالت بحزم: كل مجال الى اتفاق، بيني وبينها، اضحى صعباً. انا اخترت. وانت وافقتني. وما اراني مغبونة. وليس لامي ان تقيم دوني العقبات لوهم يسود بالها. انا لرئيف، سواء استصوبت أمي نزوعي، او اعترضت عليه. وما تعوّدت

Twitter: @alqareah

الجلاء عن مقر رسوت فيه !

ونادر يمين لم يكن يجد على ابنته ضيراً في صفيتها. رئيف الاشهب لا عيب فيه . الا انه يخشى ثورة امرأته ، وما تكرم بها زكية جلالاً ، ولا وشيجة. فاذا قوضت اركان البيت ، في احراز انتقامها، فلن تحفل بجسامة الفاجعة

وما انفك الاب يدعو الى التريث ، ويعتمد على الزمن المخفف من صلابة الاحداث الطارئة . قال يخاطب ابنته ورفيقها : لا تخرجا عن رضاها . فهي دعامة البيت . وعليكما ان ترجعا اليها حين تهدأ فورتها . وليس لي ، والحب يوثقكما، ان اقصيكما عن شعابه. ولكن اسلكاها بحذر ، ريثما نعبّد لكما المشتهى !

فابان رئيف الاشهب باسى : ما كنت ارصد، في السيدة زكية، هذه المقاومة . فترميني بظنة لا قوام لها . فانا لا اهوى الآنسة مني كي اكتب عليها الاذية . واية غاذة تعلوها كي ابيعها بها ؟ ... وهل انسى الصداقة المعقودة بين الاسرتين ، فضلاً عن مقدور الامانة ؟

فقال نادر يمين ، وما يظهر له، في مشاكسة امرأته ، غير عناد مشبوه : بارك الله فيك ، يا ابني . اننا لواثقون بخلوص طويتك . غير انها غيمة وتنجلي ، فلنصبر على عراها !

ووعدهما خيراً . واوصاهما بالتأني. فليس للطيش ان يأخذ منهما ، والآتي غير بعيد . سيتولى تليين امرأته لاسعادهما . فقبلته مني في خده ، عارضة عليه جبينها . وصافحه رئيف بشدة، كأنه يعاهده على

Twitter: @alqareah

الرسوخ في الالفة . وانطلقا لميولهما. فراشتان ترعيان في روضة

وتلوّت السيدة زكية في قهرها تمتصها ترحتها . أتبيت كايلة عن ابنتها ، منبوذة في بيتها ؟ ... انها لشدة باهظة العبء ، لا تغتفرها للزمن العادي عليها . ونفثت فحيحها من حنجرة تختنق . افمن يغلي جرحها ، وما تهتدي في تسكينه الى ضماد . أتداويه بسمها ؟

وأبت الا الاخذ بالثأر . سيكون انتقامها جائحاً ، ماحياً ، ولن تقعد فيه عن اطعامه ابنتها . وسخرت بالامومة . جلال هذه العروة انفصم فيها بعد عبث منى بها

وتكارهت على الصبر. ولا بد ان تفسح لها الليالي في الانتصاف من المستهينين بها . ولم يكن لها ان تنتظر ، لو شاءت ، والامر في دارها مردود اليها . غير انها ، وقد اعلنت استمساكها بالعزلة، ستبيح للقدر يده على مداها. ومهما تجنى فيسوق اليها السوانح على استفاضة . وما كانت لتستطيع الايمان بان رئيفاً الاشهب يحرص على مودته لابنتها

ورئيف ومنى اوغلا في انتهاب افاويق الحنين . فالمتعة ملك ايديهما . وجابا في ابتغائها الآفاق . يتسلقان الجبال . ويهبطان الاودية . ويستظلان الاشجار . ويتمددان على العشب . لا وازع . ولا زاجر . نادر يمين في عمله . والسيدة زكية في تعاميها . ومن لقي النير رخواً تحرر من الاسار

وتوالت الاشهر والحبيبان منطلقان في اثر طيبات الهوى . فما انجلى عن السيدة زكية حنقها . وما تجرأ نادر يمين على الانفراد في

Twitter: @alqareah

بتّ الامر على وجه. وكلما وقف يسأل امرأته الجهر بكلمتها، اشاحت عنه بنفرة . لن تتدخل في ما بات لا يعنيهـا . فيتذلل لها كي تنطق بالتأييد قبل ان تفوت الساعة . فإما يملّ رئيف ابنتها ، فيسلوهـا . وإما يدركك منها الوطر ، فيعرض عنها ، ويبقيها للوعتها

ولكنه يضرب في صخر صلد . فالسيدة زكية لا تخرج عن صمتها الاصمّ ، مرددة ان لا شأن لها في كل ما يجري. فهي لعزلتها. فيصيح الزوج: اذن فمن حقي ان اتدبر الحالة بنفسي. ولي غنى عن مشورتك !

فتهز كتفيها باستخفاف ، وتقول بطاغي التنكيد : افعل . فما يقف بك عن التدبير ؟... انت حرّ في اقرار شؤونك كما تريد، ولن يتصدى لك من يعترض عليك فيها !

فتخلع قلبه . ويكاد ينوح . أما تخشى زكية على سمعة ابنتها من عضات الالسنة ؟... أيكون خليل حنون في سمو رئيف الاشهب، كي تلتفت اليه في اعداد رفاهة وحيدتها ؟

ويجمجم نادر بحرقة تكوي مهجته ، وتشلّ سعيه : انها لمجنونة ، مجنونة . سنخسر ابنتنا واحدوثتنا في عنادها الارعن !

غير ان رئيفاً امرف في الوعود . ما يرقب الا ان تذيع السيدة زكية تأييدهـا . ولن يبطىء لمحة . منى كنز لا تجازف به يمينه . ولكن منى نفسها ، وقد راعها امرها ، هفت اليه ذات يوم تستوضح بجزع : متى ، يا رئيف ؟... متى ؟

فابتسم لها ، على مألوف عادته ، وابان تدهشه لحاجتهـا : عندما

Twitter: @alqareah

تشاء امك ، يا حبيبتي . أما وهي تلك الحانقة ، فلماذا العجلة ؟ ...
نحن في غرة الشباب . وفي منبسط العمر متسع !

وراقه ان يتهكم . فاشعلتها برودته ، وهتفت بحدة : لم يبق من سبيل الى الانتظار . أمي امس علي ، واخذت اتقيأ . وسرت الى الطبيب ، فابلغني ...

ولم تقوَ على التصريح . فالدمع قطع عليها المجال الى الافصاح . فتجلى لرئيف الواقع الدامغ . واستشف الباعث على اللجاجة ، فاستنبأ بوجل : هل تكلم الطبيب ؟

فاجابت وهي ترتجف باجمعها ، ومحياها في شحوب الموت : نعم، نعم . وما درى ابي وأمي . والا لسادت المناحة دارنا . فاسرع في الزواج بي صونا لاحدوثتي ، ولمكانة اهلي. فانت حيال فتاة جنيت على عذرتها !

وأكبّت على يديه تقبلهما بمذلة، وتخضبهما بدمعها الملتاع . لينقذها من عارها . فهي حامل . فارتبك . ونظر اليها بعينين تترجرجان ، كمن يروم الفرار من التبعة. غير انه قال ينفحها بالطمأنينة: لا تخافي. ما استطلت عليك كي اهملك !

فما استقر لها حال .قالت وكل ما فيها يموج جزعاً : ولكن قلبي يحدثني بان كارثة عمياء ستجتاحني. فامنع عني شر الدواهي ، ولا قوة لي على مصادمة الخطوب !

فلم يبرح يدعوها الى التؤدة .ما هو بالوغد كي يتخلى عنها في

Twitter: @alqareah

الرزينة ، وسيصلح ما افسد . فهتفت مبتلة بدمعها الفاتر ، الهالع ، المسترحم ، المغتاظ : ومتى ؟ ... متى ؟

ـ في اقرب آن ، في اقرب آن !

قالت تستغيث به منه، ناشرة برعب لهفتها: لا تجازف بي . آمنت بك ، فكن عند حسن ظني . ان تكن لا تكرمني ، فاكرم ابي . ما ذنب نادر يمين كي نصم مشيبه بالعار ؟

وذكرت رأي أمها في رئيف الاشهب. فتعاظم خوفها وارتيابها. أف من أمها . انها لطلعة نحس .لو ايدتها في رجاوتها ،لوقع الزواج ، واستراحت من قاصم العبء . فاعطاهـا رئيف من وكده يجبر عزيمتها المرضوضة . قال يـخو بالامان : ما انا بمن يصدّ عن قلب استسلم اليّ ، فاكون نذلا . ساطلب الى ابي رتق الفتق بدرايته . ولن اخذلك ، فأخزيك !

فنبرت ، وما سكنت الى عقاقيره : ولكن اخطفني ، اخطفني وتزوجني بمعزل عن الجميع . فيبيت اهلنا حيال الامر المبرم !

فعانقها يكفكف دمعها، وهو يقول : لا عليك . سنجتاز المحنة بسلام . في هذا الاسبوع تكونين امرأتي !

وتناهى في تدميث الخشية . لمنى ان تنام على مفرش من ياسمين وورد . ولكن الصفاء ما زال بعيداً عنها . فهي تحس بكابوس يشلّ حركتها، ويريها الغد زاخراً بالهول .ومماتت فيها انفتها.وتراءى لها انها اضحت خانعة ،تافهة ، كأنها من ارجاس الطريق.فما تقف حيال رئيف

Twitter: @alqareah

موقف الندّ من الند ، كما كانت حالها بالامس ، بل موقف العبد من سيده الطاغية ، القابض بجمع كفه على مكمن الانفاس

وخافت من ابيها ، وعليه . وفكرت ، وهي تدور في حلكة الغاشية ، في جرع السم . فماذا بقي لها في فسحة العمر غير الهوان؟...

وهل يصدق رئيف ، ورأي أمها فيه يتردد بعنف في خاطرها ؟

وعادت الى المنزل كالتائهة ، تتوكأ على امل يوشك ، لدى كل خطوة ، ان يفلت منها . وانزوت في حجرتها تتقلب على اوجاع كالشفار ، وتندد بنفسها ، وقد جرّتها غباوتها الى ركوب الطيش ، فتدحرجت من اسمى الذرى

وحاذرت اطلاع ابيها وأمها على زلتها . وامتنعت من الطعام ، مكتفية بحسرتها وعبرتها زاداً لها في مراحل اشجانها . ومع سعيها للايمان برئيف الاشهب ، ما استطاعت الركون اليه . ورقدت في سريرها وقد شوتها الحمّى ، وكادت تختنق بشكوكها

وعزّ عليها النوم ، وهي تتلوى من جنب الى جنب على زفير ونشيج. وادعت المرض لما سأل عنها ابوها . واكرهت نفسها على البسمة وهذا الاب يبدو لها . ان بها وعكة عابرة ستنهض عاجلاً منها

وتفطرت كبدها على هذا الواهب لها من حنوه جميع الذخر . وايقنت انه يكنّ وحده لها الاخلاص السليم من الكدرة . وما طلع عليها الصباح ، بعد طول ونية ، حتى كانت تميل على ثيابها ، فترتديها على عجل ، وتبرح المنزل بلا جسيم اعتناء بزينتها ، طائرة الى رئيف.

Twitter: @alqareah

فماذا كان منه في التدبير ؟... هل ابلغ اباه النبأ ؟... ومتى يقع الزواج؟

وضاقت بجميع هذه المحرجات، وما تفضي الى سوى الامعان في الابطاء. فلماذا الابلاغ واذاعة الهفوة ، وهناك الاختطاف ، وهو اقرب طريق الى ستر الفضيحة ، واقرار الحفاظ ؟

ورقصت حنجرة رئيف تأففاً ، ومنى تظهر لعينه. غير انه اسرع اليها يقول : بعد غد . بعد غد !

ــ أيُعقد بعد غد لك عليّ ؟

ــ نعم ، نعم !

ــ وهل ابلغت اباك امرنا ؟

ــ حدثت بالواقع ابي وأمي . والاثنان اهابا بي الى العجلة !

فتنفست عالياً. سلمت من الهتيكة، وانقذت شرف ابيها من الزنخ قالت تستدرج رئيفاً الى التوكيد، فيذيع في مسمعها الموعد القريب، وينعش ذابل امانيها : وهل اتفقتم على اليوم والساعة ؟... وكيف؟

فاعلن لا يتلعثم : تأتين اليّ ، واسير واياك الى رجل الدين . فيبارك زواجنا ، دون ان يشهد احد مجلس العقد . وهو مذهبك في الاختطاف . ثم نرجع الى ابي وأمي، فنصارحهما باننا اصبحنا زوجين. وننطلق الى والديك من ينبئهما بما وقع . وعلينا ان نتهيأ لدمدمات التأنيب من الجانبين . الا انه حرد عارض ، لا نلبث بعده ان ننعم بالسكون والهناءة !

ــ ومتى أقبل اليك من نهار بعد غد ؟

Twitter: @alqareah

ـ قبيل الساعة التاسعة ، كي ندرك رجل الدين في المعبد !

فاطمأنت . لن تلمّ بها الكارثة . وشاع في محياها الابتسام .نادر يمين لن يكون في المقهورين.وودت ان يبادلها رئيف مسرتها ، وان يبثها من الشوق الندبان ما لا يزال ممتزجاً بروحها . ولكن رئيفاً اخذ يرهبها ، متبرماً بالاثر العالق بحشاهـا . فاضحت لا تأتي اليه وحدها ، وظله يصحبها. وما يخشى سوى بعضه، كلما رآها . عجباً لمن يخاف من صورته ، وبيده رسم خطوطها !

واستطاعت منى ان تتمالك الى ما بعد غد ، وإن تكن لا تزال تعاني من توتر الاعصاب ما يبيحها لصاهر القلق . وشعرت بانها باتت كزهرة ريّا في لفح الهجير . غير انها ما تنفك تتعلل بوعد لا تحسبه اواناً عبر

وما كان لها ان تتهيأ ليومها ، وكل ما فيها يجهزها له . فالغنيمة لا تعدو اتقاء الملمة الهادرة ، كيفما اتفق الجنوح عنها . ولماذا اجهاد النفس في البذخ والفخفخة ، والحالة الكاسفة تنبو عنها ؟ ... لترتع الاقاويل في مرعاها الخصب ، ولتتهم نادر يمين بالامساك، وما يسخو على ابنته في عرسهـا . ولتتناول السيدة زكية بابشع التهم ، من ممانعة ، الى مناكرة . فالمنشود الخلاص من البلبلة المعولة

وتسأل منى عن رئيف . وتعدّ الساعات والدقائق الفاصلة بينهـا وبين اللحظة الراهنة . وتستوضح خاطرها متى تستريح. أما من حيلة في اختصار الطريق الى المرتجى ؟

Twitter: @alqareah

ولقيت رئيفاً قبيل اليوم المعلن ، فيما العشية تلتحف بجلبابها الاسحم . فهتف بها بحماسة المشوق ،المقيم من حنينه على لظى : غداً، غداً . سأكون في الساعة التاسعة بباب منزلك ، بانتظارك !

فآمنت . ليست ازاء محتال . ونامت على مهد من امان، تترجح على المورق الغضّ . واستفاقت في بلجة الفجر ، لتبثّ البكور التحية ، وتلتمس في نهارها السعد . فاليوم عرسها ، بل خلاصها من لجنها

ولم تخف من سخط ابيها بمقدار خوفها من شماتة أمها . واذا جادت بوسعها ، في منع مشيب نادر يمين عن وصمة الرجس ، فانها لتجود بعمرها في النجاة من سخر أمها بها. ولا بد ان تطحنها زكية، المشتعلة غضباً ، بحقارتها واشتفائها

وارتدت ثيابها . واصلحت هنداها . عرسها تحت مكيال. وما فتئت عيناها تجولان في الساعة . تبأ للوقت كم يجرن في العجلة ، ويسرع في التأني.انه الآن لكالمقعد الكسيح. ودقت الثامنة.وجرت الدقائق ببطء يكاد يستلّ الانفاس . واضحت منى شطرين ، نصفها في الشرفة، والنصف الآخر في الساعة

وها هي ذي التاسعة تدق . بل دقت . فاين رئيف ؟ ...واشتد في القلب الخفوق . وساور الشك الضمير . والتهب الجبين . وعرت الغصة الحنجرة . واكفهر المحيا . لا ، رئيف سيبدو . فلن يكون وغداً . بلى ، انه لهذا الوغد ، ولن يظهر . سرقها وفرّ كاللص.سلبها

Twitter: @alqareah

اغلى الغوالي، وتوارى كالمجرم

لا . قد يكون تأخر لعذر سديد . ولم تطق منى. فوثبت الى الشارع . ومن الشارع هفت الى دار وفيق الاشهب ، تستطلع امر المتقهقر عن موعده. اما يكون في المنزل ؟ ... فوقع في مسمعها صوت كالنعي يقول : رئيف ليس هنا !

فشعرت بان فأساً تفرع رأسها. واستفهمت بصارخ الالم : واين يكون ؟

فادرجها الصوت الناعي في الكفن ، وهو يجيب ببرودة الثلج : غادرنا ، في هذا الصباح ، الى مصر . نراك ونراه بسلام !

Twitter: @alqareah

٧

قهقه ، ايها القدر المغتال ، فقد نلت المراد ، ومـا تنهد الى سوى جارف العطب !

وابتهجي ، ايتها الشماتة الناحرة، على ما يبيح لك اللؤم من مدى. باتت طريدتك وقوداً لنارك !

وليخرس الحق . ولينتحب العفاف على من اضاعته حيث جادت به . فليست منى يمين غير ضحية عانقها الغدر بيد ، وطعنهـا بيد ، فتداعت فريسة بخسة ، تطحنها اضراس البلية بنهم

وتمسكت بالباب ، فخانتها يداها ورجلاها. فاستندت الى الجدار. ولكن الدوار الصادع صعقها . فارتمت في الارض كالخشبة النخرة ، وما سمعت من مقال لاسع ، قاطع ، هدّ حيلها ، وما ينفك يحزّ في اضالعها . لم يكن رئيف الاشهب الا حيث تمثلته أمها ، رصاصة في مقتل !

غير ان سقوطها لم يطل امده . فالخشية من الفضيحة نفحتها بومضات من همة اسعفتها على الوقوف ، والانطلاق على عجل ، غير ملتفتة الى ما خلفها ، وما حولها. وكل ما تتمنى ... ان تتوارى

وبدت فيها آثار الخبل ، وقد ضاعت عن نفسها ، وعن مسيرها .

Twitter: @alqareah

هجرها من وثقت بوفائه . وكيف هجرها ؟ ... بعدما استولى على جميع ما عندها ، وابقى اثر العار في جبهتها ، وفي دمها ، ولطخ به حتى الابد سمعة أسرتها . يا للساقط ، ما امضى كيده ، واخبث معدنه . ما كان غير ثعبان يرتع في مهجتها، وينفث فيها سمه النقيع ليودي بها

ولم تعلم اين تحط. أفي المنزل ؟ ... لا . واين هي من المنزل؟... ليست تدري . أتندفع الى البحر فترتمي في احضانه ؟ ... انه ليفتح لها ذراعيه برحابة ، ويدفنها في لجبه غاسلاً ذلتهـا . أتطرح نفسها تحت دواليب السيارات ، وتتحطم طاوية دنسها، فلا يقف احد على كبوتها ، ام تجرع السم ، فتتلاشى مع شاهد جرمها ؟

وبات الكون لديها مقبرة . وتعاظم صداعها ، فاحست بان صدغيها يوشكان ان يتطايرا. وخافت ان تعود فتسقط الى الارض ، على مرأى من المارة ، فتذيع سقطتها شنارها. ومشت بلصق الجدران، ودموعها تتحفز للانفجار ، فتتحامل على صدها عن التسكاب ، باحثة عن مدرج مأواها، قبل ان يدهمها الاغماء . ولن تجد خيراً من مبيتها لستر غوايتها

وتدفقت دعوات مواحق على من غرّر بها ، فانتزع لآلئها ، واطلقها عاطلة من اثمن حلية تزهو بروعتها . وتضاءلت في عين نفسها، حتى امست ذرارة لا تكاد تنجلي للعين بمنظار . انها دون الحثارة المطروحة في السابلة ، تأنف ان تدوسها الاقدام

وبماذا تجيب اباها اذا سألها اين نبذت شرفه ، وسهر لياليه ؟...

Twitter: @alqareah

وباي ناظر ترنو الى امهـــا ؟ ... وهل تملك من الجرأة ما يعينهـا على الشخوص ببصرها الى هذه الناقة ، الحاقدة ، المتغاضية عنهـــا ، القارئة في الغيب ، كأنه سفر مفتوح بين يديها ؟

ولكن ما هي جنايتها اذا احبت،فآمنت ؟ ...هل لها ان تدري ان الناس يخلون من الاوفياء،الثقات؟...أليس من حقها ان تعقد املها على اخي مودة من المزدلفين اليها ، فلا يلويها ، فيطويهـا ؟ ... اذن اين باتت المخالصة ؟ ... أما يعيش الاحياء في سوى نفق من خداع ؟

وما زالت تخاف من الوقوع قبل بلوغ الدار.فان قواها تتلاشى طلقة اثر طلقة،مشرفة على الاصفاء . واحست بان قدميها لا تحملانها. غير انها بذلت من ضعفها قوة تزجيها الى مثواها ، فارضة، على بقوى الهمة الخائرة ، ولوج المسكن ، والاندثار هناك ، بمعزل عن الفضول الغاشي الابصار

واصبحت بالباب . وقرعته . الا ان امنيتها لم تكتحل بالضياء. فما كاد الخدم يفتحون لهـــا ، حتى تدحرجت في الارض ، كجريح حمل آلامه وكلومه الى مضجعه ، يلقي فيه اثقاله ، فزلت به قدمه فيما يوشك ان يرتمي في سريره ، وينعم ببعض الامان

ومنى يمين ذلك الجريح الكابي ، وفي كبوته حتفه . وشاهدهـا الخدم في سقطتها ، فدبّ اليهم الهلع ، وصرخوا صرخات الروع ، يستكبرون الداهية . واغاروا على مولاتهم يحملونها الى فراشهـا ، صائحين باصوات مولولة : ايتها الآنسة مني ، ايتها الآنسة منى !

Twitter: @alqareah

انقذت القدرة منى . فهي غائبة عن الحس . فالعينان عدا عليهما الغمض . والشفتان التصق بعنف بعضهما ببعض . والجسد في برودة الزمهرير . وفي لمحة دعي النطاسي . ولا بد منه . فانحنى على الجثمان، الممدود في المهد، انحناءة الاسى، وما تخفى عليه تفاهة هذا المجبول من لحم ودم، الحامل بغباوة ماحقة اسم انسان

وجس النبض . وجالت أذنه في الصدر، وفي الحشا . واذا به يقف مبهوتاً، مرتاعاً . أيؤمن بما يتجلى له من أعراض يفسرها العلم بالحبل ؟ ... هذا افتراء شنيع على ابنة نادر يمين

وهو طبيب الاسرة، لا من باح لمنى بسرها . واعاد النظر . فانجلى اليقين. منى اضاعت مكانها في معتصم العفة . فكاد الآسي يفقد رشده، وقد شحب لونه، وجحظت عينه . أيصاب نادر يمين، وهو من خلصانه، بهذه النائبة الصادعة، وما تبقي على شموخ ؟

واسرع في تنشيق منى سوائل الانعاش بيد ترتجف . واقصى عنها الجميع، وهو يكاد يتمزق لفرط الالم . واستيقظت منى لتقع عيناها في عينيه المرعوبتين . فتذكرت فوراً بليتها . واوشكت ان تسترسل في غشيانها . الا انها لقيت في الطبيب الصديق منجداً، وما احوجها في رزيئتهـــا الى المنجدين. وادركت، من نظرته الهالعة اليها، انه وقف على علتها، فامسكت يده براحتيها الاثنتين بلهفة، وقالت بلاعج الانكسار تسأله في نفسها : رحماك، لا تكشف السر !

فتعاظم قطوبه. واستفهم ببالغ التنديد : أأنت منى ؟ ... اعرف

Twitter: @alqareah

منى يمن من مكسر آخر !

فما استطاعت الا ان تهتف ، متنزّة بهوانها : ولكنه خدعني . خدعني.قصف زهرتي ، وابقاني ساقاً بتراء، للذبول في مهب الزوبعة !

ـ من ؟ ... من اللئيم ؟

ولم يكن لها ان تكتم عنه فجيعتها ، وهو من اصفياء ابيها، وممن تلقى اليهم الخفايا ، فيصونها . قالت وكل ما فيهـــا يرتعد : رئيف الاشهب ، رئيف . أتجهل السافل اللص !

لا ، ليس يجهله . غير انه لم يكن يرقب منه ، مع استهتاره ،ان يصيب ابنة صديق ابيه باكرم صفاياها ، ويبيحها للحدثان تلوكها ، وتذوي حشاشتها . أما يدري باي نبلة رماها ، فاصمى طهارتها، وبدد انسها ، وابقاها هدفاً للمتالف تتوعدها في ليلها ونهارها ؟ . .. واي كريم الخلق يستبيح وضاءة ذات منتمى اثيل ، ثم يشيح عنها ،عابثاً بحرمتها ؟ ... قال والوهلة تتفاقم فيه : ولكن رئيفاً ، مهما امعن في الضلة، لا يرتضي لاسرة صديقة هذا الويل الطاسي تتمرغ فيه كرامتها. فاين هو ، وساتولى بنفسي اعادته الى الهدى ؟

فوثبت كلماتها بوثبة دموعها ، معلنة باعوال تتفتت به مطاويها: اين يتسع لك اليه ، وقد توارى ؟ ... وعدني بان انتظره اليوم كي اسير واياه الى رجل الدين ، فيعقد له عليّ . وابطأ عن الموعـــد . فاندفعت الى مبيته اسأل عنه.فقيل لي انه برح بيروت، ووجهه شطر مصر.واني نهتدي اليه فيها، وما درج اليها الا ليتحرر من الانجاز ؟

Twitter: @alqareah

فغاظ الزيفان الدنيء النطاسي الامين ، ورأى ان يتطوع للمبرة .
فليس له ، وهو الوفي" للاسرة المنكوبة ، ان يقف وقفة غير المبالي
من الكارثة . فالمروءة آمرة. قال يخاطب مني بولاء يتدفق رحمة
واسى : دعيني اهتم بشأنك . فابحث عن المتواري . واحدث بامره
اباه ، مجتهداً في اقالة العثرة. ولن اروي لابيك، وامك، ما اتفق لك
من صدمة ،الا اذا اخفقت في ما اعاهدك عليه. واذا سألاني الآن عنك،
قلت انك في وهن اعصاب يفرض بعض الراحة !

فما زالت تستمسك به ، في متلاطم النوائب المغيرة عليها ، كما
يستمسك الغريق بصخرة منتبرة، بخشبة طافية، بحبل مرساة رث" . فما
تنزع الى سوى الافلات من الهلكة ، وقد اخذت تتمثلها وحشاً
قاطع الناب ، يمزق اوصالها ، وينثر زلتها في ادراج الرياح . قالت
وفي مقلتيها يختلج بريق" من امل : افعل. افعل وانتشلني من وهدتي.
ابقاك الله . ابقاك الله !

وتهالكت على تقبيل يديه ، تحترق بذلها . فقال يحبوها الرجاء
بمقدار : سأسخو بجميع جهدي ، الا ان الاتكال على مراحم السماء !

واعلن في الدار ان مني في غؤور عزيمة ، ولكنها بخير . فلتلزم
سريرها ، ولا خوف عليها . ودعا الى الحرص على سكينتها . فلا
يحرجها زائروها . وهفا تواً الى وفيق الاشهب في معرفه . فالرجل
من معارفه ، ومن لا تنبو عنهم الثقة. وليس يوارب في حق، ولا يعين
على منكر

Twitter: @alqareah

ورحب وفيق بصديقه النطاسي ببشاشة طلقة . فان في مجيئه اليه لنهزة سعيدة. وسأل عن الدافع الى المفاجأة ، وكل حاجة لصديقه الطبيب مقضية . فابتسم رجل العلم بوقار يشفُّ عن خطورة . ودنا من السيد الاشهب يقول بصوت رقيق ، الا انه جـادٌّ : الموقف استدعى اندفاعي اليك ، فجئت . كنت في دار صديقنا نادر بيَن . وسمعت فيها حديثاً ، عن السيد رئيف ، لم يرقني . فتوليت نقله اليك كي تنظر فيه ، وانت من اهل الخير . اين ابنك ؟

فاعترى الارتباك وفيقاً . غير انه داواه بقولة تتجـاهل فدح الخطب : رئيف في مصر . فماذا يشيع عنه في مثوى صديقنا نادر؟... هل من شكوى طارئة ؟

فظهر فوراً للطبيب ان رحلة مصر مدبرة . وقـال يوضح ، مع يقينه بكون الامر يستغني عن الايضاح : بين رئيف والآنسة منى بين صلات محكمة من الالفة ، قامت على وعـد متبادل بالزواج . ووثقت الفتاة برسوخ الشاب في العهد، وهو ابن صديق ابيها، فما احترست في العطاء . واتفقا ، لجبر العثرة ، على زواج أقرّا اليوم موعـده ، فتخلف رئيف . وسألت عنه منى في المنزل ، فقيل لها انه في مصر . فهل يرضى رجل الامانة والوفاء ، وفيق الاشهب ، عن هذه الثغرة ، في الخالصة ؟

فهزه ، وقد عرف من اي ناحية يراشبه . غير ان وفيقـاً تظاهر بالجهل، وابدى يتكلف التعجب الناقم : ماذا ؟ ... هل وقع المنكر ،

Twitter: @alqareah

وعاهد رئيف على الزواج ، ثم اخلف ؟ ... صلات الود غير خافية عليّ . اما ان تكون بلغت منتهاها ، فهو ما لم ينكشف لي سره . كيف حاد ابني عن الميثاق ، وما اعرفه ذلك الجبان ؟

فقال الطبيب برصانة تفرض سلطانها : ليس لي ان اسيء الظن بنبل روح صديقي ، والد رئيف. فكل ما لاح لي منه دلني على اعتصام بالاباء . واني لمؤمن بحرصه على احدوثة صفيّه نادر يمين ، فلا يتباطأ عن سد فلولها . نادر لم يقف ، حتى الساعة ، على نبإ المحنة . ولا امرأته درت بالغاشية . فالامر بيني وبين منى. وما اراك ، وانت تأذن به ، تجمد حياله مكتوف اليدين !

فندي جبينه بالعرق . واستوضح باضطراب الخزيان : وماذا عليّ ، يا صديقي ؟

وتكلمت فيه نقاوة سريرته . فقال الطبيب برزانته الآمرة : عليك ان تجيء بابنك وتزوّجه الفتاة ، قبل ذيوع الفادحة . وابنة نادر يمين ليست من الفضالات . فان لها مقام ابيها ، وثروته ، فضلاً عن وسامتها . ثم ان الشرف يهيب بنا جميعاً الى العجلة في رتق الفتق . والشرف ، عند وفيق الاشهب ، حرز مصون !

فألقى وفيق رأسه الى ساعده بحركة جازعة ، سادها الارتباك والوهن . مما استدل به الطبيب ، النافذ العين ، على كون الرجل مغلوباً على امره . فلا يرتضي الجائحة . الا انه مكره على السكوت عنها . وزفر وفيق الاشهب، وفي زفرته تجلى كلاله . فاستنبأ الطبيب،

Twitter: @alqareah

وهو يلمس العسر في طلاقة المهزة : أتكون حيال عقبة تمسك بك عن اصلاح الفاسد ، يا وفيق ؟... ولكن الانفة تأبى على الحواجز جميعاً ان تصدف بها عن طريق الفضل. فكن عند رفعة سجاياك، يا صديقي!

فامعن في خلخلته . ليس يطيق . فالملمة لم تندّ عنه ، وقد اطلعه ابنه على جليتها. فهاله الزيغان . ودعا ، على عجل ، الى تقويم الاود. غير ان امرأته مانعت بعناد اغلف . وامرأته سيدته . فصرخت به تستفظع سعيه : ماذا تقول ؟ ... أتحثه على الزواج بهـا ؟ ... ولكنك تدفعه الى الموت. فهل تجهل ابنة من هي، وأمها تتيه في مزاحف الفحش ، ولن تكون خيراً من أمها ؟ ... لو كانت ذات حصانة ، لتمالكت عن الاستسلام الى طيشها . ألا امنع عنا كارثة تهدمنا . ولينطلق رئيف الى مصر يغيب فيها ، ريثما تتبدد السحابة العارضة !

فاجهد جهده في معالنتها بان الحمية تستدعي الحؤول دون الفاجعة. وليس للثلمة ان تتسع، فيعمى بها نادر عين ، الصديق الندب . فان للمروءة حقها على الابرار. ولكنه يبحث عن النور في مكتنز الظلمة. امرأته لا تسكن الى منطق الحلم . رئيف ، ابنها ، لن يتزوج منى عين ، وان يكن ثلم فيها مكمن العفة . وصالت صولتها العاتية . وحملت ابنها ، بطاغي العنف ، على الوثوب الى مصر . فعلى العاثرة ان تنهض بنفسها من كبوتها ، ولم تكن مضطرة الى الانحدار في المزالق الخطرة . وما هي بالقاصرة . ولا تجهل ما يرصدها من مهلكة

ولم يحتمل وفيق هذا المراء . فضرب رأسه بيديه ارتماضاً ، ناعياً الى

Twitter: @alqareah

روحه جلالة البرّ في الصداقة . غير ان امرأته ، المتمادية في القسوة ، لم تبدر ولم تسمع . فجهزت ابنها للفرار . وقادته بنفسهـا الى المرفإ يبحر منه الى بلد الامان . والاخلاص ان يلفظ الانفاس

ولم يقوَ الزوج على المغالبة . فهو ازاء امرأة لا تُخضد لها شوكة . واضطر الى بلوغ مصرفه دامي الحشاشة ، ذليل اللفتة والخطوة . ماذا له ان يقول لمن يقاضونه الى الكرامة ؟

وها هوذا تجاه صديقه الطبيب يضيع عن نفسه . انه لعاجز عن تضميد كلوم النقاوة . وامسك بخناقه الخجل ، لا يبيح له النطق ، كأنه الابكم . وتجسمت للنطاسي المشقة الضاربة على رفيق الاشهب عرامها . انه لفي ازمة نفس تفسد عليه شممه ، وما يهون عسيرها . فاستجلى الطبيب الصديق : أحس بان الشدة تدهمك ، يا رفيق . فاوضح ما يتقاذفك من حيرة . ما كنت ارقب ان تفاجئني فيك الخيبة . فهل صارحك ابنك بانه لن يعود الى ضحيته ، حتى اذا قامت عليه القيامة ؟

فلوى رأسه ، كالخاطئ اليائس من المغفرة . وقال بصوت يحاذر الانطلاق ، مخافة البوح بالنذالة : رئيف ليس الحائل دون محو الزلة ، يا صديقي . فالحاجز عن التكفير أمه الجافية القولة . فما تسامح أم منى في موبقاتها ، وترى في الابنة مثال الام المتهتكة !

فوجم الطبيب حيال النفثة الموجعة . وتراءى له رفيق الاشهب طفلاً بريئاً ، يتألم لخرق حرمة الخادنة ، ولا يقوى على صونهـا من

Twitter: @alqareah

العبث العادي عليها . وانتفضت ، في ذهنه ، جهالة السيدة زكية الشاردة ، في دروب الفكر ، بلا حذر ، ولا ملالة . فقصرت حجته ازاء العماية المشتترة في مخازيها. فكم تجني الامهات على ثمرات الاحشاء. يلدنها ، وما يرفقن بسمعتها وبمصيرها. كأن الاولاد يرثوا من صلات الارحام . وإن هم الا فروع الشجرة ، وفي عروقهم دمها. فان تكن مفطورة على الوضاءة ، عاشوا بنصاعتها ، والا حملوا اوزارها ، وشاطروها ، على رغمهم، عبء التبعة

ولكن النطاسي، مع شعوره بالضعف يستولي على بيانه ، ما جاء الا لينصر حقاً يكسفه العدوان ، مهما تعاونت على بطلانه العورات. فقال يذكر الاخوّة ، ولم يبق سواها من عروة سليمة يعتصم بها : أهكذا نعامل نادر بين ، يا وفيق ؟

الا ان الكلال لم ينفض منه استرخاءه . فالقوة القاهرة فجعته بفضالات العزيمة . وجلّ ما استطاع وفيق الاشهب ان يلتفت الى الطبيب ، ويقول بوهن ، واستعطاف ، وخجل من المماحضة المغبونة فيه : عفواً عني ، يا صديقي . افلتت مني الهمة . لنادر ان يعتب عليّ ، وليس لي ، في الازمة الناشبة ، ان انكص عن المودة . ولكني دون الكفاح عن الطهارة المسلوبة. ولم يبق عليك الا ان تلجأ ، في احقاق المبرة ، الى أم رئيف. فالقول الفصل في شفتيها . وهي سيدتنا جميعاً !

وكشف ، بخنوع ، عن خذلانه . انه الاشلّ ، والقيود هزمت فيه الطلاقة . وشخص للطبيب انه يراه حشرة تغور في قشرة عفنة .

Twitter: @alqareah

على ان الاغاثة ما ارتضت الانكفاء . فان تكن أم رئيف تلك المستأثرة بالعنان ، فلماذا لا يهفو النطاسي اليها في التماس الرحمة ؟

ولكن أتلين أم رئيف ؟ ... وسمع منهـــا الطبيب ما كفاه . للاموات ان يُنشروا ، وليس لابنها ان يتزوج فتاة ساقطة ، ورثت الفحش عن أمهـــا الساقطة . وانطلقت النعوت هادرة ، لا تنثني . فاستجار الطبيب بربه مما يسقط اليه من قذيعة . وخلع عنه مهمة لم يفلح في انجازها عرف ، ولا سماح

الا ان التخلي عن المُدرجة في كفن نقاوتها ما انفك يروعه . فمن الفضاضة ان يبصر الويل يغزو الارواح ، وان يتقاعد عن درئه . ومشى الى نادر يمين . فقد يستطيع المنكوب ما يعيا عنه الشفيع . وللضحية من مرآها البائس ، ومقالها الدامع ، حوافز الى الرأفة بها ، وسكب البلسم على قروحها

على ان ما ارتبك فيه رسول الانقاذ ، وقوفه في حضرة الطعين ، الغافل عن بليته ، ليجاهره بان في جبهته وصمة تقوّض مناعته ، وما اجترح المسكين هفوة . انه لموقف الناعي الدميم . أيقدم حامل الطيب على ابلاغ الشؤم القاصم ، وما ترتعش له حنجرة ، ولا تنقلب سحنة ؟

وبلع ريقه . أيسكت ؟ ... ان السكوت لشر الاثم . وليس للزمن ان ينقضي على الداهية ، فيبالغ في جسامتها . واستجمع رجل الخير عزمه . ودخل على نادر يمين بيثه التحية بوجه يأخذ لنفسه من

Twitter: @alqareah

وما كان نادر يبن الا الحدين الانيس . فهتف للطبيب هتاف الاحباب : مرحباً ، مرحباً بالصديق الاوفى !

ونهض يصافحه ببليغ حفاوة . فاشفق عليه النطاسي من وقع ما سيعالنه ،وسيغيض به البشر الفائر في الوجه المنبسط الاسارير. وجلس رجل العلم وهو لا يدري كيف يجلس ، ولا كيف ينظر ، ولا ماذا يقول . وما انجلت عنه البسمة المتبكة. وكادت تكون بلهاء، وليست في موضعها . وشعر باضطراره الى النطق ، وما بدا ليضيع الوقت في الباطل . قال يزن كلماته ، كأنه بائع عقاقير : كنت في عيادة الآنسة منى . وقد لاح لي أنها في وعكة ...

فقاطعه نادر بقلق : أتكون منى مريضة ؟

فاذاع الآسي الطمأنينة : ليس مرضها بما يدعو الى الجزع ، مع حاجتها الى بعض العناية !

ــ وما بها ؟

وارهف اذنيه لسماع الخبر . فقال النطاسي مجتهداً في الابانة بحكمة : في ظني انها تشكو الفراق . رئيف نأى عنها !

فارتجف الاب . واستفهم بحدة : هل نأى قاطعاً مودتها ؟

فقلب الطبيب شفتيه متجاهلاً . واجاب متدرجاً في الايضاح : اذا اخذنا باقوال منى ، فلن يرجع . اما اذا عالجت الحالة بدرايتك ، فربما كان هناك امل بالعودة ، وقد امست ضرورة !

Twitter: @alqareah

ـ أما نستغني عن رئيف اذا هجر ؟

واستهان بهذا المهدد بالقطيعة . أما تهتدي منى الى مثله ، وهي في بحبوحة الفتوّة ، والجاه ، والثروة ؟ ... فايقن الطبيب انه بلغ من بيانه المرحلة الحاسمة . عليه ان يجلو الكربة ، ويغالب ما في لسانه من نضوب وعيّ . قال يبذل وسعه في التخفيف من مضض النازلة : رئيف لم ينصرف عن منى صفر اليدين . فغادرها قابضاً على كرائمها !

ـ هل استأثر بقلبها ، فحزنت على انسلاخه منها ؟

ـ استأثر بما هو اوزن من القلب ، يا صديقي !

فنخعه ، وقد ارتعشت للقولة عظامه كلها . هل سطا الذئب على النعجة ، مسرفاً في التضم ؟ ... وشاء نادر ان يتظاهر ببلادة الذهن ، فلا يدرك مطاوي الالفاظ ، لئلا يذهب بعيداً في التأويل ، فيجاوز المرمى . على انه استجلى برهبة ، وهو يخشى على قلبه من التبديد هبوات : وما اوزن من القلب ، يا صاحبي ؟

ـ الشرف ، يا نادر ، الشرف . ابنتك اضاعت حليتها !

فوثب عن مقعده ، كأن غرزت في جنبه شباة عترب . وعوى والمصيبة تفجأه بغلوائها : هل بدد عفافها ؟

ـ نعم ، نعم . وهي حامل ، يا صديقي !

واهوى عليه بنفسه يعانقه ليؤاسيه على الشدة الماصرة . وبكيا معاً متماسكين في زلزلة الغدر الجارفة ، المستأصلة . غير ان زعقات التهديد لم تلبث ان تطايرت تنذر بالابادة . فانسلّ نادر عين من صديقه

Twitter: @alqareah

الطبيب ليصيح بفم ملآن : دم" بدم . لالحقن" بالمجرم حتى الآخرة واخلعن" كبده ، او يتدبر فظاعته بما يقر" الشرف في حرزه ، ويسلم الصيت من الشين !

وهاج هياج النمر في الخطر الرهيف . ان لم ينقذ آل الاشهب، من الدنس ، حمية أذلوا ناصيتها ، فليس لهم الا ان يتوسدوا اعماق القبور. بيده سيرديهم نذلاً تلو نذل. وان لم تسعفه يمينه على التنكيل، اشتري بماله من يوردهم المنايا ، وثروته فدى إبائه الطريح

ومال الى اقتحام مصرف وفيق الاشهب ، باحثاً ، في صندوقه ، عن مسدس أعدّه للصروف . غير ان الطبيب ، ولم يزل يملك راجح الصواب، امسكه بيدين قاسيتين، صارخاً به : لا يذهبن" عنك رشدك. فاذا افلت منك عنانك ، فاتك الهدف. كل ما عليك ان تنزع بوفيق الاشهب الى اصلاح ما افسد ابنه . وهو ما لست تناله بالهوس ، بل بالحزم . وما احسب وفيقاً ، حين يراك ، يتنكر لمقدور الالفة ، ولصوت الضمير الحي!

واكرهه على التمالك . فما لهؤلاء الماثلين المصرف ان تقع في مسامعهم دمدمات الغاشية ، فتجلجل الفضيحة، ويتسع الخرق. ولكن نادراً يشتعل بلمته، وقد عزت عليه السيطرة على فورانه. وغزا مصرف وفيق الاشهب كالقدر المجتاح . ولمس وفيق الخطر المحدق به ، وهو يشاهد نادراً يهب عليه عاصفة نزقة، فنهض اليه في وثبة خاطفة يعرض عليه صدره . لينتقم منه بكسر اضلاعه ، ان يكن في القضاء عليه ما

Twitter: @alqareah

يعيد الى النصاعة لألاءها . فلن يتوانى في التكفير ، بروحه ، عن سفال ابنه. فتلاشت في نادر يمين صولة الحدة ، وهو يتبين، في وفيق، رهافة الالم المتعالي عن المصانعة .وطغت الشكوى الملتاعة على حاطم الوعيد ، فهتف بمرارة المصاب باكرم غواليه : ألم يبق عندكم مكان للامانة ، يا وفيق ؟ ... أهذا هو نصيب نادر يمين من حرصكم على جلال الاخوّة ؟ ... هدمتم موئل عزتي . فاين الجاني على العفة ؟ ... ان لم تتداركوا الفجيعة بما يوطد الانفة حرمتها ، على فسيح مداها ، فلا ترقبوا ما تطمئن اليه ارواحكم الكافرة بالحفاظ !

فاعلن وفيق بصدق في الحس وفي الاداء : بمهجتي افدي صديقي. فما نزل به تناولني في صميمي. رئيف ، ابني ، لص غادر . وددت لو سالت روحه من مستقرها ، والنبأ يغشى سمعي، ويضرب على بصري غشاوة من نار . وحفزته الى الاسراع في درء النائبة عن العفاف المنتهك ، ولكن أمه وقفت دون المفروض . أمه ، يا صديقي. فهلمّ اليها ، وقد تقوى فيها على تليين الجماح !

ــ وهل ترضى أمه ان يلطخ سمعتنا بالعار ، يا وفيق ؟ ... أليس لها ، من سمو روحها، رادع عن نحر النصاعة ؟ ... ولكني لن اسكت عن تدنيس عرضي . اين العابثة بالوفاء اقاضيها الى نفسها ؟

وما تهاون في الاندفاع الى هذه الناشرة على المصونات الامتهان. وصرخ بها بلهبة مما يتوقد فيه من حنق ، ومن مضض : أتجيز لك شمائلك ان تبصري الطهارة في اقسى محنتها ، يا أم رئيف ، دون ان

Twitter: @alqareah

تبادري الى الهون ؟ ... ما اعرفك ترتضين الاعوجاج ، فما بك تسلكين طريقه ؟ ... ابنك جنى علينا ، وانا لندعوك الى تعويضنا مما فجعنا به . والا فالحساب عسير . ان شرفاً سلبتموه، عليكم ان تعيدوه الى حرزه . ولا ترقبوا مني ، في دفع الضيم ، هوادة !

فاخذت تتنصل . لا سطوة لها على ابنها . وانها لتجهل مقره . لقد هالها اقدامه على المنكر ، ولكنه لا يطيعها في ما تهيب به اليه .

فصرخ بها نادر يمين باستهانة متوترة : لا تداحكي . بنفسك اطلقته الى مصر ، وعليك ان تعيديه بنفسك لاصلاح ما اجترح . والا فسوف تندمين . فالاحجام عن انقاذ الكرامة يكلفكم ما يتخطى كل ظن . وقد تضطرين فيه الى البكاء الطويل . نادر يمين لا يسامح في الاجتراء على عرضه . فمن اقدم على الهفوة مكره على جبر وهنها !

فلم تطق ما يتوعدها به من تنكيل . وجبهته بنفرة تعاند في الاستسلام الى الشهوة ، متمتمة بغيظ : ولكنك تتكلم كالديان .

فهل تراني مرتكبة الاثم ؟ ... ربئيف ما جنى وحده . فان لابنتك يداً في الجريمة . والتبعة تطاولها بما يرجح ما يصيب ابننا منها . فالفتاة راشدة . وما يغيب عنها عاقبة الجهالة . فلماذا لم تمنع عن ابننا ما استحل من معصية ؟

فاصابت مقاتله ، ناسفة حججه . ان يكن ابنها ذلك الفاسد الطوية ، فلماذا جارته ،ى في الفساد ، ولم تنقذ نفسها من كبوة ارادها عليها ؟ ... فهمدت فارة البركان . وبات التنديد استعطافاً .

Twitter: @alqareah

هذه المتقاعدة عن الانصاف لم تعدم قوة الاقناع على كونها في موطن المدى. فالتبعة لا تساور رئيفاً، وقد اجرم، بمقدار ما تطاول من شايعه على الاجرام

وجحظت عينا نادر يمين ذهولاً. وتلاشى فيه صارخ النقمة بهوان موقفه. فاستجلى بارتياع: أيكون رئيف بريئاً مما وصمنا به من ذلة، والذنب ذنب ابنتنا دون سواها ؟... ألا ان الحق لا ينجلي لبصيرتك، يا أم رئيف ؟.. واين الصداقة والاباء ؟... أينهش بعضنا بعضاً كالضواري ؟... هـــذه ابنتي، وحيدتي. فهل يطيعكم الوفاء في اعتصار نداوتها، ونبذها كالنتن ؟... اين المروءة ؟... اين الاخلاص لمحبكم نادر يمين، والحدب عليه في كارثة السمعة ؟... أما ترقى منى الى مستوى رئيف، فيهوي عن شأوه في العقد له عليها ؟

فجمدت بفظاظة حياله، كأنها مقدودة من صخرة صماء. هلا سدد نظرة الى صدر مأواه، وادرك ما ينتاب عرضه من مشوّهات؟... بليته امرأته، وقد غاصت في حمإ الرذيلة، فنغّصت على الاسرة وضاءة القميص. وطبعت ابنتها على غرارهـــا، ففسد الملح، وانى يُستلذّ الطعام ؟

وابتلت شؤون نادر يمين. فكاد يبكي حرقة ويأساً، وامرأة وفيق الاشهب ما تبرح جامدة ازاءه كالصنم. لا حركة، ولا نأمة. الا انها صنم شامت بعابديه المنكوبين، وما يرقّ لهم في ضراعة. فزعق نادر وهو يحترق، ولا يجد من يطفيء ناره، حتى ولا من يبلّ

Twitter: @alqareah

ريقه : ألا تكلمي : اينتها المتنائية عنا في شدتنا ، الراضية عن نزف دمنا . هل يشوقك ان تمضي في ذبحنا ، وبيدك خلاصنا من مصابنا ؟

فعادت تتنصل: اي شأن لي في ما وقع ؟ ... هل للأم ان ترضى عن زلة ابنها واحتجابه عنها ؟

ــ ولكن انت سقته الى مصر . انت علة استفحال النكبة . ولو صفت طويتك لتم الزواج ، وسلمنا من شر الموبقة . الا انك تأبين حسم الملمة . وزوجك يشهد عليك في مكابرتك . اوضح لها ، يا وفيق ، انها تكايدنا !

فاطلقت في زوجها عيناً لهوماً . هل باح بالمكنون ؟ ... أما يؤتمن على سر يصون مكانة البيت ؟ ... وتكلم وفيق ، فقال ينصر خدينه : لن ندع للاكدار سبيلاً الى قهرك ، يا صديقي . فستكون راضياً عنا . أم رئيف ستكتب الى ابنها كي يرجع ، ويحول دون استشاد الداهية . فطب قلباً ، ان ما دهمك ليفجعنا بسكينتنا وجاهنا !

فنبرت امرأته بحدة ، ومـا اطمأنت الى سماحه : ولكن من يدري اين اضحى رئيف ؟

فدمدم عليها نادر بين ، وهو يموج في بلباله: أرأيت انك لا تقيمين على صفاء نية ؟ ... ما هي جنايتنا عليك كي تستطيلي في الانتقام منا ؟

فهتف وفيق : سنصلح المعتلّ ، يا نادر ، فصبراً . على من جرح ان يأسو . وستكون عند حسن ظنك بنا !

فانتفضت أم رئيف امتعاضاً ، وبربرت : ولكن انى نهتدي الى

Twitter: @alqareah

مقر ابننا ؟

فصاح زوجها ، وقد شاء ان يكون سيد منزله لبعض هنيهة : سنهتدي اليه ، ولن يضيع عنا. ان كرامة استباحها تفرض عليه لأم صدعها . فليس للشر ان يلقى جلاديه فينا !

فعانقه نادر يئن اكباراً لنبل الشيمة . من هذه التربة الكريمة يريد اخوانه . واستفهم بلجاجة : ومتى تكتبون اليه ؟

— على الفور ، يا نادر ،على الفور !

— وهل تضمن عودته ؟

— اني لمرتهن فيها بحياتي . فاذا لم امنع العائلة من التمادي ، فلا عليك وانت تريق دمي !

فابدى نادر بارتياح للمنّة : بورك فيك . فالولاء ، بين حناياك ، لم تيبس جذوره . واني لارقب عاجل الانجاز . وليس لنا ان نعيش في بحران دائم . أليس كذلك ، يا أم رئيف ؟

وايقن ان لا غنية له عن مواءمة هذه الصلبة الطبع ، النافرة عن تزويج ابنها من وهبت له ، قبل الاوان ، فرائدها . فقالت امرأة وفيق الاشهب بصوت لا يوحي بجزيل الثقة : سنرى ، سنرى !

فهتف بها هتاف السائل الملحف : بلغت السكين العظم . وعلينا ان نتعاون على رأب الخلل . منى ابنتك ، يا أم رئيف ، ومصيرها في عنقك . فلا تطرحيها ريشة في فوهة الانواء !

فنفضت منها هذه الرقعة البالية في ثوب امومتها. ونبرت — وما

Twitter: @alqareah

كان يأتيها الكلام الا نبراً — بصهر اللوم : ابقاها الله لابيها وأمها. فليس لنا ان نحرمها طيبها، وهي الزهرة الوحيدة في الاناء. وسنبذل في الحرص عليها وسعنا. والاتكال على الله!

وبثته بعضاً من طمأنينة لتصرفه عنها. وليس للمحترق ان يكف عن اللجاجة في السؤال. وما كاد ينأى حتى انبرت لزوجها تصرخ به : أمجنون انت، فتزف الى ابنك فتاة لا تملك زينتها ؟ ... لتبق في مذخور ابيها ، وعليه دركها . وما للؤلؤة عطلت من سناها ان ترتع في اعناقنا . رئيف لن يعود . وانا سيدة البيت . وليس لقدم ، لا اريدها ، ان تمتد الى بابنا . فلا تعاهد على ما ينوء به وسعك . واعرف حدك فلا تجاوز مداه!

فعارضها في مذهبها الكفور . أيجني ابنه على العفاف ، ولا يسخو بالدية المقدورة على القاتل؟ ... ألا ابن جبر العثار ؟ ... ولقد صاح بجفاء : نحن اسأنا ، وعلينا ان نمحو الاساءة بايدينا . وليس من الشرف ان ندنس الثوب النقي ، ولا نغسله . نادر يعين من اكرم الاخوان علينا . ومن الغباوة ان نطعنه في شممه ، ثم نتقاعد عن تضميد الجراح!

فزعقت بامتهان ، لا تبالي الكلام ولا قائله : ضمدها وحدك . نادر صديقك ، لا صديقنا . نحن لا نمد يداً الى من سقطت برضاها ، والالتواء طبعٌ فيها. فتنهد اليه بجانب كل من راقها ، سواء كان ابننا، او غريباً عنا . ولسنا مضطرين الى ابراء من لا تشفى من دائها

Twitter: @alqareah

العضال !

ـ أما تختلج في صدرك انتفاضة من رحمة ؟ ... أما تكرمين الطهارة المرضوضة ؟ ... أتكون من حجر ؟

فمضت في استخفافها به تقول : على الطهارة ان تكرم نفسها . فلا تتعرض للرضوض. وانى تتظاهر باللهفة والرأفة حيث ترقبك الكبوة؟... دخول ابنة زكية دارنا ، شرٌ علينا طويل الذيول . فلنتقّ الوبال . اذا سألك نادر عن ابنك ، فأجب انك تجهل مقره ، مع بليغ الوكد في الاهتداء اليه . ولن يضيق بزكية ان تقع ، في عديد خلانها ، على من يتزوج ابنتها . فالارجاس يتراكم بعضها على بعض !

واخرست فيه كل نبسة . فالتسامح ويل على صاحبه . والمحسن عدو نفسه . فهاله اغضابها ، وما يخفى عليه امد غيظها الجراف . فعقل لسانه ، وفي قلبه روع . الضحية اوشك دمها ان يصفى ، وليس من يلتفت اليها ، فينقذها من الويل القهّار . فهل ماتت الرأفة في الاكباد ؟

واحس بمبلغ الكيد في البشر . ورهب جناية الامهات الضعيفات على ثمار احشائهن . يرتكبن الاثم ، ويؤدين بدله سعادة من ولدن للدعة والرخاء

وتردد، عفواً، بين حوانيه، هتاف الابادة : ألا فلتمحق الذراري. وما في جفاف الارحام خسران !

Twitter: @alqareah

٨

نادر بين لعنةٌ لفظها القدر،فاطلقها مسخاً راعباً، يقفز الى منزله مكدود الطلعة ، متطاير النهية ، لا يحس انه يطأ ارضاً . وما ابصر احداً من هؤلاء المالئين السبل ، ولم يكن يتبين حتى طريقه ، لفرط ما اخذت النائبة من حواسه جميعاً، فزاغت به عن محور البشر

الا ان المارة ابصروه ، فتفادوا من الوقوف في وجهه ، وقد حامت عليه انظارهم برهبة.وما ارتابوا بكون هذا الواثب في المجهول خانه رشده ، فتاه عن نفسه ، ضارباً في عماه الشاحط الامد

ولكن نادراً ، مع اشتعاله بجائحته ، ومسيره في الارض قذيفة نبا عنها الهدى ، لم يضل عن مثواه . فاقتحمه ناراً و كبريتاً ، صارخاً من شدقين يرغيان : اين منى ؟ ... أتكون في حجرتها ؟

فذعر الخدم وهم يرونه ويسمعونه . اين سيدهم من هذا البارز الناب والمخلب، المضطرب البصيرة ؟ ... وتباعدوا عنه كأنه ينذرهم بالهلكة ، مرددين بارتعاد : نعم . نعم !

فاغار على الباب اعصاراً مدمراً ، والخدم ينظرون اليه بارتياعهم الخالع ، ويسائلون انفسهم هل جن سيدهم ، وما يدرون الحافز الى سخطه الهدّام

Twitter: @alqareah

وانقضّ نادر فوراً على ابنته ، لا يجلو ولا يستجلي . وقبض باصابعه العشر على عنقها يروم خنقهـــا ، مزمجراً : يا عائبة ، أيكون شرفنا موطئاً لنعليك ؟

ونسي انها ابنته ،وحيدته. فما التفت فيها الى سوى انفته المتشحطة، في مطارح الخسة ،بدمها . ولم تقاوم منى ، بل استسلمت الى القبضتين المعنتين في ضغط خناقها . وما اشتهت ، لفرط يأسها ومذلتهـا ، الا الخلاص من دنياها . واي شأن لحياة غرب عنها نعيمهـا ، ولم يبق منها غير الضيم والاسى ؟

ولكن رجل الخير كان هناك . فالطبيب، وقد شاهد نادر عين يندفع ووفيقاً الاشهب ، الى أم رئيف ، يتشفعانها في منى ، اقبل على الفتاة يسرد لها ما بلغ من جهده الواعد،المثيب . وامسك بالوالد الحانق يقصيه ، بطاغي الوكد، عن ابنته المغمضة العينين بارتياح الى حتفها، منقذها الاوحد من خيبتها ومن عارها . فصاح نادر عين بالطبيب ، وهو يدفعه عنه بجاهد العنف : ألا دعني اقصف عودها. اهانت مشيبي بفحشها . الويل للآباء من الاولاد إن تكن فلذات اكبادنا من هذا الحمأ !

فنهنه الطبيب عن ايذاء الكابية، هاتفاً به : اراك تميل الى ذيوع البلية ؟ ... أبمثل هذه الضجة تخمد الفضيحة ؟ ... ماذا فعلتَ هناك، هناك ؟

فما انفك يجلجل : من سفكت كرامتي فاني لسافك دمها . ما

Twitter: @alqareah

نجلتها كي تشين عرضي بخبائثها . فلا تمنع عني الانتقام منهـا الطبيب الاحدوثة . انك لتلصق بي عاراً لا يمحى وانت تصدني عن اداتهـا بفجورها !

غير ان اليدين الصلبتين وقفتا به عن شهوته . فغلى في هياجه ، ولكن دون ان يتسع له الى ارواء نقمته. واستطاعت منى ان تجمجم، مع ضيق انفاسهـا : افسح له في قتلي ، يا سيدي الطبيب . فالمفوة تفرض الردى !

فتصامّ النطاسي عنها ، وقد عـاد الى استيضاح نادر بعين : ماذا قالت أم رئيف ؟ ... هل اعتدلت في عنادها ؟

فابان وما يزال يلتهب : لا ادري . فهي بين بين . وليس في ما اسمعتني مستند من ثقة !

وامتلأت الدار ضجيجاً ارهف له جميع من فيها الآذان . وسمعت السيدة زكية ، وكانت في الشقة المحبوسة عليها ، فانطلقت تعدو الى مصدر العياط ، وخاطرها ينبئها بان حدثاً جللاً وقع . وانتهت الى مسمعها سُقاطات من الصيحة المحتدمة ، فتجلى لها مدار الجلبة . الذئب اغار على النعجة

وساقها فضولها حثيثاً الى مرقد ابنتها . وشاهدها زوجهـا فهفا اليها يقول بمستطير الحرقة : عفوك عنا، يا زكية . جامة مصيبتنا في اعراضنا عن نصحك . فدهمنا ما بالغت في تحذيرنا منه . رئيف قضى لبانته ، وتوارى . انت من الانبياء في رجمك بالغيب ، وقد صحّ

Twitter: @alqareah

تخمينك المبين !

وألقى رأسه الى كتفها ، وفاضت شؤونه بذوب شجونه .
فاستنبأت السيدة زكية بذعر : هل قضي الامر ؟

ـ قضي ، يا رفيقة عمري . قضي ، وغرقنا في العار !

ـ ووالد رئيف ، وأمه ، ماذا قالا ؟ ... أما حفلا بالكارثة ، وعاهدا على البذل في دفع بشاعتها ؟

فماد في دامغ التياعه ، وابان : وفيق بايعني بروحه على ترويض ابنه . اما الام فما تفتأ توارب . وهي من سلخت ابنها منا تبعده الى مصر . آه ، يا حبيبتي ، كم أحس بخجلي منك . فهل يتسع حنانك للصفح عنا ؟

واخفت منى ، لبليغ استحيائها ، وجهها في وسادتها ، كيلا تبصر أمها . فراع السيدة زكية ان تصدق نبوءتها ، فيسلب الماكر عفاف وحيدتها ويمعن في الهرب . وصاحت وما تزال أماً : أيرمينا آل الاشهب بهذه الداهية المقوّضة دون ان يكلفوا انفسهم رتق فتوقها ؟ ... اذن ضاع الولاء ، وماتت الامانة . من يرد شرفنا الينا وقد استباحوه كالاوغاد ؟

فلبجّ نادر يمين في اعواله . واعلن بنواح الخلوع الجاش : ولكن الامر اعظم مما يخيل اليك ، يا زكية . ابنتنا حامل . منى حامل . يا للويل !... والتفتت اليّ امرأة وفيق الاشهب تقول بصلف وشماتة : « ليست التبعة على ابننا ، بل على من اباحت له نفسها ، وما هي بالقاصرة

Twitter: @alqareah

عن الرشد ! » . فطمست بقولتها الصافعة كل نقمة تتأجج، بين حناياي، على الغادرين بكرامتنا . وجعلتني انقم على نفسي ، وقد ارتضيت امثال هؤلاء الاخلاط اخداناً . انها لبلية طاحنة ، يا زكية ، وما تستبقي فضالة من إيماننا !

فجارته في فورة الولولة ، زاعقة بوجل ارتعدت له عظامها : هل بلغت الملة هذا المدى ؟... ويح الانذال، ماذا تركوا لاعدائنا؟... أيطعنوننا بمثل هذا الكيد القاصف ، ولا تمسكهم رهبة ، ولا يرتعش لهم ضمير ؟ ... انا منطلقة بنفسي اليهم ، فان لم يعوضونا مما اجترأوا به علينا ، فلنبطش بهم فدى عرضنا !

ووثبت الى الباب كانطلاقة من نار . غير ان الطبيب حال دون مبتغاها ، هاتفاً بها : لا تبرحي مكانك ، ايتها السيدة زكية . زوجك تكلم بما يكفي . وآل الاشهب وعدوا ، فلننتظر . مسيرك اليهم يؤجج الفضيحة . وعلينا ان نخفيها . فليس لاحد ان يعلم ان الشر طغى، فعدا كل امد !

واكرهها على البقاء . فهل تنسى ما يعروها من كلال في نصرة الفضيلة،وصيتها تغشاه الفلول ؟ ... ستكتفي امرأة وفيق الاشهب بان تعيّرها خفتها ، لتقتل فيها حماستها ، وتخفت صوتها

وزوجها نفسه ابى عليها الشخوص، الى غرمائه ، في انقاذ الانفة المحتضرة . وانتشر في الدار النحيب المحموم . فالجباه العالية انخفضت، وتحطم زهوها . ولم يبق ، في النجدة ، غير امل نحيل، يغور في وهدة

Twitter: @alqareah

اليأس ، ثم يلوح كزورق انخلع صاريه ، وانطوى شراعه ، فتقاذفه الموج العاتي ، يرفعه ويهوي به . فتكاد اللجج تبتلعه . والغرق يرجح فيه النجاة

وفكرت السيدة زكية في خليل حنون . لو رضي به زوجها وابنتها صهراً للاسرة ، لنجا البيت من القلق المستشري ، ومن الذل المهين . غير انها لم تشمت ، والطعنة اصابتها في المورق من عجبها ، ولوت فيها عزتها ، كما لوتها في زوجها ووحيدتها . فهم في البلاء سواء. الا انها تململت من العبث برأيها المادي ، ولم تؤخذ فيه بخدعة السراب وشعر الاب والابنة بكونها تعلوهما ادراكاً . وظهرا حيالها خانعين ، اعسرين ، لا يطيقان التحديق اليها . فما كان للويل ان يفجأهما ، فيعانيا فتكته ، لو اصاخا الى حكمتها ، مهما شابها من غلو الاثرة

ومع استعادة السيدة زكية سلطانها الاتمّ ، اقامت ترقب ، بمرارة وغصة ، كلمة آل الاشهب . وما كانت منها على صحيح الايمان . ولن يقدم من احجم . على انها انتظرت ، وقد شاءت بلوغ خاتمة المطاف في صعيد الاغراء المشبوه . فربما استقام الروغان

والطبيب ، رسول الوئام ، يغدو الى الاسرتين ويروح . ولتي في آل الاشهب دعاة سلم ولين ، فليسوا راضين عن رئيف ، وقد شوّه سمو الوفاء . سيجرّونه اليهم عبداً ممتهنا ، ويكرهونه على لأم ما صدع . فلا يرجون نادر يمين الا حقاً وخيراً . ولكن متى يبدو

Twitter: @alqareah

رئيف ؟ ... في اقرب آن . وفي اي مكان من مصر هو ؟ ... انه لموزع بين انسبائه في القاهرة والاسكندرية . على انه سيأتي، بل هو آتٍ . ولن يتوانى في الامتثال للعرف السليم

غير ان هذا القمر لم يطلع في سمائه . فما تبرح تغشاه لبود" من غيوم . وتبرم آل يمين بالوعود الخالبة. انهم ليريدون انجازاً عاجلاً. فتمادى التسويف . واستحكم الشك . فعاد التوتر يستعلي . وهرع نادر يمين الى وفيق الاشهب ، يسأله عن موعد البر في العهد ، صاخباً ، متوعداً . فاحتجب وفيق بعجزه . انه للحسير

ــ ولكنك رهنت نفسك بالتلبية في الابراء . فاين الصدق في القولة ؟

فاعلن بمستفيض الغمة،وقد تراخى حتى لم يبق فيه عصب : وفيق الاشهب لا يملك نفسه كي يرهنها ، يا صديقي !

فطبعت في خده ، يد نادر يمين ، لطمة صافرة . اضحى والد منى لا يطيق . وجبهه بصرخته الراعدة : كنت اطفىء لهبة روحك . ولكنك لست جديراً بان يقال فيك ان نادر يمين غمس كفه في دم وضيع ، نذل . غير اني اذا لم انتقم منك بطيّ ايامك، فلانتقمنّ بتبديد اموالك . فان مصيرك في قبضتي . سافل ، اثيم !

فاحتمل وفيق الاشهب اللطمة والاهانة ، وفي يقينه انهما نزلتا مكانهما.ولم يرتفع صوته حتى بهمهمة ، راضياً باداء جزية الحق عن ابنه المعتدي . وانفتل نادر يمين ، الى مثواه ، على ثورة جراح ، وقضقضة

Twitter: @alqareah

ضلوع . وجلجلت فيه نزونه وهو يبدو لامرأته. فزعق : يئست من هؤلاء الاجلاف الكافرين بالمروءة ، يا زكية . فلن يأووا الى حلم . فعلينا ان نستر عورتنا بايدينا . واني لالجأ الى سعة صدرك ، وسديد تدبيرك . فامنعي عنا عضات الغاشية . اني احس بهـــا تغرز في لحمي وعظمي ، كأني في جحر ثعابين !

وهوى في مقعد بقربه ، وقد ناء بحمله . وألقى رأسه بين يديه مسترسلاً في الدمدمة والزفير . سيأخذ بثأر شرفه المكلوم ، ولن يبقي لوفيق الاشهب قرشاً يبتاع به لقمة . فما حسب النذالة تمتد الى هذا المحال السحيق

ونظرت اليه امرأته غائصاً في موجدته وبحرانه . فاشفقت عليه من نفسه . انه ايكاد يتلاشى في ذله ، وما يصبر على هــــذا التنكيد الرهيف. ونبض عفواً ، في خاطرها ، اسم من لم يكن يجلو عن بالها. فليس للانقاذ سوى خليل حنون

وجلست بجنب زوجها ، تشاطره التهديد ، ونعي الحفاظ . فلا رعاية للمحارم في الناس ، وكلهم يتهالك على ثلمهـــا . آل الاشهب سيحصدون ما زرعوا.ولا يشفي الحزازة سوى اطفائها بمهجة مضرمها. وعاد نادر يمين يتضرع ، فيما يزمجر مهدداً : اصبحنا بمسيس الحاجة الى حنكتك ، يا زكية . ابنتنا مطروحة كالجثة الهامدة في عقر دارنا . فهل نصبر على مرآها الشائن ، ولا نسرع الى انتشالها من نتنها ، ولن يكون بخوراً في انوفنا ؟

فاوشكت ان تذيع الاسم . ولكنها خافت ان تتولاها الخيبة وهي تعلنه . وما خوفها من زوجها وابنتها ، وسلطتها اضحت مطلقة فيهما ، بل من خليل حنون . فانها لتعرفه أبي العنان ، لا ينغمس في الدناءة فيرتضيها قلادة . واني تستميله الى التوفر على الصدقة ، وفيها اشنع غضاضة ؟

واطرقت لا تجيب . انها لحيال معجزة لا تكتسب فيهـــا لنفسها النجح . وردد نادر يمين ، وكأنه يشير بيده ولسانه الى خليل : هلا دفعتِ عنا الخزي الجارش ، يا زكية ؟ ... اصبحنا نعالاً بالية في ارجل شقية . فالمدد ، يا عزيزتي ، المدد !

وانفجر اعواله وانينه . فزادها عليه اشفاقاً . فهو بين يديها طفل عركه العدوان ، فهفا اليها يحتمي بحنوها ، ويسألها في نفسه . أما تعينه ؟ ... وتوطد في يقينها انه يرقب منها الجهر باسم خليل حنون . ولم يبق سواه للاغاثة . فقالت تنفث مخاوفها : اخشى ان يكون فات الاوان ، يا نادر . وهل لمن يلمس الفضيحة ان يعصب بها جبينه ؟ ... دعوتكما ، في الحين المؤاتي ، الى الرضى به صهراً للاسرة ، فهزأتما بي ، وآثرتما عليه المحتال الانكد . اما الآن ، والبلية تعصرنا برحاها ، فالامر بات يعدو الطاقة . الا اذا جادت القدرة بعجائبها !

فقال ، وما يرجو غير الخلاص بنفسه وبابنته من جور الفائلة : قد تكون السماء خلعت عليك هذه القوة الخارقة . وما تشقي من ناحية ، الا لتنعش من ناحية أخرى !

Twitter: @alqareah

وحتها ، بالمجاجـــة ، على الشخوص الى الفتى في المصرف ، قبل شيوع النبأ . فالنوم عن خنق الداء ، في مستهله ، يزيده استحكاماً . وامرأته، في خلاصة امانيها ، لا تنزع الى سوى رؤية خليل حنون تحت سقف بيتها . ولكن هل يقبل خليل، على هذا المركب الوعر ، حين يدري ما تحت مفرش الريحان من عورة ؟

واضطربت السيدة زكية طويلًا في هذا المنعرج . فالشك طمى حتى سدّ كل فرجة من امل . ولكن القعود عن النكبة معوان لها على الخطر . فقامت امرأة نادر يمين الى شهوتها بنفس مكدودة . فلن تعرض الزنبق النصيع على اليائسين من شمه ، حتى ومن مرآه ، بل الكرّات الخبيث

وكادت همتها ترزح بها . انها لتدرج الى خليل حنون باستخذاء وحيرة . فكيف تنبئه بان ابنتها جازفت بطهارتهـا ، ثم تدعوه الى بسط عاتقه لاحتمال القاصمة ، ولا يد له فيها ، ولا صلة من قربى تقدر عليه الحرص على سمعة اشرفت على حتفها ؟

الا انها ذكرت دالتها عليه . فلن يرتضي ، بعد كل ما اعطته منها ، ان يبصرها في المهواة ، وان يمرّ بها عفواً ، متحامياً انقاذها . فقد لمست ، في نفسه ، لفرط تحككها به ، مواطن للفداء لا تتكارم عن التضحية . ومع ثقتها به ما فتئت تغوص في خشيتها . أما يمتهنها، ويوليها ظهره ، وهي تميل به الى تلطيخ جبينه بوصمتها ؟

ودخلت المصرف بقدم قلقة ، ونصب عينها الفتى . ونهض لهـا

Twitter: @alqareah

خليل ينحني بابتسامة مهذبة . قالت فيما تمدّ يدهـــا لمصافحته : نادر اوفدني اليك . فانه ليشكو في خاصرته ألماً . وكلفني ابلاغك ضرورة الالتفات الى سير العمل . فهو على ايمان باخلاصك وبصادق وكدك . وما اراه الا اقتنع بما امتدحتُ فيك من امانة ومعرفة !

فراقه الاطراء . وقال والابتسامة تتسع في وجهه : ما كنت الا حيث شاء حسن ظنك ان يقيمني . ولئن سرّني الثناء عليّ ، لقد ساءني ان ينتاب الالم سيدي زوجك . ليكن موقناً ان شؤون المصرف تجري في طريقها السويّ . وكل ما نرجو له ان يدرك الشفاء السريع . ماذا قال فيه الطبيب ؟

ومال بها الى الجلوس . وكان قد استأثر بحجرة يشغلها وحده . فيتسع فيها للسيدة زكية ان تحدثه ، على حدة ، باشواقها ، كلما اقبلت اليه في بث الجوى . ووثب الى شفتيهـــا ما جاءت فيه . فابت عليه الانطلاق قبل التمهيد له . وغاظها من خليل ان ينصرف الى عمله ، غير مكترث لهـا . فهتفت به عاتبة ، موتورة : أعرني اذنيك . فما افضيت بكل ما عندي . وليس لك ان تتجاهلني وانت تعرفني ، وتعلم مكانك مني !

فانتفض على رغمه . لا عذر له في الاستخفاف بهـــا . والتمس صفحها عن غفلته ، معلناً : عفوك عمن اساء الادب !

وتوردّ خجلاً ، مما زاده فتنة . فقالت وقد شاقهـا النظر اليه في حمرة وجهه : اني لاحمل اليك بشرى سارّة . نادر عين ازمع ترقيتك

Twitter: @alqareah

لوفور اعجابه بك . فستكون وكيله في المصرف . وهي نعمة لا يحوزها غير السعيد . وربما زاد في المنحة ، فوهب إليك كل ما عنده !

فتعاظم انتفاضه ، ولكن بوارف الدهش المبغوت . وحدق الى السيدة زكية بارتياب ، وبمريض استنباء . أما تغرّر به ؟ ... أترجي اليه حقاً ؟ ... واي دافع الى هـــذا الجود الامثل ؟ ... هل تعامى نادر يمين عن ابنته ، وهي وحدها وارثته ؟

وتلاطمت في نهيته الظنون ، والشك يعلوهـا جميعاً . ما يرى نفسه حقيقاً بهذا العطاء كله ، ولم تطمح اليه عينه . أتستماد ، في المصرف ، مكيدة السوق الطويلة ، وما تزال ندوبها عالقة بالجبين ؟

ولمحت السيدة زكية ، في عينيه ، استغرابه ، بل خبله ، فمضت في اثارة ذهوله بقولها : ستكون الوكيل ، ثم الاصيل . هذه هي مشيئة نادر يمين . وليس للمرء ان يلمّ باسرار الحظوظ في اقبالهـــا وادبارها . وحسبك ان توقن انك ستثوي ببحبوحة اليمن والعزة!

فاستوضح بارتباك كاد يعقد لسانه : ولكن ... كيف؟... أيتخلى لاجلي عن كل ما لديه ، وعناك الآنسة منى ؟

فابانت ، وقد سرّها ان يهزه النبأ : سيتخلى لك حتى عن الآنسة منى . فلك ثروته وابنته . ومرتجاه ان تكون له صهراً !

ففطن الى المنشود . نادر يمين يتوق الى تزويجه منى . ألم يجـــد سواه ليسبغ عليه هذا الشرف ؟... وما برح ازاء احجية يستعصي عليه جلاؤها . لماذا هو ، لا احد اولئك المياسير ، وقد رجحوه اموالاً

Twitter: @alqareah

واعراقاً ؟ ... فهل لهذا الايثار ان يكشف عن لغزه الصفيق ؟ ... وسأل ، ونهيته في اجهاد ينهكها : ولكني دون جلال الاريحية ، ولست اعادل الآنسة منى ثروة ولا جاهاً . أما اختار السيد نادر سواي لنفاسة العطية ؟

قالت تحتال على بغيتها بالتغني بمحامده : نادر ليس بحاجة الى المال ، ولا الى المقام ، وهما عنده موفوران . فما يحتاج الى سوى الخلق القويم ، والرصانة ، كي يطمئن الى غد ابنته ، والى بقاء ثروته. واهتدى فيك الى الضالة ، وقد لمس الجهد والاستقامة . ولا اخفي عنك ان اطرائي مزاياك ، ليل نهار ، على مسمعه ، سهّل للركون اليك . فندبني كي ابلغك ما وطدنا عليه النية !

ــ وهل تؤيدكما الآنسة منى في ما تنزعان اليه ؟

وما برح لا يؤمن . فالثوب فضفاض . وما عوّدته منى غير الترفع عنه كلما لاح لها ، بعد لقائهما الاول. فهل تبدلت الآن ؟ ... وكيف ؟ ... أما يكون هذا الزواج ستاراً لدفع هضيمة ؟

ومع اعتداده بنفسه ، لم يكن يجد من مواطن السمو ، في خلاله ، ما يرقى به الى هذه السدة . فماذا هناك ؟ ... أيكون ركيزة لدعم احدوثة ؟ ... وساوره من الظنون ما جلا عنه غروره . انه لمدعو الى وثبة ينبو عنها اقتداره . قالت السيدة زكية : منى لا تناوئنا في رغبة . انا اقنعت اباها بضرورة زفافها اليك ، ولست اطيق ان اراك بعيداً عني . ونادر تكلم كسيد في منزله . وماذا بقي لابنته

Twitter: @alqareah

ان تقول ؟

فـطعت ، في بصيرته ، خصلة من نور . هؤلاء المتيّمات يشوقهن ان يستبقين عشاقهن لبناتهن . فتتوارث الاسرة الحنين . على ان خليلاً استوضح بجرأته على السيدة زكية : كوني ، تجـاهي ، على وافي الصراحة . أزوج انا ، ام متكأ ؟ ... اني لاحس ، من ضميري ، بكوني لست في مكاني من هذه الصفقة . فهل احبت مني ، واخفقت ، فرأيتم ان اكون لها المداوي ؟

وافاض بما تراءى له . لا يداري ، ولا يتهيّب . فالموقف يتنكر لقفاز المخمل . وراع السيدة زكية وميض الفطانة في جنانه . ورفّت اهدابها تقرّ ، على رغمها ، بصدق تقديره . فابانت ولم تستطع انكاراً : مني وثقت برئيف الاشهب . ولماذا كتمان الواقع عنك ؟ ... الا انه لم يظهر حيالها ذلك الامين الود . فتناءى بسفال . وأبيت ان يقال ، في ابنتنا ، انها على اكتراث له ، فدعوت بالحاح الى العقد لك عليها . وما كنت اريدها لفتى آخر . وليس لي ان اطيق حرمـان مرآك . فكن ذلك الملبي !

وقصت عليه ما حاذرت ان ترويه له من شؤون منزلهـا . فصادمت ، لاجله ، زوجها وابنتها ، تأبى الا ان يكون مهر الاسرة الاوحد . ولكن الجهل انتصر على الدراية . والآن ، وقـد سفر الحق عن وجهه ، ايقن المكابران انهـا لم تكن تلك المنادية بالباطل ، وهي لا ترتضي ، لمى ، غير خليل

Twitter: @alqareah

وشقت الحجاب عن بعض المكنون . فازداد ، في عين خليل ، سطوع النور . منى لم تحبه ، وهو ما لم يكن يحتاج فيه الى بيان . وقد شفّ عنه موقفها منه . فاحبت رئيفاً الاشهب . ومال عنهـا رئيف،فباتت ترضى بمن اعرضت عنه. ولكن لماذا هجر رئيف ؟... هل رأى في الابنة صورة أمها، فنفر، وما من قطيعة تقبل عفواً ؟... قال وهو ادرى الناس بهذه الام المفضال:ادركت الآن سر النزوع اليّ . فانا خشبة الانقاذ ، وقد وضح لي ما عليّ ان امثل من دور . ولكن لماذا جنح رئيف عن منى ، وهي تساويه مقاماً ، عدا كونها في بهاء الفجر ، ونداوة الربيع ؟ ... فهل تكشّف له منها ما زهّده فيهـا ؟

فارتعشت . هذا هو الحرج ، العسير . فهي حيال فتى حاضر الذهن ، لم تكره نواضر النعمى المبسوطة لناظريه . وان تكن حوافز الاغراء ، على وفرتها ، كانت عنه ، فما استهواه المال ، ولا الجاه ، ولا الحسن ، فلم يبق على اللائذة به الا ان تخلع، عن وجهها، قناعها ، وتجلو الراهن ، المحسوس . لتخاطبه بالواقع ، الراعب ، وهو فتى ارقام . وليس كالارقام في صراحتها العارية ، النابية عن كل تدجيل ومَين

والسيدة زكية ، وقد تبينت انخذالها في الاستمالة المموّهة بلمعان اللآلىء ، نهدت الى تمزيق غشاوة السحر المتقهقر عن شأوه . لتكن رحمة اذا عزّ فانّ الاستدراج . أما يجيرهـا خليل ، في الذود عن

Twitter: @alqareah

السمة المهددة بالانطفاء في انتن مستنقع ؟

وباحت بالمر المبيد ، المخزي . قالت ، ولم يكن عن البيان محيد : خليل ، انك لتضيّق عليّ باسئلتك . اما وقد شاقك ان تعلم ، فساوضح لك المكنون . فان ما بيني وبينك ، من وثيق العرى ، يهيب بي الى مجاهرتك بالخفايا . وكلي يقين انك شقيق روحي ، فلا تفشو مطاوينا ، وتكاد تكون منا . رئيف الاشهب ما نأى ، عن منى ، الا وقد استطال عليها ، يفجعها بوضاءتها !

وارتجفت كلها . والتهب جبينها بعارها . وشعرت بكونها تنعى الى خليل خنون لا عفاف منى ، ولا كرامة نادر يعين ، بل الاسرة جميعاً . وما استبقت لها السيدة زكية ، عفواً ، من ضئيل الكرامة ، اتلفته ابنتها. فصوّب اليها خليل نظرة طويلة ، حادة ، سحقتها بعنف ، كصخرة تدحرجت الى السفح من اعلى القمة . أتريده على غسل عار برئت منه يمينه ، ولا تتنابها غصة ؟ ... انه ليبادر الى العون ، ولكن ليس حتى هذا الامد . فيمحو عن اسمه كل فوح ، ويتجلبب بالرثاثة . وابدى اشمئزازه ، فاستفهم بقسوة تتهكم بمرارة : أإلى هذه المائدة ، السخية بالوان الانفة ، يروقك ان تجلسيني ؟ ... شكراً لعالي رأيك في حقارتي !

فرأت ان تنزع منها ، في الاستغاثة المقدورة عليها ، كل استرخاء ، وان تتكلم جازمة ، كأنها تفرض مشيئتها . والا قصّرت عن مرتجاها . فاستجمعت قواها المجهودة ، لتهتف بشدة هوجاء ارادتها

Twitter: @alqareah

بليغة الوقع من نفسه : التفاتك الينا لزام" عليك .فنحن قوم أصيبوا بانفتهم ، وعليك ان تمنع عنا السقطة حتى اعماق الهوة . متى لم تفقد نقاوتها ، وحسب . فهي حامل ، حامل . أتسمع ؟ ... واذا لم تمد لنا يداً، فتقيل عثارنا، فمن لنا يقينا النازلة الناسفة ؟ ... انت وحدك مغيثنا من ويلنا ، من شنارنا ، من هلاكنا تحت وطء النعال . فاني لابصر بعينيّ الاثنتين الشماتة تلغ في احدوثتنا.واسمع باذنيّ اصوات السخر تنحت من اكبادنا ، وتحطم ، كالفؤوس ، جباهنا . اضعنا كل شيء ، حتى الشرف. واننا لنبحث عمن يؤاسينا ، ويسكب بعضاً من بلسم على جرحنا النغّار ، فلا نجد سواك في عوننا . فارحمنا ، ولا تصدّ عنا . اننا لنستحلفك بالمودة ، بالاخلاص ، بالشمم، بالرأفة. واذا لم تسرع في درء الزلق عن مكانتنا ، وفي كل ثانية يتوعدنا ، فلن يطلع الصباح الا ليحمل اليك منعانا . لن تنقذ نفساً وانت تتزوج مني الخاطئة ، بل ستنقذ أسرة بكاملها من مراحيض الدناءة والوبال !

وأكبت على يديه تقبلهما ، وهي تنوح وتشهق . وصاح فيها الذل مستجدياً ، مولولاً . فانتاب السهو المرتاع خليل حنون . هل بلغت الشفرة لباب الجذور ، فنحر رئيف الاشهب الطهارة بيد لا تتحرج، وولى هارباً كالخسيس ؟ ... وتولت الرهبة خليلاً . واعياه النطق . فالداهية طاحنة ، كانياب التماسيح . وليس للنفس ، حتى المفطورة على غلاظة ، الا ان تتحسر على مجزرة الاخلاص والحنان

Twitter: @alqareah

وشعر خليل، في جنانه ، بفظاعة الالم . وتوهج فيه سمو الرفق . انه ليصبو الى المساعدة على اطفاء الشعلة، وفي خياله تموج ألسنة الضرم ناهشة ، آكلة ، لا تتئد. وفي حسه يتجاوب صدى الصراخ المستنجد، المسترحم. وتراءت له الاسرة شاخصة اليه بابصارها في ابتهال البائس المستعطي . أيفرّ من الساحة اعمى ، أصمّ ، لا تنتفض في مهجته هزة من رحمة ، كذلك السفّاح المراوغ ، المتباعد بصغار ، ام يجيب نداء اللهفة، ويكافح اللهيب ، وينقذ المكتوين بتبسم الفاجعة من هول الحمم ؟

ما يرام الا صائرين جميعاً الى الانتثار ذرات ممتهنة في مبلع الدمامة ، فهل يضحي باحدوثته الناصعة ، لدفع الملمة عن سمعة لا يصفو لها وجه ، مع كل غلوّ في العطاء ؟

سخاؤه بنفسه يلطخه بداء الشمل المهيض الكرامة ، دون ان يعيد ، بسوى واهي المقدار ، الى هذا الشمل كرامته المفلولة . فهل يجازف بصيته ، ويحتمل اوزار الفحش ،لاجل رأفة قد تكون غريبة عن مكانها ؟

ستلتهمه النار، كما تلتهم المعذبين فيها. فالماء، احياناً،وقودٌ للسعير، كأنه الزيت الممعن في اللظى ، لا معين على الاطفاء . أيسفك خليل حنون عفته حيث يصمها بالشين ، دون ان ينفض الشين من جباه رسخ فيها،فيذهب الجهد سدى ؟... هذا هو السؤال العصيّ الجواب، المتفاقم اللبس

Twitter: @alqareah

وخاف خليل التلبية . فليس يجروء على اقتحام الاتون المشتعل. وسدّ اذنيه عن اصوات الاستغاثة . لينقذ نفسه، من الويل الناعب، من سعى اليه على قدمين مطمئنتين . فالتبعة لا تطاول من لم يجترح الصلة. وللضمير ، المتنزّه عن الزلل، ان يصون وضاءته من الوحل . ولكن هل لخليل حنون ان يدعي النزاهة والعفة،وهو عشيق زكية عين ، والدة منى ؟

انه لعشيقها استدراراً لمغنم . الا انه ، في كل حال ، عشيق له ضربة معول في تقويض صيت الاسرة . وهذا اوان التكفير . وتلوّى الخاطر بين التوفر على الاسعاف ، والتقهقر عنه . وارتبك خليل حنون في امره . فالاقدام انتحار . والاحجام صدوفٌ عن المروءة . مصرف نادر عين عطف على البائس في المحنة الخشنة.وامرأة نادر ما تفتأ تهب له منها . فهل يكون حيث يقدر عليه اكبار المعروف بذلَ المعونة ؟

لا . ليس للشفقة ، ولا لعرفان الجميل ، ان يأخذا منه في اجارة من عرّض صدره للشوائب ، فطغت عليه بجرفه تيارها. وساد نهيته مذهب الاستخفاف بمصائب من حوله .وكل نفس مسؤولة عن عماها. لن يبادر الى اجابة النداء المعول، ومنى اشاحت عنه في نضرة مهجتها. على ان صوت السيدة زكية ارتفع يتضرع بانكسار المخسوف : النجدة ، يا خليل ، قبل ان تبتلعنا الفضيحة . أسرة نادر عين باجمعها تغور في النازلة. فلا تتماسك عن الرفق بنا ووقايتنا الاذية !

Twitter: @alqareah

أيتوانى ، وهي تستثير فيه كوامن عطفه ، وتستفز الخابي من شعوره ؟ ... وثقل رأسه . وتخلخلت نهيته . أيضحي بالحريز من الانفة ، لينتفذ ساقطة من ورطتها ، وما يدريه انهـا لن تتخطى في الغيّ أمها ، ام يتبلد احساسه ، ويتقاعد عن اقتلاع النصلة من الصدر ، وللموتى أن يدفنوا موتاهم ؟

وضاع في لبكته الحرون . على ان صوت السيدة زكية ما برح يعلو متخناً في الضراعة : لا تطلق للؤم الماصر يده فينا ، يا حبيبي . نادر يناشدك الاسراع في جبر الكبوة ، والا امسينا سبة في الافواه ، ولعنة في الاحقاب !

فتعالى لهاثه ، وابتلّ بالعرق البارد ، كأنه يموت . سيده في العمل يستعديه على الاستنقاذ ، مع يقينه انه سيجود بالغالي . أيتجانف عن الفدية ، وعليه لهذا السيد اكرم يد ؟... قال وهو يتلجلج في بيانه : ولماذا اختارني زوجك دون سائر العاملين في مصرفــه ، وفيهم من يسموني شأناً ، ويرجحني في العمل قدماً ؟ ... أيكون يدري اني عشيقك ، وعليّ مشاطرتك درك خطاياك ؟... ولكني عاشق تائب ، وقد سلوتك ، وجاهرتك بكوني ضقت ذرعاً بخيانة وليّ نعمتي !

فاعلنت بانين : اما انا فمـا سلوتك ، بل مضيت في حرصي على الهيام بك . واردتك صهراً لنا . غير ان نادر يمن ومنى خاصماني ، في الحين المؤاتي ، وما ادركا الا الساعة برّي في النصيحة . فلا تعاقبها على جهلهما ، بل كن اعلى روحاً . وقم بي الى نادر لنصارحه بكونك

Twitter: @alqareah

لا تمسك يدك عن عزيز ذلّ . اننا لنستمطر ندى سماحك ، فلا تشحّ به على سائليه !

فما انفك يشعر بالضعضعة. فهو حائر بين سمته ورحمته. وبا للرحمة من الوصمة . فقبضت زكية بيمن، على ذراعه، بمكنة . وقالت بصلابة وهي ترفع اليه رأسها : تعال . تعال !

فاستفهم بضيق في الانفاس : الى اين ؟

ــ الينا . الى سيدك في العمل . نادر بمسيس الحاجة اليك !

ــ وماذا لي عنده ؟ ... فالعمل هنا ، لا هناك !

ــ انك لمدعو الى مؤاساته، الى التخفيف من كربته. فلا تحتجب عن كريم هان !

ــ ولكن ...

فنهضت بمضاء ، كأنها على رقّاس . وشدته اليها هاتفة به بصولة الامر القاطع: لا تعترض. انهض. نادر يدعوك. أجب. ان يكن لك عذر ، فصارحه به. واذا فاتتك القدرة على المعونة، فلا تبخل بالكلام الآمي، فتبدد به من حلكة البلاء !

فلمس امتداد سيطرتهـــا عليه . بل لمس مبلغ ضعفه ازاء الاقرار بحسن الصنيع . ونهض وهو يقول بتردد الخشيان : اني لسائر اليه . بيد اني ساحاذر السقوط في الحفرة ، مكتفياً ببث التعزية !

وبدت له المهواة الفاغرة الشدقين لابتلاعه. وفزع من ان يتدحرج اليها . وزكية ابصرت مثله المهواة ، وما شاقها الا ان تطرحه فيها .

Twitter: @alqareah

ولها في البغية هدفان ، ضم خليل حنون الى مأواهـــا ، وانقاذ هذا المأوى من كيد الفاحشة الطحون

وساقت الفتى الى دارها ، والفرح على زقزقة بين حوانيها . ليس لهذا الطيب القلب ان يفلت من فكي الكلاّبة ، وما يزيد على كونه عصفوراً في مخلب قشعم . وردّت الى نادر يمين الروح فيما يبصره ازاءه . وابتسم له ابتسامة المنكوب للمنقذ . ما هو بسيده ، بل خادمه ، بل عبده . وانه ليقبل يده ، وحتى نعله ، على ان يغزو العيب ، ويفقأ بشراطه الدّمل . تباً للدنس ، كم يخفض الجباه !

وهتف به ، متهالكاً على الترحيب بالرب الفادي : خليل !

وفي هتفته جزع وابتهال . فالشرف يعاني خطر التلف . فالبدار ، البدار . وجمدت الكلمات في فم خليل حنون . واستحكم منه وجوم مادع ، كاسف . بمَ يواسي من لم تبقِ له النوائب ، في كأس الحمية ، مصة ؟

وقالت السيدة زكية باعتداد ، ورضى ، ترطب بهما جفاف الجو : هذا هو خليل ، يا نادر . شئت ان تراه ، كي تنشر عليه رأيك العالي فيه ، فاقبل بشكر لك غالي الثناء . ولقد ابلغته وطيد ثقتك بـه ، وميلك الى رفع شأوه . فيمسي في المصرف الوكيل ، ثم الاصيل . فبدا يعلن اجلاله . ويذكر بالمديح العطر فضلك عليه . وما كان بمن يجحد اليد البارّة . فحدثه ، اذا شئت ، بجزيل التفاتك اليه !

وغمزته بعينيهـــا ، كأنها تقول : حدثه بأمر مني . فلن تلقى فيه

Twitter: @alqareah

صدوداً واعتراضاً !

فاطمأن نادر بمين. اهتدى الى الدعامة. وقال بارتياح عذبت به الالفاظ: منذ بدأ خليل العمل، في مصرفي، ايقنت انه سيصبح فيه وجهه. فالهمة المطوية على الذكاء، تجلت لي فيه. فلا سعي لقضاء الوقت في الباطل. ولا نكوص عن موعد. ولا فتور في الانجاز. فاذا اكرمت جهده، فاني لا قرّ للتفوّق بمستواه الرفيع. والوكيل كالاصيل. فالمصرف له كأنه صاحبه !

فقالت السيدة زكية جازمة: بل هو صاحبه !

فاعلن نادر بمتناهي اللين، كأنه يسخو بذرة رمل لا حساب لها في مجهود السنين: ليكن له. وفي نيتي ان اتخلى عن متاعبي، وقد اصبحت بحاجة الى الدعة والسكينة !

ونفض كفه، في ترقيع عرضه الممزق، من جنى عمره. لا كانت الثروة، على ان يتقي الداهية. فقالت امرأته، وقد شاقها ان تظفر بخليل، وان تستر العورة: ايكن سيد المصرف والمنزل معاً. فيتزوج منى، ونغني في خدمته كلنا !

فهتف نادر بمين، وما يرجو الا الستر، وعفا الله عن حياة محتها عثرة: له المال والروح، يا زكية. خليل ابننا. وسيكون فينا زينتنا !

وخاطا له الثوب، وألبساه اياه، وهو لا يبرح في ضعضعته. فيغص بريقه، وما يدري كيف ينجو من الطوارىء المتألبة عليه

Twitter: @alqareah

تتقاذفه مُكرهاً ، في تيارها، كأنه ساق نبتة في غدير هادر

ولكنه يرفض الخلعة المهلهلة . فلن يؤدي سمعته بدل فجور غاوية . والتهب خاطره . وتصرمت حنجرته . انه ليختنق في الجو اللهبان. على انه استطاع ان يتحرر ، لهنيهات، من الغشيان الملمّ به ، فغمغم : ما اراني اهلاً لهذا الخير كله . ألا مهلاً . انكما لترفعانني الى حيث لا يسعفني خطوي على الارتقاء، ولا على الثبات. هلا فسحتما لي في التفكير ريثما اهتدي ؟ ... اني لضائع عن نفسي في هذا الخضمّ من العطاء . والمحروم تبهره النعمى. فصبراً !

ودل على بحرانه . انه ليترجح بين مد وجزر ، وقد اضاع قياده . فهتفت به السيدة زكية، تأبى عليه ان يخلو بنفسه فيستشيرها، والاستشارة تذهب بالاحبولة : ولماذا التفكير ؟ ... أما يرضيك ان ترتفع الى مرتبتنا ، وتبيت سيدنا ؟ ... لسنا ننكر انك ستحجب عنا معرة تستطيل على احدوثتنا . الا اننا سنعوّضك من هذه المبرة مجهود ايامنا . فانت منا . بل انت ابننا ، سواء شئت او ابيت. فكيف تتباعد عنا في الشدة ، وقد فتحنا لك صدرنا في عبوس الزمن ؟

انها لتتقاضاه بدل المعروف . وما من صدقة تجري عفواً ، ولا بد من ممتنّ بها . وخجل خليل حنون من حسنة يدمغه طابعها ، فاطرق . وتكلم نادر يمين ، وكان اسمى منطقاً . فقال بصوت جريح يتشفع في الشموخ الهاوي : زكية جاهرتك بمحنتنا ، يا ابني . فكن

Twitter: @alqareah

يداً آسية وضمد كلومنا . اننا لنستجير بك من كارثة الشمم . والا ثأرت شرفي المنكود . ولا بأس علينا ان نموت جميعاً فدى عرض غار في التراب !

واخفى وجهه بيديه لفرط وجله ويأسه . واطلق للدمع مداه ، قائلاً بحرقة المرور ، وكأنه يخاطب باشجانه نفسه : اي جناية لطمت بها وجه الحق ، فعوقبت عنها بهذا البلاء الكفور ؟ ... ما حنثت في يمين . ولا نقضت ذمة . ما اكلت مــال يتيم . ولا هضمت ديناً . ما اسأت الى ذي وفاء . ولا شوّهت نقاوة . أيكون الويل جزاء السليم ، المستقيم ؟ ... ما بال السماء تنتقم مني في جاهي وأنسي ؟ ... ومن لي في ازمة الكرامة ، ولست اجــد حولي من ينصرني على الضيم ؟ ... لا اخ ، ولا صديق ، ولا من يلتمع بين جوانحه قبس من مروءة ، كأني قضيت ايامي في التكدير والتشنيع . أف لقسوة الزمن . لكأن الناس ، في عيشتهم ، اعباء على دنياهم . فتتبرم بهم . وتذيقهم ، من ضروب الغدر ، ما يحبب اليهم الانسلاخ منها ، لدى خطوتهم الاولى في دروبها الحافلة بالاشراك !

والتاع ، وانتحب . ورأى خليل ، وسمع . وشاطر سيده رأيه في الحياة . ما هي جناية الزوج البريء ، المغبون في امرأته وفي ابنته ، على الخلق ، كي تنهشه الدنايا ؟ ... ان يكن من تكفير ، فاين الزلة ؟ ... وهالت غرائب الوجود الفتى . وتعاظم امتهانه لكون ضاعت فيه المقاييس . فالكريم يشقى ، واللئيم يسعد ، والحق مغمور

Twitter: @alqareah

على ان خليل حنون ابى ان يبصر وقار السنين يغيب في الدرن، متفجعاً، مستصرخاً ذوي الحمية، ولا من يكترث له . عزّ عليه ان يسمع صيحـــة النجدة، وان ينثني عن نصرة سيد جليل يذيب دموعه الغدر . فيسيل واياها قنوطاً وهواناً . أيبكي المشيب، ولا يقع على من يكفكف العبرة الغالية، المسفوكة ظلماً ؟ ... ان نفس خليل حنون لتثور على الحيف . فالعدوان لا يطيقه الحر المهزة . ودنا الفتى الصلب الانفـــة، من سيده المحتضر الاباء، يقول وملء روحه الندى الاثيل، كأنه الرحمة والحنان هبطا في حشرجة الروح، يردان الى الميت انفاسه الهاربة : سيدي الكريم، من الصعب عليّ ان اراك تميع لوعة ولا من يمسح لك دمعة . فان يكن زواجي بابنتك يسدّ الثلمة، ويعيد اليك صفاء المهجة، فها انذا بين يديك لبنة في مدماك الحفاظ . فاستر بي العورة . ولن تجدني الا حيث تضعني لصون الاحدوثة . وما اريد مالا، ولا جاهاً . فما أنا سوى فدية الشرف . فالمصرف والمنزل يظلان لسيدهمـــا . ويبقى خليل حنون في خدمة هذا السيد، كأنه ابنه، بل عبده . دعوتَ مجيباً . فلن اخذل لك شهوة، وانت تعـــاني، في غفلة الانصاف، مضض الجحود !

فاندلع النور شلالاً غازياً تفتحت له الابواب، والنوافذ، والكوى. وتبعثرت الحلكة مهزومة، متلاشية . وعلا صدران وانخفضا، يتنفسان بطلاقة للحياة المنشورة . فماست الولولة اغرودة . وشهق نادر يمين

Twitter: @alqareah

شهقة عالية ، كأنه يطلق الروح لفرط الغبطة. واغار وامرأتـه على خليل يشبعانه ضماً وتقبيلاً ، وقد راعتهما المنّة الجُسام. انتشلهما من انياب الذل الكدوم

وتذكر نادر ما قالت له فيه امرأته ، وهو يهمّ بابعـاده عنه ، يوم اقبل يطلب عملاً في المصرف : عامله كابنك . وستجده في قحط الدهر !

وكأنها تتنبأ بهذه البهجة المترعة، الرؤوم

Twitter: @alqareah

الانفجار

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

١

ما تزال الايام تمضي ، في تعليمه ، ما كان يجهل من امره . على انها لم تزده إلماماً بكونه ذلك العبد، المقبل الى دنياه على كره منه . والبادي في ملامح واسماء مفروضة عليه . والمقيد في النظرة ، والكلمة ، والخطوة

والا فاني كان له ان ينتهي الى السوق الطويلة ، وان يبصر فيها السيدة زكية ، وان تجرّه نظرته الى مصرف نادر بيين، فيسمي زوجاً لفتاة لا تجمعه بها صلة ، فلا قربى ، ولا مودة ، ولا صداقة ، حتى ولا معرفة تؤلف بينهما انسجاماً على بعض رفيف؟

انه لاسير القدر، ولا تبديل للمكتوب. وانحنى للمشيئة المجهولة ، المنزلة به حكمها ، لا تهاود . كأنه يعوض نادر بيين ، في ابنته ، مما سلبه اباه في زوجته . ولا بد من معادلة بين الغنم والغرم . فعلى من اخذ ان يعطي . ولا خلاف . والا اختلت كفتا الوجود

Twitter: @alqareah

ولا تكاد عيناه تقعان على لوائح الجبل ، في منى ، حتى يرتجف فؤاده ، ويدركه القطوب . فالمعصية تجبهه بقذارتها ، فتغلي فيه نزواته ، ويود لو يبقر المستهترة عن جنين الزنى ، وينقذ نفسه من بشاعة السوء

وينفر من هذه الرافلة باسمال فحشها . وينصب على العمل في المصرف . فلا يأوي الى المنزل الا والعتمة قد انتشرت ، وغامت الوجوه . واحس الجميع بانه يتململ مما رفع ، على عاتقه، من اعباء لم يكن مضطراً الى معاناة شدائدها

وتأفف ذات يوم ،على مسمع من الام، من حالة بات لا يطيقها. فتضرعت اليه السيدة زكية ان يتابع بجهوده بخلقه الاثيل. فلم يبق غير شهرين للخلاص من دمامة اللاطخة . ومـا ان يبدو النغل حتى تنبذه . والاجهاض شر من الولادة . وليس للنبيل الطبع ان يتنكر لرحابة المعروف

على ان هـذا النبيل الطبع يوشك ان يلفظ الروح خجلاً من القاصمة . فالمصرف وامواله لا تخفي ظلاً من قباحة الدنس ، المنبسطة باهوالها ، حتى تكاد تحجب وجه الشمس، وتسد الافق

وما فتىء خليل حنون يظهر في اضطراب لب . فهل ندم على سماحه ؟ ... لم يكن ممن ينكصون عن مأثرة . الا انه اخذ يحس بان المبرة كسفها وبال الغواية. فاعطى وسعه، ومابرح الخبائة طاغية على جسامة البذل. كأنه اجهد ، في الباطل ، جهده المبرور

Twitter: @alqareah

ورقب هذا المصير القاتم . ولكن ليس بهذه الفلاظـة ، وكلما لاحت له من كتبهـا على نفسه رمدت عينه . وهو اذا سكت ، فالجيران والمعارف لن يسكتوا ، وفي ايديهم سفر الحساب ، يحصون فيه الايام بالدقائق والثواني ، مخافة ان تخونهم الذاكرة . وانهم لينسون انفسهم ، ولا ينسون من حولهم ، والشوق الى لوك الصيت يحدوهم على التنقص من كل مخلوق . كأن الضمائر تشقى اذا سلم ذو رمق من نجاسة الطين

والمعارف والجيران تعجبوا من اثر الحبل الذريع في منى ، وما انقضى على زواجها الزمن الطويل . وتهامسوا فيما بينهم بخبث لئيم ، قائلين بصفاقة : انكشف السر . فما انحنى نادر يمين ، على السابلة ، يلتقط غفاشتها ، لسوى اخفاء قباحة ابنته . فليس خليل حنون غير ستار مسدول على الحرمة المنهوكة . والا فلم يكن له ان يرعى في هذه الخميلة ، وهو الصعلوك الدعي !

واتسع للتهكم ميدان رحيب . وللشماتة افراح ، كالاعراس ، يقرع فيهـا الطبل ، وينفخ في البوق . وافضى التدقيق ، في العد والاحصاء ، الى الامعان في نشر الفضيحة . فوضعت منى بعد ستة اشهر من زفافها الى خليل حنون

وانعقدت في بيروت ، على بكرة ابيها ، مجالس التشنيع . ان يكن نادر يمين في الاغنياء ، فما يعدو المهازيل في السمعة ، وقد عاد الى منبته . فالمال لا يكسو من نشأ ، في المكرمة ، عريان الجذور

Twitter: @alqareah

ورثت ، في المصرف ، ضحكات السخرو . ورنت العيون ، الى خليل حنون ، بازدراء بانك . . ما تصدر المكان الا وقد ادى :ن الصدارة انفته . وشاع في القول والنظر حافل الزراية . ولولا مضاء خليل ، في التدبير ، ، للتي في العاملين لديه شرراً من عصيان

وتناءت البسمة عن واهب الفداء في قطيمة لا رجعة عنها . وليس للمحبور ان يستقر بنفس تكابد شراسة التعذيب . وبالغ في القهر ان تستبقي منى جرثومة العار . فما نبذت طفلها النغل ، كما عاهدت عليه أمها ، بل استبقته بحرص ، وهو يحبو ، الى النور ، ذكراً أغر . ولم تقم وزناً لنصح ، ولا لدعوة الى خلع شاهد الذلة . بل قالت تغالب فيه المصارمة : ماذا عليّ وقد احتضنته ، ولن يكون نصيبي ، في كل حين ، من عطايا زمني الاولاد الذكور ؟ . . . ثم اني المجانية عليه . فكيف ازيد في التجني ، فاطرحه بين اللقطاء ، فيضيع ، ويعيش مكدوداً ، مهاناً ؟ . . . ولدته ، وعليّ ان اعتني به ، ان لم يكن تكفيراً عن الاساءة الى روح ، فعطفاً على بريء !

فتبرمت أمها بهذا البيان العنيد . وهو اذا اعتصم بالحق ، فانه لينافي العرف . قالت السيدة زكية ، وما ترغب في سوى رؤية خليل مطمئناً الى بذله الابي : ولكن زوجك ليس مجبراً على الرفق بولد حبلت به بالاثم ؟ . . . فان سمعته لتقف به عن جميع هذا الشين !

فابانت بشدة تستعصي على المأنوس : الطفل ابوه . فاذا انكره ناجله ، فهو ابني . دعوه لي . احسبوه لقيطاً شاقني ، فتبنيته . ومن

Twitter: @alqareah

المحال ان اجود به على اوكار المجهولين، فيلعنني عندما ينجلي له مبلغ ما يعروه من خسة !

ـ أما يلعنك وهو ينشأ في حضنك، يوم يلمّ بسر مولده ؟

ـ ساعتذر له عن ضعفي، فيرأف بي !

وتمادت في الاحراج . فهي تبخل بامومتها على الاندثار، حتى مع عارها. وراع خليلًا ان تستطيب العيش بذكريات الكبوة . فما يهيب بها الى الاصرار على الاحتفاظ بجدتهـا على الخلاعة ؟ ... أما تزال تهوى من غرّد بها ؟

على ان من وهب ابي ان يسترد، مع بليغ نفوره من هـذا الاستسلام الى مشوّهات العفة، والاستخفـاف بجسامة الفدية . فالرحمة، وهي من صلب الرحابة دنيا لا قرار لها، تصبر احياناً على الكفران باياديها . وصبر خليل حنون، وشاء ان يكون صخرة. فلن يهدم ما شيد من مبرة

وانحنى له نادر يمين والسيدة زكية اجلالاً . وما ندّ عنهما ان الاحسان جاوز حد العطاء. وغاظها من منى ان تزري بنبل التضحية، في من اقدم على انقاذهـا من شناعة اللوثة . ولكن منى مضت في تنكيد هـذا المجازف بشرفه لدعم شرف أسرة . كأن المعروف قذى في عين من يسدى اليه، وما يزال المحسن عدو نفسه . فاذا دنا منها خليل ملاطفاً، مستطلعاً امرها، تجاهلته، وما تفتأ تجد فيه فلاّحاً خانعاً

Twitter: @alqareah

وشعرت الام بهذا الجفاء الارعن . ومـا اشتهت ان تبصر ، في دارها، خليل حنون مخضود المهجة. فعادت الى ابنتها موءنبة. وليس نصيب المنقذ المهانة . فرشقتها منى بعينين شرستين ، ودمدمت عليها بقولها : ألا ماذا يرتجي بعد كل ما بلغ ؟ ... رضيت به زوجـاً . وتخليت له عن حقي بثروة ابي . فهل يطمع في ان يراني اسكب على رجليه العطر ؟ ... ألا ابلغيه اني نفحته بما يعادل صنيعه . وليس له ان يمتن عليّ برجاحة السخاء ، وقد بات ، وهو يأوي الينـا ، رجلاً مبسوط الجاه والنعمة !

فكادت السيدة زكية تلطم خديها مولولة . ابنتهـا تتغاضى عمن اراق لاجلهـا شمم الانفة . ونبرت ساخطة : ليس لهذا الفادي ، العابث بحميته ، لصون وجهك من الكسوف ، ان يعاني فيك هـذا الافراط في الضيم . فليتني له جانبك، كي يشعر بانه ما اضاع رفقه في انتشالك من فدح النكبة !

فصاحت وما تنيء الى هدى : دعيني من الترهات.لولا ثروة نادر يمين لتباعد عن ان يمدّ اليّ يداً. وما لي وله وقد ادرك الوطر ؟ ... انا ممن يأنفون من اكبار المروءة المرتزقة !

فادمت قلب أمها بما تبدي من مكابرة . وهل للسيدة زكية ان ترزأ ابداً بمن تهوى ، فيميل هذا الجماح الانكد بخليل حنون الى الرحيل عن دارها ، وجلّ مطمعها ان تبصره بقربهـا ؟ ... وهتفت بابنتها وما تنفك تندد بها : هل تزوجتما كي تشقيا ؟ ... كنا بحثنا لك

Twitter: @alqareah

عن سواه لو دار في خلدنا انك لن تطيقي مساكنته . ألا اشفقي على كبده ، كما اشفق على سمعتك ، ولا تطيلي التجني !

وايقنت ان منى لا تحب خليلًا . فان بين القلبين لهوة عميقة لا يلتقي جانباها . ولكن اين تبدو عيوبه لهذه النافرة منه ؟ ... فالبهاء فيه . والشباب منه على فضفاض الذخر . وفي طبعه كرم . والنعمة لم تبطره ، وكأنه ليس حديث العهد بها . وما بين حوانيه موطن للغدر . أتظل منى على هيام بذلك المتناني ، المحتال ، وقد اذل خيلاءها ؟ ...

وما توانت الابنة في الجهر بكرهها لخليل . قالت لا ترعى للجميل حرمة : لا تحمليني على ما يهون فيه وسمي . اكرهت نفسي على مودته ، فما كانت تلبيني . وكيفما نظرت اليه اجدني حيال من لا تضيء له ، في خاطري ، بهجة . فهو ما يبرح ، في عيني ، فلاحاً مقيتاً ، مع ارتدائه اغلى ثوب ، وجلوسه في ارفع مكان !

فبالغت في تحطيم رجاوة أمها . وصاحت السيدة زكية بطامي الجزع : ومن تحبين اذاً ، وانت لا تميلين الى من بذل نفسه في دفع العار عنا وعنك ؟ ... أما تزالين على شغف بمن جنى على طهارتك ، ومرّغ ، في الوحل ، صيتنا وصيتك ؟

فبكت منى قهراً ، وأمها تذكر في مسمعها شناعة رئيف . وما استطاعت الا ان تقر لضميرها بانها ما تبرح على دين الماجر الوغد . فانها لتهواه ، مع خطير اذيته . وثمة نفوس تعبد النار ، حتى على احتراقها بها . ودنت الام من ابنتها ، فيما تبصرها تذيب عبرتها ، وضمتها الى

Twitter: @alqareah

صدرها تقول ، وهي تشاطرها رشّ الدمع الاسيان : لم يبق من سبيل الى فسخ ما أبرم . بات خليل زوجك في عرف الله والناس . وكل ما عليك ان تسكني الى حظك . والقناعة فضيلة ، يا ابنتي . ثم انت على ضلال في قولك انه فلاّح ، والكياسة من طبعه ، والتأنق مظهر فيه عريق. لا ريب ان الوهم سطا عليك، فصوّره لك حقيراً، وانت تبصرينه عاملًا في مصرف ابيك . على ان اباك نفسه لم يكن يعلو ، في نشأته ، مقام خليل حنون . فلا مقياس للرجال ، يا ابنتي ، وهم اشبه بامواج البحر . يغيب وجه، ليبدو وجه. وقد يكون هذا البادي ممن لفظتهم اعماق اللجة . خليل ما تزوجك طمعاً في المال، وقد صارح اباك بانه لا يبالي، في زواجه بك،الثروة، ولا المكانة. بل يلتفت الى الذود عن سمعة من اجاره في الضيق . وما كان لنا ان نجرؤ على رفع الرأس، في الناس ، لولا رفعة هذا السماح. فلا تغمطي الفضل ، بل اذكريه . والكريم من لا ينسى اليد البيضاء . وكافئيه ببعض ما يحس به انه لم يسبغ رحمته على لئام . وما يطمع منك في سوى الانعام عليه بفضلة من شغف !

فلم تكن تجد ، من نفسها ، دافعاً اليه . وأن يكن ذا مأثرة في ستر القبيح . فان منى لتخجل من هذا الماحي عارها ، وهو الملمّ بدناءتها . وهتفت بامها متأففة مما تلقى من اقلاق : انا اتمثل فيه ديّاني القاسي، المتطاير العينين سهاماً تغرز في إبائي،فكيف يحبه فؤادي ؟...

ويزيد في كرهي له ذاك الوجه العابس ، المتعالي ، كأنه من ارباب

Twitter: @alqareah

الجلال ، فلا تتحرك الارض بسوى رضاه . ونسي انه كان ، لسنة خلت ، احقر عامل في مصرف ابي !

فاخذت السيدة زكية تخفف عن ابنتها بقولها : أما اوضحت لك انه يملك ، وهو في غلواء الشباب ، حكمة الشيوخ ؟... عبوسه عنوان الوقار ، وفيه رزانة ورشد . وما كان خليل في المزهوّين ، وقد عرفته ذلك الوديع الحيّي . على انك لو ابتسمت له ، للقيت من أنسه ما يقيمك على رضى . ولكنك تتهنينه مع خلقه الحيّ ، فلا يطيق !

ــ ان يكن لا يطيق ، فليرحل ، وما شددناه بحبل وثيق . أيغوص في عوارفنا،ويفرض علينا تمجيده صباح مساء، كأنه الله ؟... ليحسبني في الاموات ، وليبحث عن سواي.واذا غلوتم ، في التضييق عليّ ، دفعتموني الى الانتحار !

وجلا عنها كل إطمئنان الى حالها.فما يبرح صدرها ينوء بكابوس اخفاقها في صادق ميولها . فمن تهواه ، نبذها . ومن تمحس حياله بانها هامدة الشوق ، تزوجها . فكيف تحتمل ملتهـا ؟ ... وما افاضت بالباطل حين قالت انها لا تقوى على الولع بمن ترى فيه ديّانها . فانها لتبادله العاطفة تكافأً ، لا كلفاً . وليست المصانعة ، بين الزوجين ، من ضروب الالفة الوازنة

وهل تصفو مشارب ابنة نادر يعين لمن يتراءى لها فيه ابداً ، حتى على واهي الظن،انه يعيّرها شذوذها،فتخافه،وهي تحسبه يزدريها ؟...

Twitter: @alqareah

ان الحب الندي ، الماتع ، ليستدعي ، في قراره ، وسادة من امان . واين الامان بين قاضٍ وخاطئة ؟

وخشيت عليها أمها من قتل نفسها . وكل ما لاح لها منها دلها على كونها ازاءه يائسة ، تبتغي الخلاص من قسوة الدهر عليها . فانكفأت السيدة زكية تنادي بهزيمتها ، وتهب لابنتها من الوقت ما تخمد به سورة احقادها . قالت تخاطب خليل حنون : صبراً عليها ، وما تستمسك في البقاء بسوى حشاشتها !

فلاذ خليل بالخرس ، ولا حيلة في مغالبة القدر . غير انه عرف لؤم الشوك في الغصص . وطال انكبابه ، كي ينسى ، على اعماله في المصرف . وتمنى ان يظل الى منضدته ، يكتب ، ويجمع ، ويطرح ، ولا يرقص في عينيه غير ارقام تغنيه عن نجاسة البشر

وغاب مغنى نادر يمين في وحشة المقبرة ، كأن الغواشي لبدت به ، تأبى ان ترفع مرساتها . انها لفي ميناء اسفع ، تصفق في جوانبه اجنحة الغربان ، وتنعق على صواريه رفوف البوم . واني تأوي السعادة الى مراقد الجماجم ، ومناسف الاشلاء ؟

Twitter: @alqareah

٢

لمياء الصغيرة ، المتأججة الفهم ، مـا تبرح تطوف حول دار آل الاشهب، في طريق النهر . فتدفعها سيدتها منى كي تتجسس على الدار، وتحصي عليها حركتها وسكونها

هل عاد رئيف ، او انه ما يزال محتجباً ؟ ... وهل درى بمـا اتفق لمن هجرها ، وفي احشائها منه اثر ، او انه يجهل ما صارت اليه في بليتها ، وما يحفل بضحاياه المتشحّطة بدمها ، كالغزاة في غارة عابرة ؟

منى ترغب في الاطلاع على الخبر. وانها لتفكر في قاتلها تفكيرها في نفسها ، وما يقصي عنها وليدهـا شبح ابيه ، الملحّ في الهجران . فتبكي ، ولا يهادنها دمعها . وتلزم سريرها حابسة اياها على شجنهـا وطفلها ، سائلة نفسها : هل للحب ان يخبو كالومضة ، وهـل للمكر ان يتوقد ، فينسف الارواح ، ويدوسها بقدميه ، كأنه يطأ ورقة صفراء ، بالية ؟

ويثور فيها الحنق. وتحتدم اللوعة ، في القلب المعنّى ، فتغرز فيه اظفارها بخشونة بانكة . وتتوالى المناحة لا تهدأ . ويصول الهول عارماً . كيف انتهى الميثاق الى حشرجة ؟ ... وتنهض منى، عفواً ،

Twitter: @alqareah

كأنها تناوىء كابوس الختل الثاوي بصدرها ، فتروم زحزحته عنها لا . انها لفي حلم . رئيف لم يهجرها . سيعود اليهـا ، والى طفله اللدن . أما يشوقه ان يرى ابنه الصغير ، الجميل ، وفي فمه نداء خميل يتحفز للانبثاق ، يدعو به اليه من انجبه ؟

وتطغى عليها المرارة، فيما يلمع ، في البعيد ، بريقٌ من رجاء. وتوفد خادمتها الصغيرة لمياء ، الى طريق النهر، كي ترى. وبين الحواني امل بعودة النائي الى مرتع الهيام

ولكن لمياء ، وما تجهل رئيفاً ، ترجع على اكتئاب . عينها لم تقع على الهاجر ، وما يزال مختفياً ، هارباً من وجه الحق. وتنسكب مدامع الخادمة الصغيره فيما تبصر مولاتها تسفح الدمع. وكأن الطفل، الملتفّ بالاقمطة ، يحس بانه في مأتم الحنـــان ، فيشارك الاثنتين في الصائحة ، ويعلو بكاؤه الملتاع . فتشهد الدار اوجع فصل، من فصول النواح، على ميت يستطاع نشره، لو صفت الطوية. وهذه القدرة على النشور ، المتماسكة عن شأوها، تمعن في تفطير المرائر وتفتيت الاكباد

وتتوالى الفاجعة بلا امساك . ولا طاقة للنفس على حياة ذوى ريحانها . غير ان لمياء الصغيرة ، اليقظى ، ارتدّت ذات يوم متوّردة الخدين ، عالية اللهاث ، الى سيدتها ، تعالنهـا بتوقد البهجة : اقبل ، يا مولاتي . فهو ، منذ امس ، في دار ابيه !

فهتفت منى باغتباط رهيف : أيكون هنا ، يا لميـاء ؟ ... وهل ابصرته بعينيك ؟

Twitter: @alqareah

فاجابت الخادمة الصغيرة متحمسة ، ومقلتاهـا السوداوان ، الكحيلتان ، في ضرم : ابصرته ، يا مولاتي . فاطل من الشرفة وبيده لفافة يدخنها . وحياه نفر من المارة يهنئونه بالعودة ، فردّ لهم تحيتهم شاكراً !

فكادت تعانقها ، وقد غمر الطرب بالها . ونفحتها بقطعة من النقد، وللبشارة غـالي البدل . فقالت الصغيرة لمياء بماتع الجذل ، متهالكة على الاخلاص في الخدمة : اذا راق مولاتي ان اسير اليه في رسالة ، او حديث ، فاني لعلى أهبة !

فتريثت ، مع محتدم شوقها الى من لا يفتأ يقيم ، مع كيده ، بجنانها . لن تميع حيال كاسر ضلعها . غير ان رجوعه محا من نفسهـا القلق ، وحفزها الى ارتقاب السوانح في لقائه ، ولن تفوتها

وليست تجهل ما ينظم ابوها من ضروب الانتقام لاطاحـة آل الاشهب . فاستأثر بجميع ما يترتب على مصرفهم من ديون،ليكرههم على ادائها بلا تؤدة. فاذا احجموا عن الوفاء ، اعلن عجزهم، وحرمهم ما يرتعون فيه من مكانة وثروة

وسمعته ، منذ ايام قلائل ، يفاخر بنجحه في المسعى . فاذاع ان الضربة ستكون ماحية ، وقد انذر وفيقاً الاشهب بضرورة البرّ في الذمم . والا فلا على نادر يمين اذا اقدم ، في استيفاء ماله ، على مـــا يبيح له الحق الملآن

وللمرة الاولى ، بعد فاجعة الحية ، تشاهد منى يمين اباها يضحك

Twitter: @alqareah

راضياً عن نفسه ، كأنه استعاد المسرة . ولكن ضحكته لم تنبسط عن صفاء روح ، بل عن ضغينة اطمأنت الى شراستها ، فشاقها الاسترسال في الخشونة . فهل درى رئيف ، فعاد لبعث ما اعطب ؟

ان يكن دعي ، الى جبر الكسير ، فلا بد من مثوله بين يديها ، معتذراً ، متشفعاً.فتقف منه موقف السيطرة، لا الاستكانة.والا فلن تعدم اليه السبل ، وهو ملء سمعها وبصرها

وملكت الهمة ، وقد اشرق بعض.ما خبا من مضائها.فجلست الى المائدة ، بين ابيها وأمها، تسترق مقال التشفي.ولم يعقل ابوها لسانه، فابان يذيع نصره: باتت انفاسهم بيدي.غداً ينادى باسقاطهم من عصبة ارباب المال . وكل ما يحوي مصرفهم ، من نقد ، لا يكفي ربع ما عليهم دفعه الي".واذا بيعت دارهم ، فانهم ليتحررون من ثلث الدين المستحق . اما وانا ابتغي بدل الديون جميعاً ، فلن يقووا على الوفاء . وما على العاجز الا ان ينأى عن ميدان لا تثبت له فيه دعامة. اعتدوا علينا ، فعاملناهم بما وجب في المتجاسر الدنيء.لن يطلع عليهم الصباح الا وهم في ذوي المسكنة والبلى !

واعتد" بسلطانه . فمن طحنوا كرامته ، ذرذرهم رماداً في مهب الاعاصير . غير انه ود" لو لم تنشب الداهيتان، وفي كلتيهما صاعق الويل . اما وآل الاشهب سبقوا الى التجني ، فليشربوا من خابية اعتصروا بانفسهم صهباءها

واتضح لمى ان ساعة الدينونة أزفت . ابوها لن يعفّ عن

Twitter: @alqareah

الانتقام. وليس لمن ظلم الا ان يذوق مرارة العسف. وشاءت ان تدافع عن قاتليها، وما تبرح ذات حنين. غير انها جهلت ما تدافع به عنهم، ودمها على شفار نصالهم. فلزمت الصمت، والامر مرهون بموقف رئيف منها. وما يزال في الوقت متسع، حتى اذا انقضى، في الصباح، الاوان

ولكن أتجرؤ على التماس الصفح عنهم من ابيها؟ ... هل جُنّت مني يمين؟ ... قد يكون اصابها جنون. الا انها مجرورة بميولها. وفي ما تمالنها به هذه الميول انها لوالد ابنها. هذا من تحب، لا ذاك المتنائي عنها، مع التصاقه بها

والحب يزري بالبرهان، وما يخضع لسوى وحيه. وبه، وحده، يستهدي. حتى اذا قاده الى العمي. ومنى ما أُوتيت القدرة على الشفاء من حبها الكاسر، وإن تكن مناسره غاصت في قلبها، تنقذ حبته بفظاظة

واحست بان رئيفاً مقبل عليها، ان لم يكن بدافع من غرامه، ومن حنوه على ولده، فبحافز من لهفته على اهله ونفسه. وليس له ان يبصر ثروة ابيه تذوب كالشمع مسّته النار، وان يصبر على ذوبانها بنفس راضية، فيما يقوى على انقاذها من الانتثار، والنجاة من البؤس والحرمان

وتوطد في خاطرها ان رئيفاً نودي من مصر للقيام بالمهمة. والا فما يحدوه على الانسلاخ من غربته، ولن يلقى في بلده غير العتب، والاحتقار، وربما القتل؟

Twitter: @alqareah

وانتظرت بارتياح ساعة يبدو لها . وستخلع عنها الزوج الجاثم بصدرها كالمصيبة ، يحرج فيهـــا طلاقة الانفاس ، لتهفو الى من لا تزال تقيم له من مهجتها اكرم ملاذ . هي لوالد ابنهـــا ٠ وليغضب الحق، والشرع ، والعرف. فالقلب لا يستقر الا حيث يطمئن . ومتى لا تقوى على معاندة قلبها

وابى حدسهـا الا ان يشق طريقه . فدخل المنزل من يخاطب نادر يمين وامرأته بقوله : رئيف الاشهب يقرأكما السلام . عـــاد من مصر بعد غيبة اكرهته عليها طوارىء قاهرة . وهو يتعجب من عقدكما لابنتكما على سواه . مع انه بها على صلة وطيدة ، وما نسي ما عاهدها عليه من زواج !

فدمغ نادر يمين بما اعلن من هراء ، وقد وضحت للاب المنكود الحيلة . ما يكاشفه آل الاشهب بهذا البيان لسوى دره حمه عنهم . واندلعت فيه احقاده ازاء هـذا المكر كله ، فصرخ باحتدام: هل تذكر الآن الخسيس ؟ ... ألا ابلغه انه تأخر عن موعده . بل قل له اننا لا نعرفه . وليس له ان يسوق الينـا الكلام ، ولا ان يبدو فينا ، والا ادى عن وقاحته دمه !

وانتفضت السيدة زكية سخطاً ، تنبر بغيظ جامح : الى اين يريد السافل الوصول بنا ؟ ... ابنتنا تزوجت ، وتأنف من الالتفات الى امثاله . وما لنا وللزعانف يقلقون فينا الصفاء . فليبحث اللئيم عن سوانا يلهو به ٠ نحن لا نلقي الى الانذال بالاً !

Twitter: @alqareah

فلم يرهب الرسول النقمة الفائرة ، وقد جاء في قضاء حاجة تثير الموجدة ، بل مضى في البيان يقول : رئيف يدعي ان له في هـــذه الدار وديعة ، ويشوقه ان يتسلمها !

فزعق نادر يمين ، وما كان يتمالك : أوديعة للص عندنا ؟ . . . وما هي ، ما هي ؟ ... أما يكفيه ما سلبنا ؟ ... ليخرس ، والا اخرسناه حتى الابد . واذا عدت الى الحديث عنه ، طردناك . اسم الوبيء سم في اعراقنا !

ولكن الرسول ما اقبل ليسكت ، وعليه اداء مهمة مرسومة . فقال : هو يزعم ان هنا طفلاً حبلت به منه ابنتكما . وانه ليطالب به اذا عزّ العقد اه على الفتاة !

فوثب اليه نادر يمين وثبة الضواري، يكاد يمزقه بانيابه واظفاره ، مجلجلاً ، وقد ضاع منه كل صواب : أُخرج ، أُخرج ، والا ذقت الويل . ما انت من سوى طغمته . ان يكن يخيل الى الوغد ، انه سيصرفنا بهذه المماحكة ، عن نيل حقنا من ابيه ،فقد ضاع عن هدفه. لن يبقى لمصرف وفيق الاشهب ظل . ولهذا الخليع ان يحتمل عاقبة دناءته . أخرج !

ودفعه الى الباب بخشونة .متى ظهر الانيم،وكيف يتجرأ على التماس الامانة ؟ ... أيجهل ما يتعرض له بجنايته على الاعراض ؟...والتفت نادر الى امرأته يقول ، واعصابه تلتهب : هل وضحت لك الخدعة ، يا زكية ؟... شعروا بانهم امسوا تحت نعالنا،فزحفوا الى استرضائنا

Twitter: @alqareah

كي يسلموا من بطشنا . ولكن بعد ماذا ؟ ... سنبطش بالانذال بلا رحمة . لقد استجدينا رحمتهم يوم انزلوا بنا الضيم ، فابوها علينا . وليس لهم ان يطمعوا في حلمنا حيث وصمونا بالشين !

وبربرت السيدة زكية ، واستطالت في الطعن بلسان كالمشراط. وسمعت مني فتعاظم فيها الشوق الى الهاجر العائد . فلماذا خاطب الرسول اباها وأمها دونها ؟ ... ان موقفها ليختلف عن موقفهما من التائب عن الزلة ، الطامع في التكفير . فان منازعها لتهيب بها الى الصفح ، والعودة الى ما انقطع من حلو التعلة . وتململت ، وشقّ عليها الصبر . وخطر لها ان تسير بنفسها الى رئيف. أتوفد اليه لمياء ، فتبلغه ان مولاتها تريد رؤيته ، فأين تلقاه ؟

غير انها لم تضطر الى هذا الجهد الناصب. فما كاد الرسول يغيب ، ويذيع اخفاقه ، حتى بدت في مثوى آل يمين احدى صديقات مني . وهي من الواقفات على مدى الصلات بين الحبيبين المتباعدين، لارضاء دلال والدة مزهوّة، متطيّرة ، تراءى لها في مني شبه زكية ، أمها ، فاقصت ابنها عمن وهبت له زهرتها ، تضرم الفتن في كل صعيد

والصديقة ما توانت ، لدن خلت بمنى ، في اعلان ما أطلّت فيه. رئيف بنفسه مال بها الى هذه الزيارة . وانه لعرضة لوخز الضمير . وما يرجو الا العفو ، والرجوع الى مستقر الصبابة ، وقد ادرك ما يكلف المهجر من عذاب ، وعناء . وكم يلوم نفسه لاصاخته الى امه . فلولاها لجرى في مهب ولوعه. ولقد حز في اوصاله الندم. وما يلتمس

Twitter: @alqareah

الا النهوض حيث دهمه العثار . فهلا اسعفته مني على بلوغ المراد ؟

وأصغت ابنة نادر بين الى القول المهفهف ، الفاتن ، وكأنها في نشوة خاطفة تخاف عليها ألا تتماسك. أيعود اليها رئيف ؟ ... وسألت عنه صديقتها بلجاجة : ولكن اين هو ؟ ... أليس لي ان اراه ؟

فابانت الصديقة ، وما تشتهي غير التمهيد الى اللقاء : ما يرجو الا المثول بين يديك . ولكنه يخاف ، وما يجهل ما اجترح . أتأتين الى منزلي اذا دعوته ، وهناك تتسع لكما المناجاة ... بامان ؟

فرقص فؤاد مني حبوراً . صبوتها ما تعدو هذا المدى . قالت وجميع جوارحها تنطق فيها : هذا جلّ مبتغاي !

انها لتحترق شوقاً الى والد طفلها ، متناسية فظيع اساءته اليها . فاعلنت الصديقة مغتبطة بفلاحها في اداء رسالتها : اذن تعالي. وليجهل جميع من في هذه الدار ما تندفع فيه . رئيف عندي ، بالانتظار !

فبلغت النشوة ذروتها . وألقت مني الى كتفيها معطفها، وكأنها تتهدهد على اكف النسيم ، وما ترصد غير هذه الاشارة . واوضحت لمن في المنزل انها في مأوى صديقتها ، وستعود . ودرجت على عجل الى من لا يزال يقتعد لبها ، بلا شريك ، وكأنها تطير . ومضت في سؤال صديقتها عنه بكلام متقطع ، سريع ، وهي في شره الى نفث حزازاتها : هل راقه ان نصير الى هذه الحالة ؟ ... لم تكن أمه بجانبه لما صارحني بانه يهواني . وكيف استطاع ان يقضي، في مصر ، هذا الزمن الطويل ، دون ان يسأل عمن ابقاها بعده في انكد

Twitter: @alqareah

حال ؟... وفي م َقضى هناك ايامه ؟... ليس الغدر من شيمة المحبين الاوفياء !

وتعجبت شديداً ، من نفسها ، كيف تسير الى قاتلها ، ومن حقها ان تتمنى له الموت ، وان تحتجب عنه بمقت واضطغان . الا ان ما عانت من مضض ونفرة ، بجانب خليل حنون ، اعادها الى الشغف بهاجرها . وكلما زقزق لها طفلها جنح بها الى ابيه . وذكريات الحب ترجع بالافئدة الى ما تصرم من حنينها . فتشتهي ان يطل عليها الوجه الغارب ، وان تنعم بالالفة المطوية البساط ، وخصوصاً ان تكن القطيعة تكتنسي الجفاء

واخذت الصديقة في التمويه ، تستر الزلة بالقول اللين ، المستجدي من السماح وجيه العذر . والا فلا عذر ، والخيانة ناخمة . قالت منى توضح ما لقيت في حب رئيف من عناء : ان تكن أمه لا تريدني ، فان أمي لا تريده . ومع بالغ سعيها للفصل بيني وبينه ، لم اشأ ان أصغي الى تحذير ورجاء . على ان طعنته الماكرة اظهرتني غبية ، غرّة . فامسيت لا اجرؤ على الالتفات الى أمي ، ولا على مصادمتها في رأي . لقد اذلني رئيف حتى اصبحت التمس الموت !

ولم تقو َعلى امتلاك غيظها ، مع رضاها عن لقاء ناحرها . وولجت منزل صديقتها وهي ترتعش ، وقد جاءت تلبي نداء من لا يزال خنجره الخاتل غارقاً في فؤادها . واهتزت بعنف لدن استقرت العين بالعين . فتراخت عزيمة رئيف ، وتولاه الخجل ، وقد تجلى له مبلغ

Twitter: @alqareah

لؤمه . انه لاحقر من ثقاب منطفىء . غير ان الضرورة ، الفارضة عليه هذا اللقاء، حفزته الى التهالك، والوقوف في مهب الزوبعة . فمشى الى مني على فيض من كسوف ، يقول ببسمة ميتة، وبكلام ذليل : مرحباً بالحسن الاتم . كنت مؤمناً بانك ستأتين ، وليس لك ان تعرضي عمن كبا ، فنسي ما عليه !

وانتظر ان تمدّ يدها لمصافحته ، وما تجرأ على بسط يده ، لئلا تمنع عنه راحتها. ولقد بخلت عليه بهذه الراحة، ووقفت منه بحنق تسدد اليه النظر الشزر ، وفي محياها اكفهرار ، وفي صدرها نار تجيش ، وتشدّها الى الاغارة على الخائن، فتنتزع من بين حوانيه كبده. وهدرت بصوت ترعد فيه ثورة المظلوم ، الماثل باسماله واشلائه حيال ظالمه ، يطالبه بدمه : أتتجاسر على دعوتي اليك، ايها الخائن ؟ ... أما تنبض في روحك فضالة من حياء ، وقد ذهبت بالحق وبالوفاء ؟ ... ما يطيب لي سوى امتصاص دمك . فماذا ابقيت للصوص ؟

فلم ينكر ، في اعماق نفسه ، انه لص وقح . ولو ملك امره لظل محتجباً عنها ، وليس له ان يبصر من جازاها بشر كفران . الا انها المصلحة ، الغلابة ابداً. قال وما تزال البسمة الميتة منشورة في اساريره، والكلمات الذليلة تتصاعد من شفتيه : ما عدت لسوى التماس العفو والتكفير . فاني لاقرّ بجريمتي ، وقد نبوت عن موطن الشرف . ولا أُخفي عنك اني عانيت من توبيخ ضميري ما حرمني بهجة ايامي . وما ابتغي من لقائك سوى مسالمتك باني اطمع في اعادة ما بيننا .

Twitter: @alqareah

سامح الله من فصلني عنك ، فجنى على صحيح الهيام !

فصرخت به وما تنفك تستعر حقداً : ان ما ترغب،في استعادته، بات كل طريق اليه مسدوداً . وما احسبك تجهل اني تزوجت ،وقد جاء من يحمل عني عاراً انزلته بي . أتقتل بلا رفق ، ثم تقبل على من اختطفت انفاسه ، فتبتغي منه الصفح عن غدرك به ؟ ... ولكنه امسى في التراب ، فانى تدركه ؟ ... انت قاتل اثنين ، انا وابني . ولقد ابقيتُ هــذا الابن في حوزتي ، وهو من صلبك ، ليشهد على سفالتك في يوم الحساب !

ووثبت عليه تلطمه،وتنشب في وجهه اظفارها،وما استطاعت الا ان تنطلق في تيار نزوتهــا . ولا بد لسورة الحقد من انفجار . فلم يتحرك رئيف ، بل ظل واقفاً مكانه ، مكتوف اليدين، وهو يجمجم بهوان : لن اصدك عن بلوغ مدى انتقــامك مني ، اذا عزّ عليك الصفح. فانا مجرم داس الحق ، ولك ان تنتصفي ممن جنى بنذالته على فؤادك النبيل !

ولم يختلف موقفه منها ، عن موقف والده من ابيها . والخاطىء حقير جبان.وحاولت الصديقة ابعادها عنه، فقال باستسلام المستكين : بل دعيها تشتفي . لم اكن حيالهــا من الراسخين في الحفاظ . واني لاشعر بمبلغ اثمي !

ومضت منى في هياجها تقول بتفافم الحدة : أتقبل لسد الثلمة ، في المبنى العائب، بعد ما انهار البنيان كله؟ ... موارب، محتال. لن

Twitter: @alqareah

يقتلك غير هذا الصغير النامي في حجري . وساقص عليه حكاية ابيه الوغد . واوغر عليك صدره. فينتقم لي ممن جنى على سعادتي ،ونبذني عرضة للصغار والسقام !

فهتف مجاهد في اخماد فورتها : ولكني ما جئت الا لاتزوجك . فانت امرأتي . والصغير ابني !

ـ وكيف تتزوجني وانا امرأة سواك ؟

ـ بانفصالك عن هذا الخامل زوراً اسم زوجك . وما زوجك سواي . انا ، انا رئيف الاشهب ، دون اي كان، بعل لمنى يمين !

وانقض عليها يعانقها بشدة . ويقبلها في مبسمها ، وفي جيدها ، بلظى عرفت فيه لهبة الامس السعيد . فغلب عليها دمعها ، واخذت تشهق ، وهي لا تنسلخ من قبضة رئيف . هذا هو حبيبها الاوحد ، من تطمئن الى قربه وحنانه ، وما يخرج عن كونه والد ابنها

واحس كلاهما بانه تداعى حيال الآخر . وبكيا بصادق الالم . ما ارادا لانفسهما الهجران ، والفضيحة ، والعذاب . ولكنه الدلال الاهوج ، المستقوي . قال رئيف يذيع ندمه : قضيت ، في مصر ، ايام شدة وقلق . غفر الله تكراراً لامي ، وقد نغّصت عليّ صفو كأسي بسلخي منك ، فكان ان شقينا جميعاً . على اني رجعت اليك احمل شافي البلسم . ستكونين زوجتي ، وأنف الشرع راغم . واذا رفض ابوك وأمك ان تتخلي عمن تزوجك ، وكان لعثرتك ستاراً ، فلا تلتفتي الى سوى نبضة قلبك ، وما احسبك تمانعين في ان تكوني

Twitter: @alqareah

لناجل ابنك !

ورجاوتها لا تعدو هذا القدر . غير انها لا تركن الى موائيق رئيف ، وما تجلت لها موئل ثقة . قالت تبدي ارتيابها : أتستدرجني الى منحك عفوي ، وقد نزعت مني الايمان بصحة ولائك ؟ ... ألا كيف انسى ما اذقتني من هول ومرارة ؟ . . . لو رفقت بي ، وبخاطرك ، لبقيت بجانبي . غير انك عدو نفسك . فاسأت ، بهجرك اياي ، الى اكرم عاطفة تختلج في ضمير . وحدوت ابي على تهديدكم بنسف اموالكم . مع ان نادر يمين في طليعة اخوانكم الامناء. ولكن انتفاخكم الاجوف يتنكر لحرمة الذمم . وماذا يكون منا ، ونحن نعود الى هوانا ، غير التمادي في الخزي والمعصية ؟

فافحمه مقالها ، وما اعلنت غير الواقع . وندد بأمه ، بينه وبين مهجته ، وهي مصدر الويل. على انه ما ابتغى التلاقي للتكفير وحسب ، وو الداه على خوف من فاجعة الاملاق ، ونادر يمين يشهرها بيمينه ليقذفهما بها ، فيمحقهما بلا شفقة . قال رئيف يغالي في الاسترضاء ، ليستميل اليه هذه الحانقة المغبونة ، فترضى به زوجاً ، ويقي مصرف ابيه الهزة الناسفة : اوضحت لك اني كنت في الهجران مغلوباً على امري ، واني كابدت فيه من الشدائد ما تقرحت به اجفاني ، ورمدت عيناي . وما عدت اليك لسوى درء النكبة عن قلبينا معاً . واين التمادي في الخزي ، وفي المعصية ، وسأكون الساعة زوجك اذا شئت ؟

فاطرقت وهي تزفر بحرقة . ما تفتأ تعيش ، منذ نأى عنها ، في

Twitter: @alqareah

بحران. وزاد في ضعضعتها ما يعرض عليها. مع انها لا تجنح الى سوى هذا الزواج، ليقينها بان فيه هناءها. ولكن أيرضى والداها وزوجها عن عودتها الى من غرّر بها، ولا بد ان يقلقوا الثرى تحت قدميها، وان يثخنوا في اضطهادها، وربما قتلوها ؟

وامتزج زفيرها بانينها. قالت وحيرتها تجاذبها: ما أفتأ أحبك. فلماذا اكتم عنك منازعي ؟ ... وما اشتهي الا ان اعود اليك، وقد تزوجني من تضيق بـه نفسي، على افتدائه اياي بالاثيل الجزيل. غير ان ما سوف يدهمنـــا يروعني. فانظر بنافذ بصيرتك الى العوادي الواقفة بالمرصاد، وقل لي هل تملك القدرة على ردها ؟

وارتجفت باستخذاء. فالمجازفة خطرة. اذا سكت عنها ابوها، فلن يسكت زوجهـا، وللرحمة والحلم أمد. ولقد عرفت في خليل حنون المضاء، مع غلوه في البذل. فاذا احرجته، حتى هذا المدى، فلن ينام عن الطعنة، وسيجبهها باشد منها. قال رئيف، ومـا ينهد الى سوى الظفر: ستكونين لي على دين آخر. فان هذه المعـــابد المتعددة الالوان لن يبخل علينا بعضها بالارب. واني لابيك ولزوجك ان يقيا دونك الحوائل، وقد اخترت مصيرك ؟... فان من تزوجك لا ترتاح الى مـساكنته مهجتك، وانت لا تحبينه، وهو ليس والد ابنك. أتشقين طول عمرك ؟ ... قومي، ولنكن زوجين باسم الحب والحق. فما الزواج سلسلة تكبل الايدي، بل ريحانة تطيب بهـــا الانفاس. تعالي، ولتبارك كنا يد الانصاف والولع، فتنفحنا بالهناء !

Twitter: @alqareah

وقبض على ذراعها يجرّها الى الباب. قالت ولم تفقد روعها: لنكن على بقية من رشد. فحسبنا ما اجترحنا من طيش. انت مله تسرع، في التماس الزواج، كي تنعم بمودة مني يعين، وبمرأى ابنك منها، دون مبتغى آخر. فانك لتنشد، مع هاتين الامنيتين ـ واريد الايمان بصدقك فيها ـ انقاذ مصرف ابيك من زلزلة ترقبه، ويتوعده بها ابي. وساعينك على الانقاذ. فادعو والدي الى التريث في النسف. ونتفق على مخرج مما نحن فيه. وقد يرضى خليل حنون ان يتخلى لك عني، وهو نفسه سئم العيش بقربي، وما يلقى غير التنكيد!

فانارت خاطره بشماع من سليم التفكير. ان تكن تقوى على وقف النازلة، دون العجلة في العقد له عليها، فلماذا لا يسلكان طريق الامان؟... واستوضح بنهم من فضول: وهل يمسك ابوك اذاه عنا، وانت تتشفعين عنده فينا؟... ما يكرهه على صونا من الضربة القاضية سوى زواجي السريع بك!

وافاض، عفواً، بما جاء فيه. قالت، وهي الملمة بمطلبه الاهم: ساحمل ابي على الاتئاد في تسديد قذيفته. واخاطب خليلاً باخلاء سبيلي، وهو زوجي عارية. فيمسي كلانا في سربه. ويعيش ابننا مرفوع الرأس!

فراعته حكمتها. ان من الكلام ما يرجع بطيبه الشهد. قال وفي خاطره وارف بهجة: اذا اتسع لك الى هذا التدبير الرشيد، فقد ادركنا الاماني جمعاء. ولك ان تقودينا بعنايتك. وكلنا يجري

Twitter: @alqareah

في ظلك . فانا ، منذ الساعة ، زوجك . وابي وأمي يلتمسان رضاك.
فادفعي عنا الهوان ، ونحن طوع اناملك !

فعاهدت على العطاء بلا ونية . وكانت ساعة ندية ، حالمة ، من ساعات الرضى والرفاء

Twitter: @alqareah

٣

نادر يمين فائز الشكيمة . فما تجاهره به ابنته يضرم سخطه . فيصرخ بها وهو يشهر عليها قبضته ، كأنه يروم سحقها : هل تسفلت الى لقائه ومحادثته ؟ ... خفيفة ، حمقاء . أيهدم فينا منعات الكرامة ، ونرأف به ؟ ... اين هداك ؟ ... فهل نسيت ما انزل بك من مذلة ؟ ... ان هو الا وغد . توارى عنك كاللئام ، في احرج حالة . وما عاد لسوى الحؤول دون انتقامنا من نذالته ، ومن مكر اهله . أنعفو عنهم ، وارواحهم في قبضتنا ، وما اغاثونا ، يوم ملكوا اعناقنا ، فابقونا نئن تحت النير ؟ ... ما بايعت نفسي على سوى الانتقام من الرعاع . وسانتقم . وكوني بجانبي في تحطيمهم ، وقد شوّهوا ، بجنايتهم عليك ، أنفتنا جميعاً . ان في سعيهم اليك لحيلة دنيئة لن نذهب ضحاياها !

وتأججت فيه احقاده . فاحمرّ وجهه ، وغلظت عزوق جبينه وفَوْديه ، واحس بانه يكاد يتمزق . فادركت منى ، ابنته ، انها ضعيفة في تليينه . فالحنق يتفاقم في لبه ، ويزيد في عناده . وموعد الزلزلة غداً . فاذا طلع الصباح ، ولم تملك قياد ابيها ، في صده عن تقويض مصرف آل الاشهب ، فانهم ليتدحرجون الى الهوة حفاة ،

Twitter: @alqareah

عراة، وقد نبا عنهم كل رغد. قالت تغالب في ابيها عزيمته الجيّاشة: عرفتك من انصارهم. ولقد غاظك من أمي صدوفها عنهم. فما بك تدين اليوم بدينها، وانت تدري اني اشقي بمن زففتماني اليه، وهو نفسه يحتمل اعباني على كره منه؟... أفليس من الافضل ان تستقر الامور بمواضعها، فلا بؤس، ولا شكوى؟... انا أحب رئيفاً. وابني ابنه. فلماذا نفرض على خليل حنون اثقال ولد ليس من صلبه، فيضيق به، ونحرم الصغير اباه؟... دع عنك الغضب، واستمسك ببعض الروية، فتجد الهدى في ما احفزك اليه!

فصاح، وما كان يقوى على الاعتصام بهوادة، وهو المصاب بحميته: أيخيل اليك ان انفصالك عن خليل حنون شربة ماء؟... الاهوال دون ما تنزعين اليه. فالشرع ينهاك عن الانسلاخ بمن كُتب عليك. وسمعتنا باتت لا تطيق المزيد من الرضوض. ومن يضمن لك ان رئيفاً الاشهب يرعى عهده، لدن نخفف عن ابيه؟... لا تؤمني بالافاعي، وفي اشداقها الموت!

— ولكن ارسانهم تبقى في يدك. فاذا لم ينجزوا شددت!

— واذا رفض خليل حنون الانخلاع عنك؟... واذا مانع رجال الدين في فسخ الزواج؟

فهتفت تجد لكل مشكل حلّاً: عليّ بخليل. ورجال الدين يكسرون ويجبرون. فما يفتق هذا يرتقه ذاك. فلا خوف منهم، وقد تعددت المصانع والعيادات!

Twitter: @alqareah

ــ وصيتنا ؟

ــ وقلبي ؟ ... وابني ؟

ــ قلبك يدل على خلوه من العزة برجوعه الى من سحقه. وابنك بات معروف الاب . فهو ابن خليل حنون !

ــ واذا درى انه نغل ، واني استطعت دفع هذا العار عنه ، وابيت ، أفما يستل انفاسي ؟ ... التفت الى غد طفلي ، والى مهجتي ، وليس لنقمتك ان تحجب عنك وجه الحق !

فما وقع في بيانها على سوى المحال. أتكون متاعاً تتداوله الايدي ، فمن حضن الى حضن ؟ ... ودمدم عليها بجفاء : مكانك لن تبرحيه . فمصيرك قد توطد ركنه . ولا تسكني الى تدليس آل الاشهب . هؤلاء قوم اشرار ، نبت عنهم الثقة ، وما ينجع فيهم غير الطعن. عبثوا بإبائنا ، وساعبث بعيشهم . غداً سيجرفهم الموت !

فتضرعت اليه كي يرفق بهم وبها . فمانع في الاصغاء اليها . لن يشفق على من اذلوا رفعته . فبكت في استجداء حلمه ، فلم يرق لها . قالت تنذره بسوء العاقبة : ولكنك تحملني على الانطلاق في المسالك الملتوية . فانا على شغف برئيف !

فنهض كالمبغوت ، ولم تبق فيه على خفقة من هدى . وزمجر من حنجرة تغلي نفثاتها : أتهددين بالشذوذ ؟ ... ألا احذري الاقدام على جنون آخر . اذا سامحتك في اعوجاجك الاول ، فان مهجتي لقاسية على السماح بعودك الى المعصية . ولا يخطر لك اني اعفو ،

Twitter: @alqareah

وانت وحيدتنا. فلقيت من هوسك ما جنح بي الى مقت الاولاد، وقد اصبحت من الكافرين بافلاذ المهج، بعدما كلفتني الجليل من احدوثتي. وباتت الخطوة الملتوية فيك قائدتك الى القبر. بيدي ساذبحك وانجو من نجاستك!

فايقنت انها غير مفلحة في الحد من موجدته. فتهالكت على الدمع تذروه، امعاناً في بلوغ الشهوة. ولكن نادر يمين ازرى بدمعها، وليس في حينه. وانصرف عنها يبيحها لاشجانها، وقد كاد يضيع عن نفسه ازاء ميتتها في حنينها الاخرق. فلحقت به تصيح، وهي مبتلة بعبراتها: ان تكن لا تشفق عليّ ولا عليهم، فاذهب بنا جميعاً. انحرني قبل ان تغوص مديتك في نحورهم. انا منهم. واريد ان اموت مثلهم. فيضمنا جميعاً جدث واحد!

فزعق متبرماً بهذا العطف الابله: عتهك يهولني. أأنت منهم؟... لاسحقنّ رأسك. جاهلة، رعناء. لو انصفت لساعدتني على ابادتهم. فماذا ابقوا من عرضي كي أرد عنهم انتقامي؟... سيموتون دون ان يقعوا على من يمشي في جنازتهم. ابلغيهم ان اباك نزع من صدره حاسة الرفق بالبشر، حتى باحبهم اليه!

واولاها ظهره. دواؤها لن يختلف عما سيداوي به خصومه. وما كان آل الاشهب له خصماء لو ملكت بعض الرصانة. فاذا مضت في مشاينها، فلا عليه وهو ينتقذ منها نفسه. ولا اسف على نوافل الاكباد المتهرئة، وما تنضح بسوى الرجس والمهانة

Twitter: @alqareah

وساد خاطر منى انها كليلة عنه . فالى من تهرع في النجدة ؟ ...
أمها اوثقتها بخليل حنون ، فانى تحلّها من وثاقها ؟ ... وتلفتت الى كل صوب ، فما اهتدت الى مجير . ووراءها ما يتألب عليها من فراغ ووحشة، فبرحت المنزل زائغة عن هداها، في التماس مأوى صديقتها. ورئيف هناك، على أهبة. فان زواجه بها ليصدّ نادر يمين عن الافراط في انتقــامه ، إن لم يقعد به عنه أجمع . ثم هي والدة ابنه . وفي استقرارها بمثواه ، على انجاز ابيها وعيده ، صفعة لهذا الاب العنيد ، غير المهادن. وليس له، في خاتمة المطاف، ان ينكر ابنته، فيحرمها ماله

وهتفت منى بشبه ولولة ، ورئيف يبدو لها : اخفقت . عجزت عن بعث الرأفة في الحجر. ما يبتغي الا الطحن، وما فيه للين منتجع . فانه لواثب الى التقويض، كالويل الطاغي ، لا تثنيه عن جماحه عقبة . ولن يعفّ عني اذا ظاهرتكم . فما العمل ، ما العمل ؟

وناءت بهمها. فبلع رئيف ريقه . خاب الامل. واستفهمت الصديقة بمضض : أما يشفق على مجهود عمر كامل ؟

فابانت منى : ماتت في قلبه الشفقة ، كأنه القضاء. فدفعني عنه بغيظ صارخ . وهددني بالموت اذا اجزت لنفسي الالتفات الى اعدائه . وكل عزمة، في الوقوف به عن غلوائه، ذهبت ضياعاً . فالداهية ستقع غداً ، يا رئيف ، فكونوا منها على حذر !

ورجع التياعها سهومه ، كأن المصاب يعروهـا. وابتسم رئيف ابتسامة صفراء ، مفؤودة . وقـال بنفس جزعت ، فهانت : لا على

Twitter: @alqareah

السيد نادر ، زاده الله همة . فاذا راقه ان نذهب لانتقامه ضحايا ، فما نشتهي له غير الرخاء والطمأنينة . بوسع ابي ان يعود الى جهاده ، وما زال له في الحياة بقية . وماشاطره اعباء الكفاح، ولي من شبابي ما يعينني على الشدة . وكل ما بتنا نطمع فيه ان نسمع كلمتك ، يا منى !

— واي كلمة تريد ممن اضطرب يقينها بالعدل والرحمة ؟

— أتبقين لزوجك ، ام تلحقين بوالد طفلك ؟

فناحت برهبة . أما احمت رئيفاً ما يتوعدها به ابوها ؟ ... الموت يلمع من طيات نشوزها . وترددت في الابانة . انها لتترجح في حفل من الصعاب . البقاء في عصمة خليل حنون يشقيها ، والانخلاع عنه يؤذيها ، وفي الكفتين مواطن للتنكيد . وخافت على رئيف الاشهب نفسه . أما يودي به زوجها ، او ابوها، اذا سلخها من معقل الامانة ؟ ... فاستنبأ رئيف : مـا بك في حيرة ؟ ... من تختارين منا ؟ ... أزوجك ، ام حبيبك ؟ ... قولي !

فنبرت ، وقد احتدمت فيها سورة اليأس : اختار الموت !

— وابنك ؟

— ليمت بقربي، وهو القاصر عن الرشد، فلا يطلع على جريمتي، فيحتقرني . ولا يلعنني ، وقد لطخت وجهه بدنس الاثم !

— واذا سلمت من الموت ، فلمن تكونين ؟

فصاحت بملء فيها : اذا سلمت منه ، فيا ويلي !

Twitter: @alqareah

واشتعلت بنحيبها ، كأن دمعهـــا وقودها . ومضى رئيف في الاستيضاح ، وقد ابى ان ينصرف عاطلاً منهـا . قال يستجلي : اين هذا الويل ، ولست اراه ؟

ــ في ما سوف اعاني من بلاء !

ــ أتشقين ، وقد عدت اليك ؟

ــ ولكنك تبحث عن مالي . وهذا المال انى اجود به عليك ، وقـــد خلت منه يدي ؟ ... أتستند ، في الخلاص من عريك ، الى المفضوحة العورات ؟

فنادى باحتقـاره للمال ، معلناً بمظهر عيوف : لتبق ثروة ابيك في حرزها . فلن التفت اليها ، وهي عندي مجاجة من خباثة . وليبتلع بطن الارض مصرف وفيق الاشهب ، ابي . ولنمش فقراء ، جزاء اعراضنا عنك في فورة البلية . فالبؤس عقاب الاستطالة على النقاوة. على اني ما اطيق ان تكوني لسواي، وانت حبيبتي ، ووالدة ابني. اذا لم يسعك ان تكوني لي بحكم الشرع ، فكوني لي بحافز العاطفة . وإن عزّ عليك الاقران ، فهاتي ولدي ، فاتولى اغاءه ، واخلع عليه اسمي . اني لضنين" بولدي !.

فالتفتت اليه بذهول ووجل . أصادق ، ام خادع ؟... أما يرى انه تباطأ في اليقظة ؟ ... قالت وهي تحس بان ارتباكها يتعاظم فيها ، حتى يكاد يحجب عنها صوابها : أيتقد فيك هذا الشوق الكاسح، وتستجيز لنفسك هجري ؟... من ازرى بالمودات، أأنا ام انت ؟...

Twitter: @alqareah

من اباح أليفه للضيم والهلاك ؟... ما رضيت بخليل حنون زوجاً لسوى اخفاء دناءتك. نفثت في احشائي العار، وفررت مني، كالسارق الرجيم. وما عدت تلتمس عفوي، لولا الحاجة الملحّة اليّ، فكيف اكون لك ؟... تزعم انها أمك، فما شأن أمك في قلبك ؟... هل لها ان تشاطرك هواك، وقد يحلو لك الصباح، فتكرهه هي، فتجاريها، على رغمك، في كرهها له ؟... انا لا أحب خليل حنون، زوجي، بل أحبك، أحبك انت. ولكني ما استطيع ان أصم بالعار من مسح بيده العار عن جبيني. وعلى مَ اقوى لاجلك، وقد افلت مني الجهد في اقالة العثار ؟

وهي صرخة الخطر، يتفجر بها من يبصر اهوة مفتوحة تحت قدميه، فيهوله الزلق. بل صرخة المعاندة في الشر المغري، يطلقها الضمير المتقي نزوة الحساب. ولكن رئيفاً، وما يزال يجد في منى حبل النجاة، سواء رقّ ابوها، او قسا، لم يرهب صيحتها، بل مضى في مطلبه يقول: اعيدي اليّ اذاً ابني!

– وتحرمني مرآه ؟

ما تخلت عن هذا الابن في احتدام معركة الشنار، فكيف تنزعه منها الآن، وقد جنبّته المعرة، وأنست بزقزقته، مهتدية فيه الى بعض العزاء ؟... وصالت في زعقتها الرهبة، والحرقة. أيساورها التعس من كل وجه ؟... واشفقت عليها صديقتها من ويلاتها، فقالت تلطف بها بكلام يقرّه العقل: ليظل طفلها تحت جناحيها ريثما يترعرع،

Twitter: @alqareah

يا رئيف . فهو لديها آمن المثوى . واذا شئت ان تراه ، آناً بعد آن ، فتعال اليه في هذا المسكن ، فتجده يعرض ، على شفتيك ، وجنتيه ! ·

فرضيت مني بالمخرج الرشيد ، وهتفت بملء فمها : اجل ، اجل !

واضطر رئيف الى الانحناء ، وليس له ان يقاوم أماً تتمسك بوليدها ، ولا ان يسلخ ، عنوة ، امرأة من زوج ستر غوايتها . فالعناقيد ما تبرح حصرماً ، وليس للفم ان ينعم بحلاوتها . والانتظار خير دواء . قال هذا الفارّ من ساحة الحق ليعود الى اقتحامها بالباطل :

جلّ ما اصبو اليه ان ارجع الى اشواقي . وما تباعدت عنها مختاراً . اما والحوائل تصدني عن امري ، فسارضى مكرهاً بالميسور من الرجاوة . لقاؤنا في هذا البيت العطوف . وكلما بدونا فيه ألتمس رؤية ولدي !

فصاحت مني بارتياح قصيّ : ساحمله اليك ، ساحمله اليك !

فابان معجباً بحسن الصنيع : كم اكون شاكراً اذا فعلت . اصبحت انت وصغيرنا بلسماً لجراحي . غداً غمي في الحضيض . وانا وحدي الجاني ، ولم يكن لي ان أصغي الى أمي . غير انها ليست وحدها الملوم ، اذا التفتنا الى مسلك أمك !

وروى لها ما حمل والدته على فصله عنها . فما تدرج السيدة زكية في السبل المأمونة ، وما خليل حنون سوى عشيقها . ولم تلحّ في العقد له على ابنتها الا ليظل انيسها . فخلع قلب مني . هل اصبحت ستاراً للفحش العريق ؟ ... ولقد ساورتها الشبهة بامها . غير انها ظلت تنفي

Twitter: @alqareah

الريبة . اما الآن ، والكلام يلقى اليها جهاراً ، والتهمة ناطحة ، فماذا بقي؟ ... وخجلت من نفسها ، كخجل رئيف منها . ما اقسى الامهات على الابناء . واندلع الدمع ، بفيض . فالنكد اقرب الى المرء من ظله. وما ابعد الصفاء. واستطالت الشؤون في صب كرائمها ، وقد انقطعت اسباطها . ودنت مني من رئيف تتول بفاجع الاسى : اخفاقي في الغوث يقهر روحي. فما تقت الى هذا المصير العسير، فاصفح عني ... وعن أمي . غير ان يدي ممتدة بالبذل . فلكم حلاي ، ونقودي ، وملابسي . ولن ابخل ، في غليان الازمة ، بنفسي !

فعاد يجمجم كلمات الشكر ، ويقول : حسبي ان اراك وارى ولدي !

وتوارى مقتلفاً بالهموم . لم يوفق للمبتغى ، وقد تراءى له ، كما تراءى لابيه وامه ، ان الاستئثار بمى يشفي من حاصد الوباء ، فطاشت النبلة عن الهدف . على ان ما نبا عنه اليوم ، سيحرزه في الآتي . وكل ما لمس في ابنة نادر يمين يسهّل الى المشتهى. فما دامت لا تتنكر له ، فليس اهون من اجتذابها . والغد ، مهما تناءى ، قريب

ووقف تجاه والديه وقفة الناعي . اضحى المصرف في اغوار العدم. الا ان الامل بالبعث ما يزال منشوراً ، ولن تروغ مني من الشبكة. عاهدته على اللقاء . وفي اللقاء سبيل الى القنص . وما ان تمسي له حتى يبيت سيد ابيها . فلمن يعيدها الا وهو يستعيد الثروة المشرفة على التلف ، او يتخلى عنها خليل حنون ، فترث اباها ، وكأن نادر يمين

Twitter: @alqareah

لا ضرب ، ولا انتقم . فصاحت أمه، وقد هدّ روعها ان تهوي عن حظوتها ، وان تكون، لقصر نظرهـا ، اليد الهادمة : أما استطعت ان تستبيلها فوراً اليك ، فتسنّي لنا الى الخلاص من الداهية ؟

فروى لها الحكاية . منى جاهدت ، فسقط في ذرعها . ابوهـا في مستطير النقمة . ولقد توعدها بالقتل فيما تلحّ في الشفاعة . غير انهـا وقفت نفسها على الترفيه ، وستجود بحلاها ، وبما يستقر بيمينهـا . فغلب اليأس على الوالدين . هـذه العقاقير لا تسند جداراً ، فكيف تدعم جبلاً ؟

وايقنا بان الصباح سيطلع عليهما عاصفاً ، قاصفاً، لا يبقي على قدر ، ولا على حصير ، حتى ولا على موطىء ترسخ لهما فيه قدم . انهـا لحال المجهود . كم يكونان احسنا لو رفقا بالطهـارة العانية . الا انهما اكتفيا بالزفير يودعانه شجوهما . وما تجاسر كلاهما على رشق الآخر بتهمة تصارحه بكونه العلة

ودرج القدر في طريقه المخطوط يهدم ما بنى . فمـا رفع من مداميك ، في ذخر وفيق الاشهب ، ذرذره حطامـاً . ولم تنطلق الصائحة ، كأن ثمة مأتماً ، الا وآل الاشهب يجلون عن مقصورتهم في طريق النهر ، وايديهم تخلو حتى من خرقة يلمّون بهـا دموعهم المنهارة . فتجرأ حينذاك الزوج على امرأته العاتية ، ينعى عليها صدق الفطانة ، صارخاً بها : انت ساحقتنا ، وبيديك قوّضت العالي من شأونا . فما كان زهوك الا جنوناً جرفنا . بل هي يد الله ضربتنا ،

Twitter: @alqareah

نطحنتنا ، وقد ابى انتفاخك المريض ان يشفق على نصاعة انتهكناها بفحشنا !

فلوت رأسها غائرة في هزيمتها. ان في القولة اللاسعة لتبكيت الحق الديّان . فالزيغان عن الانصاف هـذه دركاته . ووقفت بيروت ، بذهول ، حيال الصدمة الماحقة . وخشعت دور المال معتبرة بضربة العدل الامينة الاداء . وما غابت عنها حوافز الثأر ، وحكاية رئيف ومنى اوقرت الاسماع . وابتهج نادر يمين . ما كبا في النضال ، وقد بلغ من انتقامه الجمام . الا ان بهجته لم تسلم من شائبة قاتمـــة ، وما زال الشرف مثلوماً ، مع متفوّق الجهد في الابراء

واكبر خليل حنون، في حميه، باذخ الهمة. فان بين جوانحه لمضاء النسور ، وما قال الا فعل . وبدت السيدة زكية مهنئة ، صيّاحـة الطرب . رأس التنين انفلق ، وانسحق . غير ان منى لم تظهر . فهي في حجرتها ، على انفراد، وفي نفسها تتراكم الجراح على الجراح. وفي مقلتيها زحمة من بلل، ما تحبو الى جفاف. انتقام ابيها لعرضها الذبيح باعد في حطمها ، وهي تريد رئيفاً ، لا شقاء رئيف

ولم تكابر في الجهر بختله ، وقد غـاب في الليلة الظلماء ، الا ان لغيابه دافعـاً لا يخلو من بعض الحق ، وأمه خافت ان يتزوج من ليس لها ان تتباهى باحدوثة أمها. فهل تداعت زكية يمين حتى امست في خالعـــات العذار ؟ . . . وانتابت ازمة من حنق منى المتوترة الاعصاب . أتكون أمها في المستهترات الوقحات ، غير المتحرجات

Twitter: @alqareah

من زفاف بناتهن الى عشاقهن ؟

ووضح لها الخفيّ . أمها هنا اصرت على تزويجها خليل حنون ، عازفة عن رئيف الاشهب ، الا لتدني خليلها منها . فيظل قبالتها ، وتمسي ابنتها حجاباً للتهتك الخسيس . وثارت مني . وعرض في بالها ان تهبّ الى أمها ، فتنفث في وجهها المهانة ، وتطرد خليل حنون ، وزواج الابنة بعشيق والدتها باطل شرعاً . غير انها لا تملك الحجة الصادعة ، وما تزال حيال اشاعة مترجرجة . ولكنها ستتعين بها على اربها . وحسبها اعلانها في زحزحة الكابوس

وتعاظمت استهانتها بزوجها . انه ليغدر بابيها ، في حرمه ، فيما يدعي الحرص على السمعة . أف للمتاجرين بالمحن ، ما اصغرهم في السماح ! ... وقامت الى خزانتها تجمع خير ما فيها ، وتحشده في مصانها . اتسعت لها السبل الى رئيف . ورنت الى طفلها تبسم له وتقول مناغية : ستبصر اليوم اباك . وستحمل اسمه . فلست لمن لا يجري في عروقك دمه ، وهو غير جدير ببهائك الفريد !

واوجعها ألا يرقى الى منبعه . وتململت من عسف القدر ، ابي الفوادح ، وما يأنس بالقلوب الناعمة بلذاذاتها ، فيتهالك على محوها ، كأنه يستطيب التجني على الدعة والامان

وسأل خليل السيدة زكية عن ابنتها . اين هي ، فلا تشارك في الافراح ؟ ... فزعمت ان منى مريضة . ولم تكن قد اطلعته على ما تصدت له زوجته من نضال في نصرة آل الاشهب ، والنبأ يثير

Twitter: @alqareah

حفائظه . وتحامت ان تمرد له ما جاء فيه رسول رئيف في طلب منى ، والا فإبنها ، مشفقة عليه من التمادي في ابهاظ عاتقه بالمحرجات، وله منها ما يرجح الوسع

وما زال ومنى على جفاء ، بل على قطيعة . فلا يجالسها . ولا يميل الى الوقوف على شؤونها . واتفق له مراراً ان ساءل ضميره عن موقفه من آل يمين . أيكون صهرهم ، ام انه ضيف ثقيل عليهم ، وما يرى نفسه غير وجه غريب عنهم ، يعزّ عليه الامتزاج بهم ، كالزيت والماء ؟

ودخلت زكية ، على ابنتها ، تقول عاتبة : الى متى هذا البعاد عنا ، وقد قمنا بكل ما علينا في الترفيه عنك؟ ... فمن اصابوك بسمعتك درسهم العفاء. فهلمي اشكري لابيك وزوجك اياديها ، وقد دفعا عنا شماتة اللئام !

فكأنها ألقت قذيفة في متأجج النار ، وقد تطايرت منى زعقات دوامغ ، مدمدمة على أمها : ما اصابني بسمعتي سواك . انت مصدر الفاجعة . والدة رئيف الاشهب ما اقصت ابنها عني لسوى كونك لا تقيمين للفضيلة وزناً . فالخوف من ان اشابهك ، في اعوجاجك ، مال بالقوم عني . وما لجاجتك ، في زفافي الى خليل حنون ، بالمبتغى السليم النية ، كما قيل لي . فما خليل سوى عشيقك . انت ناشرة البلاء في هذه الدار ، وفجورك رجم صيتنا بالحجارة. ابتعدي، وقد جررت على أمرتين الشقاء والدمار !

Twitter: @alqareah

ووثبت اليها بشراسة الحاقد ، الطامع في التشفي . فصرخت بها السيدة زكية ، وقد راعتها الهجمة الجامحة : مكانك . أتتجاسرين على أمك ؟

فاكتفت مني بان تدفعها الى الباب،وما زالت على بقية من اكرام للامومة ، حتى مع كبوتهـا ، مجلجلة بغيظ يتشظى : هذه الحجرة حرام عليك . فليس لك ان تدخليها . بل هي حرام عليكم جميعاً . فلم يبق بيني وبينكم منفذ الى وئام . حكمتم عليّ بالتعس ، فدعوه وحده بجانبي ، دون ان تضاعفوه بظهوركم لعيني . لولاكم لكنت في اشهى مآل !

فهتفت السيدة زكية بارتياع : ولكنني أمك . فهل تخاطبينني كالخدم ؟... اراك جننت !

فنبرت تتهكم ، وجميع اوصالهـا في ثورة : جننت ، اجل . وانتم الباعث على جنوني . ولو احسنتم رعايتي ، للزمني صوابي . ولكنكم عبثتم بغدي في تكالبكم على الدنايا ، فاشقيتموني في عقلي وديني . أتسمعين ما أبدي ؟... سددي نظرة فاحصة ، الى اعماق ضميرك ، فتدركي مبلغ جرمك !

فاستخذت السيدة زكية تجاه الفورة الجائحة . ابنتها اطلعت على الزلة . واستظهرت بالشفقة تستر بهـا المهانة ، قائلة بصوت خافت ، مهزوم : حقاً انها لمجنونة . اعانها الله على امرها !

فتماسكت مني مرة اخرى عن استباحة الحرمات ، لا تتطاول على

Twitter: @alqareah

أمها بخدش . وعادت الى اقصائها عن الحجرة ، معلنة بامتهان : ألا انصرفي ، انصرفي . أترمينني بدائك ؟... لولا جنونك الاعمى لسلمنا من السقوط الى هذا الدرك . فهل تجهلين نفسك ؟

واغلقت الباب دون أمها . وتأهبت للقاء رئيف . فاطلقت الى صديقتها خادمتها لمياء الصغيرة ، تقول : ليأت . سيجدني وابني . موعدنا قبيل الغروب !

وكان عطاء ... بسخاء . فلا اليد قصّرت ، ولا المبسم توانى . منى ، ذات الندى والنداوة ، باجمها لرئيف . واشتبك الجناح بالجناح يعقدان هالة ، من حنان ، على الصغير الحبيب

فرخ " خميل الزئبر ، تسجع له ورقاء ، ويصدح عندليب !

Twitter: @alqareah

٤

منى تغدو الى منزل صديقتهـــا ، وتروح . رئيف هناك . وما تشخص اليه ، احياناً ، وحدها . بل يصحبها طفلها ، تحمله لهـا لمياء الصغيرة ، فيهنأ بتقبيله ومناغاته ابوه

ومشى الحبيبان اشواطاً فساحاً في رحاب الهوى ،لا ينثنيان عن لبانة . وتوكأ آل الاشهب ، في وفور قوتهم ، على ابنة نادر يمين . فوهبت منى بلا امساك . اغرقت وانتشلت . كانت الداء ، وهي الدواء . بها غار آل الاشهب ، وبها طفوا ، او كادوا

واضحت تميل الى زواج رئيف بها. فما دام خليل حنون تزوجها ليتسع له الى الاندغام في أمهـا ، فلماذا تجلّ فيه سمو الفداء ، وما اغاث لسوى ادراك مأرب دميم ؟

ورئيف هذا مرتجاه. فيردّ لابيها اللطمة لطمتين. ويظفر بثروته من حيث كتب عليه نادر يمين الاملاق . انها لابرع حيلة على الخنق والثأر . فالحبل من حرير ، والكفن من مخمل . الا انه في كل حال موت ، بل ابشع موت ، وسيطغى عليه القسر ، والقهر . فما استلّ نادر من آل الاشهب باليمنى ، سوف يؤديه اليهم باليسرى ، راغم الانف

Twitter: @alqareah

قالت متى لا تعاند في الرغبة : سأكون زوجتك على مذهب آخر. ولن نعدم من يعقد لك عليّ ، ما دامت ابواب جبر الخواطر متعددة . وساجيئك بما نستأجر به بيتاً ، ونشتري رياشاً . وما ان يدري القوم بنا حتى نكون زوجين . وسيغضب ابي . ولكني اروي له الواقع ، فيرضى. اما زوجي وأمي فلا شأن لهما في الصفقة ، ولن نكترث لهما ، وقد رقصا في مأتمنا . وضح لي الآن سر أمي في نبذك ، وايثار خليل حنوت عليك . ما طبخت السيدة زكية لسوى نفسها . ولا بأس ان تموت ابنتها جوعاً . ألا اين يستقر الحنو والاخلاص ، اذا خلت منها صدور الامهات ؟

ولم يضق بها استدرار المال. فان خزائن ابيها لمفتوحة لها . ولقد ابى نادر يمين ان يبخل عليها بالرفد ، لئلا تجمح بها نزواتها ، فتفلت منه . وما يزال وعيدها ، بالرجوع الى رئيف الاشهب ، ملء اذنيه. فكانت تطلب آمرة ، لا سائلة . فهي تريد . وعلى ابيها ان يلبي ، بلا حساب . وليس كالمرأة المهددة بالنشوز في احراز مطالبها كاملة ، لا يعتورها نقصان

واستأجرت البيت . وزانته باكرم متاع . واضحى مقر خلوات الوصال . وتهيأت للزواج تضرب له الموعد ، متخلية عن مذهبها ، متمسكة بمذهب آخر . فكل طريق الى صبوتها امسى لديها حلالاً ، وجميع اهلها غفلوا عنها . انهم ليبصرونها في غدو ورواح ، وهي في نفرة منهم تعتزل بها مجالسهم . الا انهم لم يحسبوها تدرج في صعيد

Twitter: @alqareah

الانفصال ، عابثة بكل عرف ونظام ، كالاعصار

ولكن خليل حنون ، مع انزوائه عنها ، ومجاراتها في اساليب التباعد والاهمال ، لم يطق الامعان في الاستخفاف بمقامه كزوج . فتغيب منى طول النهار. ولا تبدو الا وقد اظلم الليل. وتحنق، وتطلق القول الجافي ، ويصيب خليلاً بعض رشاش من اقذاعها . فضاق بهذا الازدراء كله . وعاد يشكو منى الى أمها . وحيال معالنة السيدة زكية اياه بعجزها عن تشذيب النواتيء ، في خلق ابنتها ، لم يكتم عن السيد نادر عين امتعاضه من الاستهانة بمنزلته في مأواه. قال يوضح شجوه : حسبي ما احتملت من اهانة وانا اتزوجها بمخازيها . فالمضي في الاعوجاج يجرح في نفسي مناعة الصبر . فاذا راقها ان تظل تلك المستوحشة مني ، فلا عليها . انا في ناحية ، وهي في ناحية أخرى . اما ان تحمل اسمي ، وتحتقرني بتعفيره في التراب ، فهو ما ينوء به جلدي . عليها ان تدرك كونها ذات بعل لا يهاود في الانحراف !

وابوها، وقد كوته السيدة زكية في عزته، بخروجها على امانتها له ، لمس مبلغ الضيم في التواء الزوجة ، ووافق خليلاً على ضرورة الوقوف بمنى عن عبثها بالمألوف . فالنواهي جلية الحرف والنهج ، والشذوذ عنها تنكيل بالمصون

على ان منى لم تحفل بما صارحها به ابوها من تحذير . قال نادر بشدة في التأنيب : خليل زوجك ، وهو عليك حسيب . فاذا لم تكرمي فيه مرتبته كزوج ـــ ولزام" عليك وقايتها المعايب ـــ فلا

Twitter: @alqareah

تنسي ما خلع عليك من احسان ، وقد جـاد بسمعته ليدرأ عنك الازراء بك !

فهتفت بلاعج الاشمئزاز : دعني من هذا الفلاّح . فما اقوى على الالتفات اليه في شكله المحتقر، وسعيه للظهور في الاتراح ، كرقعة النعي. ما يزال في الحثالة، مع كل ما نفحناه به من زخرف ومجد. واذا كنت اكره في أمي الكبوة ، فلقد زادتني كرهاً لها بوقوعها على هـذا الصعلوك الجلف . اطرده من منزلك . انه ليدنسه بروحه الخبيث !

فصاح نادر بين بستحكم الغيظ،وهو يرتعش من رأسه حتى قدميه : ماذا تريدين ان تقولي ؟

ــ انت ادرى . انت ادرى !

وليس يجهل ما تذهب اليه . غير انه ابى التظاهر بالمعرفة ، قائلا يتسخّط : هذيانك يتأصل فيك.وما تمضي الايام الا لتزيده احتداماً. اني امنعك من التفوّه بما يحطّ من شأن زوجك وأمك . واعالنك بانك مجبرة على الامتثال لمشيئة من دجّنتك فيه حرمة الزواج . ولا يخيل اليك انك حرة في سعيك . فما تقيدت به ، حيال من ارتضيته زوجـاً ، يكرهك على الطاعة ان ُعقد له عليك. فلا تسترسلي في جنونك !

فنبرت بقسوة : زواجي باطل . فالدين لا يجمع بيني وبين عشيق أمي !

Twitter: @alqareah

وجهرت بما حاولت مراراً اعلانه ، وغلبها عليه الكتمان . بيد ان الاحتمال عزّ عليها الساعة . فصرخ بها ابوها ، ويده ترتفع لتسحق الراشقة بجمع كفها بالتهمة : اخرسي ، يا شريرة !

وسمع خليل حنون ، فوثب يقول بمرير الصخب : اراك تقدرين عليّ التجديف . انا ما ضحيت باسمي ، في صونك من الشين ، كي تكافئيني بالاهانة ، غير متئدة . فاعلمي اني زوجك، وان عليك ان تكرميني . واذا ابيت ان تلتفتي اليّ كزوج ، فانت مضطرة الى مخاطبتي بكلام مهذب، لا يمسّ انفتي في ذرارة، ولست أجيرك. والا فلا ترقبي مني ما يسرك. وسترينني اجيد الكفاح في مواطن الاباء !

وتوعد لا يرتضي الاسفاف . فصرخت به بصافع الامتهان : أيتنمّر القزم ؟... ولكنك ما رضيت بي زوجة لسوى الفوز بثروة سيدك ، وبامرأته . وهل تجرؤ على الانكار ؟... جئت تستر كبوتي بسفال ادهى . اسكت. ما انت الا دون . انا لا اعرفك لي زوجاً، وامنعك من محادثتي . بلى ، انك في هذه الدار لمن الخدم . ولا تفاخر بذودك عن شرف نادر يمين ، وما تبالغ في سرى خرقه . لو انصف ابي لاقصاك عنا . انا لوالد ابني . لرئيف !

ووقفت تدافع عن اشواقها بجرأة المستميت . فهي في جانب ، وابوها وأمها وزوجها في جانب آخر، يبادلونها شتيمة بشتيمة، وتهديداً بتهديد . واستطاعت الثبات في المعترك الحامي . ستكون لوالد ابنها. وستدعو الى نقض زواجها القائم على متداعي الركن . وللقوات

Twitter: @alqareah

المتشامخة ان ترحف ، على بكرة ابيها ، لصدها عن ملتمسها الاثيل ، فلن تقوى عليها ، وما ثمة غير الموت يحول فيها دون الشهوة اللجوج

وهتفت بابيهـــا تتوجع على بليته : ما اشفق على سواك . انك لمغبون في جميع من حولك ، وكلهم تماسيح . فان مطلبهم الاسمى ان ينهشوك في يسرك ، وفي خميتك . ولقد وفقوا البغية بما نسجوا من احابيل ضربوهـا عليك سوراً ، فتنصوك . لو نصعت احدوثة أمي ، لرضيت بي والدة رئيف الاشهب زوجاً لابنها. ولكن أمي معشاق، كما تعلم. واني تسقط على العطر في المزبلة ؟ ... ارفع سوطك، وانقذ وكرك من الثعابين ، قبل ان تجهز عليك . فلم يبق بين كبدك وانيابها ما يعدو الاصبع. ويا ويلك منها اذا هادنتها . فانها لترذيك. انا منصرفة عنك، وستمسي ، في الميدان ، وحدك . فمن لك يرد عن مهجتك الخسوف ؟

فانبرت لها أمها تخفت نأمتها ، زاعقة: ما قادنا الى البالوعة سوى خفتك . فلو ملكت الحشمة لبقيت في من ترنو اليهن عيون المعجبين. ولكنك اضعت عفتك في ميعتك وطيشك ، فجنيت المر". فاي تبعة علينا في ما تكابدين ؟

فما اشتهت الا ان تفض" هذا الفم النافث ، في روعهـــا ، نقيع السم. ولكن اباها وخليل حنون وقفا بها عن متأجج طفرتها، يدفعانها عن أمها . فاحت بانها تتفز"ر حيال هذا الكبح ، القاعد بها عن الاشتفاء ممن تغلو في النحر . وانفجرت حنجرتها بصرختها : متى كان

Twitter: @alqareah

لمثلك الحق بان تعدّ نفسهـــا في من يجوز لهم التبكيت ؟ ... فانك لفي طليعة من وجب فيهم السحق بالاقدام ، وقـــد فسحت لنا في الضلال بعهرك . اسكتي ، والا شققت بيدي قلبك !

فهال خليل حنون مـــا يبصر وما يأذن به . أتكون الصروح كالاكواخ ، بل دونها ، في الفجور والبذاءة ؟ ... ألا اي فضلة من سفال ابقت مني وأمها الاخلاط ، المنتشرين في موبوء الأزقـة ؟ ... ورأى هذا الملبي نداء المروءة اللهفى ، في زواجـه بمنى ، ان يتدخل بمطلق سلطانه في الوقوف بالمراء عن الطغيان . فعلا صوتـه مجلجلاً : ادعو الى الرفق بهذه الدار . فالعياط والشتيمة من شأن الرعاع ، لا من شيمتنا . ومن حقي، كزوج ، ان اهيب بمنى الى الصمت . ولا احسبها تعاند في الاجابة !

فتقلصت سحنة منى بمستطير التأفف، صارخة : أأنت زوجي؟... انك لغبيّ . فما لمثلي ان ترضى بالمسخ بعلاً لها . ما زوجي غير رئيف الاشهب ، والد ابني. اما انت فلهذه الحشرة الواقفة بجانبك، وكلا كما شبيه بالآخر في دناءته وابتذاله . منذ غد ستبحث عني فلا تجدني. فانا هناك ، عند من اهوى . وسنتزوج شرعاً . ولن اكون لفلاّح نظيرك !

فاستطال فيه حنقه. وما شعر بسوى كونه مدفوعاً الى الزمجرة: اذا خطر لك ان تبرحي هـــذا المكان ، فلن تكتب لك السلامة . حياتك ساطفئها بيدي . فكوني على رأفة بنفسك . لقد ملكتُ من

Twitter: @alqareah

الاناة اطولها ، بيد ان الاحتمال جاوز وسعي. فالخطوة الى ما يعدو الباب ، تكلفك انفاسك . واذا لم تصدقي ، فحاولي، ولا ترقبي سوى حتفك !

ففلا في اثارة موجدتها . وتطاولت اليه تريد لطمه ، وبين شفتيها شواذخ من كلام تخلخل العظام في مفاصلها . فهز خليل برأسه ساخراً بها ، وهو يقول بجيشان الوعيد : حاولي ، وسوف نرى !

فتفاقم فيها الطعن عليه ، متخنة في الاستهانة به ، كأنه نعلها ، هادرة والزبد يطفو على فمها : أأنت تتوعدني بخطف روحي ، ايها الجبان ؟ ... ما ادري كيف يطيق نادر يمين ان يسمع الضفادع ترفع في مثواه نقيقها. فهل بطر العبد ؟ ... لجأت الينا لتقع على لقمة تسدّ رمقك ، فاني تهددنا في ارواحنا ؟ ... لعن الله أمي الف مرة ، وقد اباحت لوضيع على شا كلتك ان يلج دارنا . انا منصرفة غداً الى رثيف الاشهب أساكنه ، ومعي طفلي. فان تكن رجلاً، فاقطع عليّ الطريق ، وسنرى !

فكانت كلمته باترة ، وكل ما فيه يمور حقداً وألماً : سنرى . والويل لمن تزلّ به قدمه منا !

وصرخ نادر يمين بابنته بصاهر النقمة : انا وزوجك شريكان في سفك دمك ، اذا حانت منك الى النذل لفتة ! .

فاعلنت باستخفاف العابث : انا سائرة اليه ، ولكما ان تعترضا سبيلي اذا ملكتما القدرة !

Twitter: @alqareah

فاحس ابوها بانه يتطاير شرراً . وانقض عليها يريد خنقهـــا . فتصدى له خليل حنون يبعده عنها ، قائلاً بتؤدة يكمن تحتهـا لهوم اللظى : دعها . فانها لحرة في مصيرها. ونحن احرار في التدبير. وليس لنا ان ندين قبل اجتراح المعصية !

وما ابتغى سوى اخماد الشعلة، وليس للفضيحة ان تجد في عرصة مرعاها . فاذا انجزت منى وعيدها ، فلن ينام عنها . وابعد اباها عن اللهب. ومال بابها الى الانزواء في حجرتها. وقعد لهمه يعرض ماضيه، وحاضره ، وغده . تلاعبت بـه الايام كما تشاء ، لا تطلق له في امره يداً ، مما تعاظم به يقينه بكونه ذلك الاسير ، وبكون العمر ممراً مخطوطاً، ليس لمن يجتازه ان يملك فيه رأياً . فالمرء ، في هذا الكون الفسيح المدى ، سجين في قفص

وهل كان لخليل حنون ان ينتهي الى المهلكة ، لو اتفق له ان ينظم غده ؟ ... من قاده الى وسيم جـابر ، أهو، ام القدر ؟ ... ومن ارشد اليه السيدة زكية ، أأبصرها فهامت به عفواً ، ام كتب عليه دهره الوقوع في مخالبها ، فلوت زمامه ؟ ... ومنى من جرّها اليه ، وما استهواها، ولا طمع فيها ؟ ... ومن جنح بها الى الاستهانة بالحسنى ، وتنغيص ايامه ، كأنه من ضحايا النكد ؟ ... أهو من شق لنفسه هذا الطريق الوعر ، ام من استلّه من العدم ، ليدفعه الى العدم ؟...

وفي نهار غد ماذا سوف يكون ؟ ... أتهدأ الفائرة ، ام يضطر الى النضال عن فلول الكرامة المتصدعة ؟

Twitter: @alqareah

ليس يدري ، وما يعلم من حاله سوى كونه مجروراً برسن . على انه اذا ملك امره، لهنيهات قلائل ، فلن يسخو بالبقية الباقية من حميته على الرجس. حسبه ما اعطى المضيمة من نواضر الانفة . فان لم تكرم فيه زوجته جوده عليها بصفاياه ، فانها لتجازف بما لا تنفع فيه وقاية

وازمع البطش . ولن يضيره ان يستعيد الاباء اجمع . فان تكن ايامه مما لمس منهـا ، فلن تتبدل وهو يقتعد السجن ، بين المجرمين . فالناس باجمعهم مجرمون، كما لاح له منهم.وليس فيهم ذو نفس طاهرة. غير انه يقتعد السجن عزيزاً ، بريئاً من وصمة الغضاضة ، وسينزعهـا بيده من جبينه، كما ألصقها بيده بهذا الجبين ، مستسلماً الى نداء الولاء والرحمة

وطال به الانغماس في خواطره السود . وتراءى له انه خلع عنه امر الاهتمام بقوته وبرزقه ، ليلتفت الى شرفه . وليس بالخبز وحده يحيا الانسان . فلن يدرج ، في غـد ، الى المصرف ، بل سيقيم في اعطاف السبل ، ويرصد منى في خطراتهـا . فإن تبرح المنزل ، مشى في اثرها ، يحصي عليها خطوها.واذا ظهر له منها ما يبعث على الشبهة، فلن يرفق بها ، وزمان الرفق انقضى

وجفته السكينة ، وما كان لها في عيشه الهانيء قرار . فمنذ نشأته والبلبال يساوره . ترعرع ، فاعوزه الرغيف ، فجدّ في ادراكه ، ففرّ منه.وما احرزه الا وهو يخوض غمرات التهتك المأجور،تاركاً

Twitter: @alqareah

فيها بعضه . انه لموزع الاشلاء على المسكنة ، وفي مهواتها هذه ذراعه ، وفي تلك ناصيته ، وفي هاتيك إباؤه . كالنعاج في اقتحامها مسارح العشب ، فتتنازع صوفها الاشواك ، وفي كل ناب منها نتافة . وما تخادن اللقمة مبتغيها

ولم ينم خليل حنون . وظل مرتدياً ثيابه . فما يقاسي من رضوض في لبه ، وفي كرامته ، ابى على عينه الغمض . فسمع من القول المهين ما لم يقع قبل اليوم في أذنه . فهو فلاّح ، جلف ، جبان ، اجير ، خائن ، محتال ، مسخ . قاتل الله المروءة . أهذا كل ما في جرابها من عطاء ؟

وضحك من عالم يتكالب عليه بنوه ، وما يزيد على كونه غالة ينفش فيها البعوض . وانتظر طلوع الصباح بقلب قسا على الرزيئة ، فامسى لا يكترث لمعاناتها ؛ مهما جار عليه وقعها . وفي الشروق كان ينسلّ من مبيته دون ان يخاطب احداً . وعرّج على مطعم قريب ، يشرف على دار نادر يمين . فتناول فيه قليلاً من المأكل ، وعيناه في الطريق . أتستخف منى بنواهيه ، وتبرح المنزل ؟

ولاحت له الخادمة لمياء الصغيرة تنطلق وحدها من الدار . فهل اوفدتها منى الى رئيف ؟ ... لقد ابصر مراراً رئيفاً هذا في مصرف نادر يمين . ولكن لم يتفق له ان حادثه . وهو في الرجال على صباحة ، بيد انه في مظهره على انتفاخ وفرفرة ، مما يروق من ترخهن الجهالة . وانه لسر ولوع منى به

Twitter: @alqareah

وما لبثت لمياء الصغيرة ان عادت ، وفي محياها انشراح . أتحمل الى مولاتها كلمة الموعد ؟ ... ورقب خليل ما يكون، وفي اعصابه ارتجاف ، وفي ذهنه فوضى. لم يسبق له ان ازهق روحاً ، فهل يلطخ اليوم يديه بالدم ؟

ولم يرتفع نظره عن باب مبيته . واذا بمنى تظهر في اكمل هندام، كأنها مدعوة الى وليمة . وبدت وراءها لمياء الصغيرة ، تحمل بين ذراعيها الطفل النغل. وبإيماءة وقفت مركبة فخمة، تصدرتها ابنة نادر عين باعتداد ، عارضة نفسها ، بلا وجل ، على الانظار الشاخصة اليها . واستقرت لمياء بجانب السائق ، تحتضن الطفل الغرير

وكرّت الدواليب . وكرّت وراءها دواليب أخر . خليل حنون لم تفته المبادرة الى اللحاق بالساخرة بزواجره. هذا يوم الفصل، بل ساعة الفصل . ولم يبق عن الحسم محيد . ووقفت المركبة الاولى بجانب دار حديثة البناء ، تعددت طوابقها ، وفي مظهرها عناية ولطافة . فمال خليل بسائق مركبته الى الوقوف جانباً. وما ترجلت منى ، ودخلت المنزل تصحبها لمياء الصغيرة ، حاملة الطفل ، حتى ترجل خليل ، وادى ما عليه للسائق يصرفه لوجهه . ومشى وئيداً الى المنزل الحديث ، اللطيف ، كأنه مالك نفسه . ودلت خطواته على عزم . بيد انه عزم موزون ، لا اضطراب فيه، وقد ألمّ صاحبه بما عليه، فصمم على ادائه بلا خشية ، ولا ونية، وما تعلوه مهمة ندب لها نفسه

Twitter: @alqareah

وسمع، وهو يصعد الدرج ، باباً يغلق ، فعرف مكان امرأته من المبنى . وتريث في المفاجأة. لا عليه اذا انتظر ريثما ينعقد مجمع الصفاء. الا انه ، مع سيطرته على جأشه ونهيته ، بدا حزيناً ، صيّاح الالم . ووقعت في أذنيه قهقهة رهيفة ، مزقت لفائف احشائه. فهي متى تعلن بهجتها بلقاء عشيقها . وما تهزأ ، عرفاً ، بسوى زوجها . فتبدد في خليل حنون كل ما فرض على نفسه من جلد . وامتدت يده، عفواً، تقرع الباب. فساد صمت " كصمت القبور . فعاد خليل يدق بعنف. فعلا صوت يستوضح بحذر : من ؟

فصرخ بملء فيه : افتحوا !

فانفتح الباب ليبدو منه رئيف الاشهب، هاتفاً بجفاء وهو يبصر خليلًا : من انت ، وما تريد ؟

فولج خليل المدخل بقطوب كالح، دون ان يجيب. ذئب" يجتاح حظيرة ، وما يجتذبه اليها سوى شرهه الى التطبيع . فصرخ به رئيف بمندلع الغيظ، وقد راعته فحته الخارقة، وكأنه الويل الكانس يزحف مطلق العنان للهدم والتنكيل: الى اين ؟... مكانك. باي حق تستجيز لنفسك اقلاق الناس بانتهاك حرمة منازلهم ؟

فضاع، عند ذاك، خليل حنون عن نفسه. أينتهك حرمة المنازل، وفي صدر هذا المنزل ، بعينه ، تنتهك ، بلا اتئاد ، حرمته ؟ ...

وهجم على رئيف يدفعه الى وسط المكان، ويقبض على عنقه، زاعقاً: أتستهجن غزوي هذا المأوى ، وفيه تذبح عرضي بلا شفقة ؟ ... انا

Twitter: @alqareah

خليل حنون . وامرأتي لجأت الى هذا المسكن تبيع فيه حياءها . فكيف تريد مني ان اصبر على العار تصم به أنفي ، ومن حقي الانتقام بمضاء لشرفي وعرضي ؟

فصاح به رئيف الاشهب بمنتهى الحنق، وقد وضح له امره : أخرج . أخرج . ما انت الا لص !

وهفت اليه منى تصفعه بقولها المهين : وماذا بقي لك من شرف وعرض كي تنافح عنهما ، ايها الخسيس ، وقد غدرت بمن اطعمك في ليالي الجوع ؟ ... أخرج . انك لتدنس بنذالتك بيوت الاحرار . انا امرأة رئيف الاشهب ، والد ابني . اما انت فما اعرفك في سوى عبيدنا اللئام !

وساعدت عليه رئيفاً ، تكرهه على الانصراف . فعمي . وضاقت حنجرته بالكلام ، فخرس . ولكن لمعت في يمينه نصلة كالشرر ، نابت عنه في البيان ، وقد غاصت ، حتى المقبض ، في صدر منى . وارتفعت ، كالاءاضة ، لتغور في صدر رئيف . وهربت لمياء الصغيرة كالمجنونة تولول ، وقد طرحت جانباً الطفل المتعالي الصراخ . فالزعقات المتطايرة هالته ، بدافع الغريزة ، فبكى . ولعلعت مرة أخرى النصلة بيد خليل حنون لتغوص في احشاء وليد الاثم ، وتطوي فيه كل نأمة ، أسوة بامه وابيه

والطعنات نجل" ، تسددها يد قاسية ، تروم الانتقام الذريع .

وسمع من في الشارع ولولة لمياء المرعوبة . ووثبوا في النجدة .

Twitter: @alqareah

ولكن ليقفوا مشدوهين ، مذعورين ، حيال قهقهة خليل حنون ، ومظهره المخيف. فانتفض، في عيونهم، يقبض بيمناه على رأس رئيف من شعره ، وبيسراه على رأس منى ، وقد احتزهما ، عارضاً اياهما على الانظار ، في كفن من الدم القاني، ادرج فيه نفسه. وكأنه رمز الثورة الحمراء ، العابثة بالقيود ، والسدود ، والحدود

ابتذال كهلة ضلول اطفأ مصابيح الامن ، واليمن ، في بيتين قاما على شاق الوكد ، وفي كبد فتى اكرهته اللقمة على مداورتها ، فتاه في صحرائها اليبوس

هي سطور من نار كتبها القدر بيده المطبوعة على التنكيد . ولا حيلة في طمس المكتوب !

Twitter: @alqareah

٥

في بقعة العصفورية ، الغافية على منكب بيروت ، وكأنها قطعة من هذه المتناهية في بسط اجنحتها ، كالمطماع الكشود ، تقوم صروحٌ للرحمة ، ساكنة الجنبات ، متواضعة اللفتات ، كالبنفسج الحيّ

وفي احشاء هذه الصروح الفاترة الاجفان ، كأنها مسترسلة ابداً في النعاس ، تقرّ فئة من البشر ودعت دنياها ، وما تبرح فيها . فتتكلم ، وتأكل ، وتشرب ، وتنام ، وتغدو ، وتروح . وتقهقه — وما اكثر ما تقهقه ! — ساخرة بالتافه وبالجليل ، وهي على جهل مطبق بما تقدم عليه ، وتبدو فيه ، وقد ذهلت عمن حولها ، وما حولها، وزمامها افلت منها. الا انها موثقة بالخليقة كحلقة من حلقات السلسلة . فتقوم بالمكتوب عليها في نطاق ملهاة الوجود ، الغامضة المستهل والنهاية ، والكلمة فيها كلمة المقادير

وبين هؤلاء الضائعين عن انفسهم ، وقد ركدت فيهم البصيرة ، وتغلّفت عقولهم بالضباب ، خليل حنون نفسه ، مقضقض الضلوع بجريرته المثلثة . وبها هزّ السهل والجبل. وغاض فيه الادراك . فصار الى حيث يأوي كل من فجع بالنهية . يشابه المجانين ، رفاقه ، في

Twitter: @alqareah

عربدتهم وهذيانهم ، وقد ضاق وسعه عن فظاعة الثأر لشرفه الطعين واضطربت عيناه . فغرّبت احداهما وشرّقت الاخرى. ورثّ هندامه . وغاب عنه ابن يقيم . وتأتيه الفورة آناً ، فيتوعد حراسه ، وينقض عليهم ، يمعناً فيهم عضاً ، وخدشاً ، وضرباً . ويهـــدأ آناً ، فيقهقه ، او يغور في نحيب مرضوض ، ممتد الانين

ويصحو في بعض الاحايين . ولكنه صحو" تعكره الضغينة ، الراسخة في المهجة المكتوية بلاعج التباريح . ويفيض ، في صحوه ، بنزوات قلبه الملسوع . ويخيل الى سامعيه انهم أزاء حكيم صقلته تجارب الزمن ، لا تجاه موسوس ، مدخول

ويتهدج صوت خليل حنون فيما يذيع القول النضيد . وتتشنج عروقه كالمجهود . وتستيقظ فيه جميع اشجانه . وليس لمن يصغي اليه الا ان يؤمن بكونه يلتقط بلاغـة هداة ، لا مقال مهووسين . فهل للنزق ان يتفتق عن عقود من اللؤلؤ الكريم ؟

لقد ادهش خليل كل من اصاخ اليه، وهو ينشر روائعه. فيعلن في فترات من صفاء جنانه، بنبرة جشاء ، جمعت بين النقمة والسخر، نبذاً تنيء الى ظلال من الحجا ، كأن يقول : المعركة كلها تدور على الرغيف ، يا اخواني . فالحياة باسرها ملء جيب وجوف . فمن شبع وارتوى ؛ خيل اليه انـه بلغ اوج عليائه . وما يعيش ابناء الصلصال لسوى معدهم وبطونهم . فهم عبيد اللقمة ، واني مالت ، مالوا

« ولاجل احرازها ينافقون ويكيدون . فتبيع المرأة شرفها ،

Twitter: @alqareah

والرجل نفسه. وما طغى الاستعباد لولا التعبد للكفاف . فالخوف من فتكة الجوع أذل" الرقاب ، واوثق الارواح بالاصفاد . فاضحى النبيل مصانعاً ، والكريم شحيحاً ، والبطل جباناً ، والصادق كاذباً

« لاجل احرازها قتل الاخ اخاه ، والابن اباه . وتخلت الام عن عطايا احشائها . واستأسد البغض ، والحسد ، والحقد ، والمكر . وقامت للخسة هياكل . وتوارى وجه الحق . وعاش الناس في عالم من ضباب ، يتنكر للصدق وللانصاف ، وقد جحدوا فيه الصواب ، ووأدوا العدل ، وعبثوا بالفضيلة ، وسخروا بالذكاء

« ومن هم الناس ؟ ... اعشاش" للديدان ، خنافس تشيع فيهم الحقارة ، ويعلوهم النتن ، مع صارخ ايمانهم بكونهم ذوي خطر . فهلا ذكروا من اي رجس انبثقوا ليفاخروا بطهارة معدنهم ، وبصفاء دخلتهم ؟ ... ولكن الجوهر سر العطاء. وما تتكشف العوسجة عن بنفسجة ، ولا الضفدع عن بلبل رخيم الاداء . والانسان ، وهو وليد الدنس ، بعيد عن نصاعة الزنبق ، ووضاءة الفجر ، ونقاوة الينبوع . وما للارجاس غير المستنقع والبالوعة، وفيهما يمور الناس . هذه هي بيئتهم ، وفيها يتناسلون ويتكاثرون، كالبعوض والعَلق . ولقد مرتُ فيهم ، فما وقعت بين جوانحهم على سوى وجار ثعلب ، وجحر افعى . واني للخير ان يأوي الى هذه القاذورات ؟

« الناس مزابل تمشي . وليس لمن يثور على هذه المقالة الا ان يسدد ، الى اعماق نفسه ، بعض نظرة ، فيخجل من نفسه ، وتسكن

Twitter: @alqareah

فورته . هم ابناء المصلحة . فمن يتلطف بقضائها لهم ، فهم أجراؤه ، ولكن الى حين . فإما حتى ينجزها ، وإمـا حتى يلتري عوده . وله بعد ذاك ان يبحث عنهم ،فلن يجدهم حوله.وقد يبصرونه، فيتجاهلونه ، اذا لم يكونوا في مناوئيه ، بالتفافهم على من قام في الثأو مقـامه . وإن هم الا خدم السدة ، لا معتليها . فمن تولاها ، فهو آمرهم ، ما دام فيها وطيد الركن

« وما اشفق على سوى المبادر الى المعروف . فالجنون في عقله وقلبه ودمه . فان احسانه لينقلب عليه. بسديه ، ويؤدي من روحه بدله . وكأنمـــا يجود به ليسيء الى مهجته . وهل يساوي ابن اللحم والدم جميلاً يخلعه عليه السماح ؟ ... اراه دون هـــذه المبرة . وهي نفسها قد تفسده ، بدفعه الى الكفران بحسن الصنيع . فانك لتطعم الوحش الضاري . ولكن رفقك به لن يلجمه عن افتراسك . وهـذا هو الانسان !

« وان السم لكامن كمون الروح في هـذا المدعو انساناً . واذا ما استرسل الى فطرته، اضحت التماسيح ، تجاه موبقاته، ملائك الرأفة والحنان . فان صفّيك ، حتى صفّيك ، لوغد مقيت يروم تدويخك ، مع جمّ اياديك عليه . واذا لاطفك ، فعلى كره منه . واذا نافرك ، ابتغى سحقك . ولا تغرّنك كلمة نصح من هـــذا الخدين الاوفى ــ والاوفياء ماتوا ! ــ فهي ان لم تبطن الاستغلال ، ففي مطاويها رعشة الخوف من النجح . فان فلاحك لصدمة لمن حولك ، يميد بهـا

Twitter: @alqareah

اقرب الناس اليك ، ويتشهى لو آلت سعادتك الى وبال

« ألا كن عقرباً ، مسنونة الشباة، في هذه الجحافل من العقارب الظمأى الى اللسب . فإن ألقيت اليهـا امرك ، بنبل وشمم، إئتمرت بك ، وذهبتَ رخيصاً . وشرّ الناس عليك من تدنيهم منك ، وهم متوضّو الامل ، وناسجو العدوان

« الناس ! ... ألا لنضحك من مسوخ يدعون الجبروت والانفة، وهم لصوص اموال وارواح . جلادون يبنون ثروتهم وشهرتهم بجماجم اخوانهم ، وما يرتعش لهم ضمير . فالحاكم يفرض على قومه الجزية ليذلهم ، اكثر منه ليضمن رفاهتهم . وربما ليحشو جيبه ، لا ليكنز بيت المال . والتاجر يبيع ليقنص ، ولا عليه ان يشتري الزبن البخس بالغالي . ورب رجل تقـاضى منك بدل قراريط في السماء. والطبيب ينفح بالعافية في رقعة كالتميمة،ويغلو في الاحتلاب. واذا لم تنجع عقاقيره ، فما همه ، وقد نفض منها طوقه ؟... وبائع الاكفان يتاجر بك جثة هامدة ، ولا يودعك الضريح الا وقـد اعتصرك ، وانت في ذمة التراب

« ان المخـازي لتغمر الكون منذ ماجت فيه سلالات اللحم والدم ، يا اخواني ، وما تعيش في سوى الحمإ . فالسمو فيهـا تكلف ورثاء . وما شوّهته الا لتنجو من نبالته . وليس لمن صغرت نفسه ان يطيق العظيم الاثيل ، وهو يشأوه روحاً ومنزلة . وما تستطيب الحقارة الاستقرار بجانب الرفعة ،بل تميل الى محق الجلال ليمسي الجميع

Twitter: @alqareah

من طينتها . فلا يقوم من يعلوها ، ويدلها ، غير متعمد ، على كونها حفنة من هباء

« ألا ويل الاحياء من الاحياء ، وقد فسدت نياتهم ، وهانت نفوسهم ، فانتصبوا يناوئون الخير . فالعزيز لا مقام له فيهم. وجزاء الكريم منهم اللاطم بالنعل . عصبة" من الجربى تأبى ان يظهر فيها سليم" يفضح داءها ، فشهرت الحرب على كل طاهر الجذع ، صحيح الاديم ، تلطخ فيه ، بافكها وافترائها ، مناعة الطبع ، وسماح العطاء

« فقراء هم ابناء التراب ، مهما بلغوا من يسر . وضعاف ، مهما ادعوا من قوة . وادناس ، مهما خلعوا على رجاستهم من مطارف النصاعة الكاذبة . يتطاحنون حتى تمسي ازاءهم الضواري ذوات فضل وتقى . ويتحايلون حتى تبيت الثعالب ماجدة جليلة . ويتحامقون حتى تدعي الاعيار الفطانة. وينغمسون في الجيف حتى تصبح الاقذار عطوراً . وما يتألق فيهم مصباح ، الا ليطفىء ما حوله من مصابيح. والاثرة تطيح الهدى . وما ترتضي الا ان تطفو وحدها على سطح الماء . ولا وزن عندها لكل ما بنى سواها من شامخ ركين

« وما ادري ما يهيب بهؤلاء المطفئين عين الشمس ، بشاينهم ، الى التناسل والتكاثر ، وفي انبثاقهم موت الحق ، وارهاق الفضيلة ، وطغيان النتن ، وامتهان الحمية ؟ ... يبصرون اخاهم يتلاشى جوعاً ، فلا تمتد اليه اكفهم بما يصد" عنه بطش المنية . واذا فعلوا ، امتنوا بالمأثرة ، وفرضوا عنها باهظ الثمن . وهيهات ان يقدموا عفواً

Twitter: @alqareah

على اريحية

« ان في اللحم والدم لنزوعاً اخرق الى النكر . فمن استلّته الخطيئة،من صلب الغيب، لا يحيد عن الخطيئة انى اقتحم الدروب. ألا رفقاً بالاجنّة ، وفي ظهورها للنور جناية عليها . فمن كلف هذا العابث بالارحام ، يستولدها، انتهاك سكينتها لامتهان ثمارها ؟ ... يبدو الوليد على صراخ وولولة، ويقضي حياة محفوفة بالهول والتعس، لينصرف على دمعة وحسرة

«اذن اين تكمن السعادة المالئة الاسفار ، وافواه الهداة ؟ ... أتكون ضرباً من المحال ، خيالاً عابراً لا يهدأ في صعيد ، فما نحسبه نعيماً اشبه بالوميض،بل حلم خاطف نستفيق منه على خيبة وحرقة ؟

« أتكون السعادة أضحوكة ، تلوّح باضوائها الساطعة يد القدر ، لتلهو بنا، فيخدعنا السراب، ونقضي العمر على وهم ، وما ندري ان مراحل العيش من عدم الى عدم ، واننا لم ندرج فيها الا لنزيد في اكوام التراب ؟

« ألا فليفترض الانسان ان يكن نصيبه من بدعة الانبثاق اكداساً من المرّ ، على لعقة من حلاوة . وهل له ، لاجل هذه اللعقة ، ان يقلق وجه الارض ، وينفث خباثته في جبهة السماء ؟

« وما على الارض اذا خلت ممن افسدوا روعتها ، واستباحوا بكارتها ، وادموا سكونها ؟ ... انها لتستغني عن الخليط الزاحف في معابرها ، كالنمل في منبوذ الحثارة . ولا يضيرها ان تستأنس

Twitter: @alqareah

بوحشتها ، وفي الوحشة راحة وامان

« اجل ، لينقرض هؤلاء الناس ، وقد كفروا بالنعمي ، وتجاهلوا الحسنى . فالتجربة ، في اطلاقهم احياء يسعون ، اخفقت ، ورثّت مطارفها. وليس للدم الغثّ ان يفيض بالمنيف ، وفيه تعشش جرثومة الهزال

« طالت معايركم ، في وجه النور ، فاحتجبوا . ودعوا هذه الاشعة تطلع على صباحة وعفة. فما من جمال الا كسفتموه ببشاعتكم. وما من صلاح الا هزمتموه بختلكم. وما من وليّ رشيد الا رجمتموه. تتظاهرون بالذود عن المصونات ، وما تبقون بموبقاتكم على مصون . وتدعون الى الاخاء والسلام ، وتحاسدكم ينفر بكم الى التطاحن والتنابذ . وسعاية بعضكم ببعض عنوان صغاركم ، وما تحيون لسوى النفاق والخصام

«مسكينة الفضيلة فيكم ، وهي غريبة عن مأواها . انها لعلى خجل من نفسها ، وقد حبت اليكم ، فرذلتموها . بل امتدت ايديكم الى مجرى انفاسها ترومون خنقها بسفالكم . وما تزال الحمقاء ترأف بكم ، وتدبّ الى اخداركم في تثقيف المنآد من غرائزكم . وما تعلم المفرطة في الرحمة ، حتى البله ، انها بين انذال ، لا يخالقهم الا من شابههم في الاسفاف

« تواروا ، ودعوا للعطر مجاله الى الآفاق. فما يتضوّع كي يستنشقه الابالسة والخنازير . وابيحوا للشجرة مداها الى السموق . فمن حقها

Twitter: @alqareah

ان تمتد الى العلياء ، وهي أحق منكم بالرسوخ ، واطول عهداً بالبقاء . فلماذا تقطعونها بفأسكم الظالمة ، وقد تكون العوسجة النامية، بقربها ، بحاجة الى ظلها ؟... والعوسجة ، مع شوكها ، تصلح وقوداً للنار . وليس يصلح لسوى التدمير ذاك الحامل، قسراً، اسم إنسان

« لو احسنتم الى انفسكم ، لطلبتم الغؤور في بطن الارض عظاماً نخرة ، لا تلد ، ولا تستولد . وما تلدون غير الاثم . ولا تستولدون غير النفاثة . ومتى جادت الرذيلة بمواليد صحاح ، وما تتمخض بسوى النفايات ؟ ... دميم هو الانسان ، وقد جبلته الرجاسة، فأطل ينددى بها، مع اجتهاده في سترها بالزينة والطيب. ولولاها لم يكن لكتائب الاصلال ان تنتشر ، وتسيطر ، وتتحكم في عالم يصبو الى العدل ، والحلم ، والحنان ، ولا يلقى غير الحيف ، والدس، والاضطغان

« انا ما لقيت الضيم الا يوم حفزتني المروءة الى وقاية من حولي لطخة الذل. فوهبت احدوثتي للمفجوعين باحدوثتهم،فرموني بالجحود، ووصموا سمعتي بالشنار . وهو نصيب اهل المعروف من ابناء الرغام . فالمروءة ــ ويلي منها وعليها ! ــ ما تجرّ على من يتوفر عليها ، في دنيا الافاعي والتماسيح ، غير المذمة والخسران

« موتوا. ففي الموت خلاصكم من المفسدة، وتحريركم من الكربة. ولا تخافوا من التلاشي في العدم ، ولن تبقوا بعدكم غير حسد أشلّ، لن يجد باضمحلالكم زاداً يقيه التلف . وغطرسة جافة كالمومياء ، وقد اعوزها بانقراضكم الغذاء . وبؤس يشكو البؤس، وهو معدوم

Twitter: @alqareah

الضحايا . فتأخذ النصاعة لنفسها من الزنخ . ويتداعى الشر. وتستريح اوصالكم ونهاكم بالاستنامة الى غيبوبة تطاول الابد ، لن يعروكم فيها ظلم ، ولا تحصدكم بلية ، وقد ودعتم الصعاب والاثقال

« الحياة اتفه من التفاهة ، واوهى خرق في سننها يودي بهـا . فتمحوها رعشة ، عطسة ، عثرة ، لكمة ، شظية

« وما الانسان ، في حد نفسه ، غير إناء من خزف. ومع ظهوره بمظهر الجبار لم يستطع اصلاح ما افسدت الفطرة. كان يقتل كوحش في غابة ، فظل يقتل وهو ينهل من افاويق الحضارة . فالشوكة ، والقفاز ، واعتلاء الجو ، وارتداء الديباج ، لم تبدل من غريزة الضراوة المختلجة في دمه ، والراسية في مخ عظامه

« وان يكن وقى اخوانه فتكة الاوبئة ،حاصدة مئات الالوف من البشر ، فلقد اخترع المتفجرات ، حاصدات ألوف الالوف . واي شأن لوجودٍ كل ما فيه عائب الاس ، يطغو عليه الاضمحلال ، وامرأة ساقطة لا تهدم فيه شرفاً وأسرة وحسب ، بل تقوّض دولة شامخة ، تناهت أطرافها ؟

« موتوا ، فترفقوا بهذه البسيطة ، وستنجو باحتجابكم من مرأى منكراتكم الدوامغ. ولا أسف على نسل يمضي في قبائح شققتم له اليها الطريق . وهل تجهلون من انتم ، وكلكم عبيد الطغيان ، تشرهون الى الطيبات ، فيما تمنعونها حتى عن اكرم الخلق عليكم ؟

« موتوا ولا تبكوا على عالم يعيش فيه المشعوذ . وينوس امره

Twitter: @alqareah

الحقود . ويظفر بنعمائه الغادر . انه لعالم من اغار ، لا مذهب عن احراقه بالكبريت والنار . واي قيمة لحياة تطويها لقمة ، وتنعشها لقمة ، ويتصاول بنوها لاحراز رغيف يتسع لهم به الى البقاء ؟ ... لو ملكت يدي ثقاباً لاحرقت ذراري النجاسة والنخاسة ، ودفعت عن الوضاءة مضض الدس والفحش والعدوان ! »

●

وينفجر خليل حنون في قهقهاته . فيختل ميزانه . كفة الدر شالت . ورجحت كفة الرضراض . وينقض على حراسه لاطماً ، شاتماً . فتحتدم معركة الهوس ، فتوارة الضرم على ان السلاسل تفوز بالشارد بعد هدى . فيثوي بحجرة كالمحبس . تشتبك في منافذها قضبان الحديد . وما ينفك يغلي في عربدته الداغرة ، مدمدماً على من يخيل اليه انهم يضطهدونه . وفي عينيه رؤى من اوهام تساوره اشباحها ، ويشخص له انها تهزأ به . فلا يهدأ الا وقد انهد حيله . فيسقط الى الارض بلا نظام ، كجدار زعزعت العاصفة مداميكه ، فتدحرجت احجاره مسرفة في البعثرة . والجنون زلزلة في بنيان ، ان لم يكن انفجار بركان

ألا ويح ابن الطين من زمنه . يقبل الى دنياه على كره منه . ويبدو في ملامح مفروضة عليه . ويعيش اسير القدر ، في بيئة ليس له في اختيارها رأي . وما من خطوة يخطوها الا محتومة على همته. ومصيره مكتوب منذ مولده ، بل قبل مولده. فما قامت هذه الخليقة

Twitter: @alqareah

على سوى لوح مخطوط ، لكل امرىء فيه طريق مشقوق، صراح وخليل حنون هذا طريقه. واذا انتهى فيه الى مصح مجانين، يثوي به على اضطراب وذهول ، فان من أقرّ صيرورة الناس حكم عليه بهذا الختام . وكم تتيه عيناه في المجهول ، وهو يطأطىء الرأس لمشيئة القضاء، كأنهما تبحثان عن سر اعياهما جلاؤه. فلماذا نشأ الانسان؟... وما يحمل على التفاوت الصارخ في الحظوظ والطبقات ؟ ... واين الحق ، وقد ضاع ؟ ... ومن تخادن السعادة ، وليس لها قرار ؟.. فهل قام نظام الخلق على اجحاف وحرمان ؟

اسئلة عسيرة على الادراك، تتيه اجوبتها في المبهم ،المغلق ، كأن العقل ، حتى على رهافته ، اخو كلال . هلا اشفقت الارحام ، على عطاياها ، من وجود صفاياه درن ، واطايبه زؤان ؟

تمت

Twitter: @alqareah

Twitter: @alqareah

9 789953 137995